ـ انتصارا للوحي والعلم ـ

أوهام في دراسة الأساطير والزرادشتية

ـ دراسة نقدية تكشف أوهام وخرافات كثير من الباحثين فيما كتبوه عن الأساطير والديانة الزرادشتية، كفراس السواح وخليل عبد الرحمن وغيرهما ـ

الأستاذ الدكتور
خالد كبير علال

ـ دار المحتسب ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الكريم محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه، وبعد:

أولا: أفردتُ كتابي هذا المعنوّن بـ: أوهام في دراسة الأساطير والزرادشتية ، لموضوعي الأساطير والديانة الزرادشتية، لأن كثيرا من الباحثين المعاصرين لم يضعوهما في مكانهما الذي يُناسب طبيعتهما التي تغلب عليها الخرافات والأوهام والأهواء ، وإنما وظفوهما لخدمة أغراض مذهبية ودينية ومصالح دنيوية بطريقة فيها التحريف والكذب والغش والخداع والافتراء على العقل والوحي والعلم من جهة؛ وألبسوا مزاعمهم وشبهاتهم وأباطيلهم وأوهامهم ثوب العلم والعقلانية والموضوعية من جهة أخرى. ثم بعد ذلك وظفوا نتائج بحوثهم الزائفة والمغشوشة لنشر الأباطيل والأكاذيب والأساطير، والدعوة للديانة الزرادشتية الخرافية من ناحية، ومهاجمة الأديان الأخرى عامة والإسلام خاصة بدعوى أنها متأثرة بالزرادشتية من ناحية أخرى. فأصبح لزاما على أهل العلم التصدي لهؤلاء والرد عليهم ونقض مزاعمهم وكشف أباطيلهم بالعقل والوحي والعلم.

ثانيا: أُشير هنا إلى أني ركزتُ في نقض الأوهام الواردة في هذا الكتاب على ما كتبه الباحث السوري فراس السواح فيما كتبه عن الأساطير، والزرادشتية، لأنه من العرب الذين كتبوا كثيرا عن ذلك واشتهروا به من جهة؛ ولِما لكتبه من جهة أخرى من رواج، ليس لأنها صحيحة وإنما وُجد من ينشرها و يروج لها ويُثني عليها ويحث على طلبها. وإلا فإن كتبه مملوءة بالأخطاء العلمية والتاريخية والشرعية، فهي لا تكاد تنتهي، وهو لا يمل من تكرارها . ولذلك ضربتُ صفحا عن كثير منها ربحا للوقت والجهد وتخفيفا على القارئ ، لكني أوردت منها شواهد كثيرة تكفي لإظهار فساد منهجه وكثرة أخطائه والحكم عليه بالعقل والوحي والعلم . وهذا الكاتب قد

ملأ أكثر كتبه بالتحريف والتدليس والأوهام والأباطيل، منها طائفة تتعلق بدراسة الأساطير والديانة الزرادشتية، وهي التي سننقضها في هذا الكتاب. وقد تميزت أكثر كتبه بذلك، لأن معظم أخطائه ليست من باب الخطأ العلمي، وإنما هي بسبب التعمد والإصرار على مخالفة الوحي والعقل والعلم لغايات في نفسه. علما بأن السواح لم يكن هو الأول من قال بتلك الأوهام والأباطيل والخرافات، فقد سبقه إلى قولها باحثون آخرون، والظاهر أنه أخذها منهم كما سيتبين لاحقا فيما يأتي من هذا الكتاب.

وأخيرا وليس آخرا ، وفقنا الله لما يُحبه ويرضاه، ونسأله سبحانه الصدق والإخلاص في القول والعمل، والتوفيق والسداد، إنه سميع مُجيب .

الأستاذ الكتور خالد كبير علال

*****

الفصل الأول

أوهام في دراسة نشأة الدين والأساطير

أولا: أوهام في نشأة الدين ومكوناته .
ثانيا: الزعم بأن الإسلام تطور كغيره من الأديان.
ثالثا: أوهام في نشأة الأساطير وتطورها.
رابعا: أوهام في علاقة الأساطير بالفلسفة والعلم .

*****

أوهام في دراسة نشأة الدين والأساطير

تعني عبارة " الوَهم " ومشتقاتها في اللغة العربية عدة معانٍ ، منها الخطأ. ونحن في كتابنا هذا لا نعني به الخطأ فقط، وإنما نعني به الخطأ والقول بآراء لا وجود لها في التاريخ ولا في الواقع، وإنما هي تخيلات وأباطيل ،واختلاقات وأكاذيب. وانطلاقا من ذلك فإن الأوهام التي سنقف عندها وننقضها في كتابنا هذا ليست مجرد أخطاء فقط ، وإنما هي أوهام وأهواء وظنون، وليست من العلم في شيء ، حتى وإن ألبسها أصحابها ثوب العلم خداعا وتحريفا .

أولا: أوهام في نشأة الدين ومكوناته:

زعم الباحث السوري فراس السواح أن { الأصل في الدين هو إحساس متجذِّر في أعماق النفس الإنسانية، إحساس بحضور فائق مختلف عنا وعن ما يحيط بنا، ومتِّصل به أعمق اتصال في الوقت ذاته، حضور تام كامل وكلِّي، ثابت لا يتغيَّر، به تقوم المتغيِّرات ومن ثباته تنشأ المتحوِّلات. وعندما نُخضِع هذا الإحساس للتأمُّل والتفكُّر، تنشأ في الذهن فكرة الإله الواحد التي تتوسَّط بيننا وبين ذلك الحضور القدسي الذي لا نستطيع التعبير عن مواجهتنا الداخلية معه إلا بتوسيط الصور والرموز. هذه الصور والرموز تعني: الميثولوجيا. ومع الميثولوجيا تظهر الآلهة الأخرى إلى الوجود باعتبارها كائنات روحانية تنشأ عن الواحد، ولكنها تخضع لقانون الصيرورة الذي يسري على ما سوى الله. وهذه الكائنات تشترك مع الإنسان بكونها مخلوقة في أوقات معينة من صيرورة التاريخ المقدس، ولكنها تتميَّز عنه بقدراتها غير المحدودة في مجال اختصاصاتها وصلاحياتها، على عكس الواحد الذي أنجب نفسه من العدم، أي منذ الأزل، لأن العدمية والأزلية متطابقان طالما أنهما الحالة التي تسبق انطلاق الزمن.

وبتعبير آخر، فإن الإله الواحد هو قناع يبدو به المطلق في الزمن وفي التاريخ. ولكن الزمن والتاريخ يأتيان إلى نهايتهما المحتومة في كل النظم الدينية والميثولوجية. وعندما يأتي الزمن والتاريخ إلى نهايتهما يسقط القناع ويبدو الإله الواحد نفسه بلا ضرورة أو وظيفة، ووهماً من أوهام الصيرورة، عندما تؤول الحيوات والأكوان إلى المطلق العظيم الذي نشأت عنه }.

أقول: ذلك القول فيه مزاعم أوهام وأباطيل وخرافات، وعرّف الدين تعريفيا أسطوريا ولم يعرفه تعريفا شرعيا ولا عقليا ولا علميا، وإنما انطلق السواح من الأساطير التي قراها وكتب عنها واستخرج منها تعريفا لأصل الدين والإيمان بالله ووصفاته ؛ فجاء بتعريف زائف باطل متهافت مخالف للوحي والعقل والعلم في معظم ما قاله.

وتفصيل ذلك أولا: إن الأصل في الدين ليس هو كما قال السواح بأنه " إحساس بحضور فائق مختلف ... حضور تام كامل كلي ..." ، فهذا كلام صوفي زائف متهافت باطل في معظمه، وإنما الدين هو إحساس وإقرار فطري وعقلي وكوني بأن لنا خالقا خلقنا . وهذا أمر مفطور فينا بدليل الفطرة والعقل والكون ، وهذا الذي ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى: { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ [الأعراف : 172] }،و{ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ [الروم : 30] }،{ إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ [يونس : 3] }،و{ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ [المؤمنون : 86] }.وليس صحيحا أننا نحس بالله إحساسا شعوريا ذوقيا، فهذا كلام باطل شرعا وعقلا وعلما ولا يقول به إلا صوفية وحدة الوجود. والمؤمنون الأتقياء يصلهم الإيمان بأنواره وآثاره ولا يحسون بالله تعالى إحساسا ذوقيا، فهذا مستحيل. والدليل على زيفه وبطلانه، أننا لا نحس بذلك الإحساس المزعوم الذي وصفه السواح، لا نحس به في فطرنا ووجداننا ولا في عقولنا، لأن الله تعالى ليس كمثله شيء وبائن عن مخلوقاته ومنفصل عنها، كما هو مقرر في العقيدة ، ويقوله

أيضا العقل والعلم . ومن يدعي أنه يحس بالله ذوقيا، فهو كاذب، أو جاهل، أو ملبس عليه من الشيطان.

ثانيا: إن فكرة الإله لا تنشأ فينا بالتأمل والتفكر كما زعم السواح، وإنما هي في الأصل مغروزة في نفوسنا بالفطرة والبديهة، لكنها تظهر وتنمو فينا وتُثمر باهتمامنا بها وبالتأمل في نفوسنا وواقعنا وبالمخلوقات المحيطة بنا، وبقراءتنا للوحي الإلهي والتزامنا به. وكل ذلك هو الذي يجعلنا مؤمنين بالله وملتزمين بدينه ، من دون أية وسائط . وأما الوسائط من الصور والرموز التي تؤدي إلى الأسطورة وظهور الآلهة كما زعم السواح، فهي كلام زائف باطل متهافت لا يقوله إلا جاهل، أو صاحب هوى، أو مشرك. لأن الإيمان الصحيح بالله تعالى ينفي تماما الوسائط بين الله ومخلوقاته، لأنه لا يوجد إلا الله ومخلوقاته، والمخلوق لا يُمكن أن يكون إلها ناقصا ولا كاملا. والمخلوق عاجز بذاته، ولا يستطيع ولا يصح أن يكون إلها، ولا يحتاج إليها الإنسان المؤمن بالله إيمانا صحيحا سليما. والإنسان المؤمن بالله يعرف بداهة وعلما أن المخلوق يستحيل أن يصبح إلها ليكون وسيطا، فلا مكان للأسطورة عند الإنسان المؤن بالله الملتزم بالوحي والعقل والعلم. وعليه فلا يصح شرعا ولا عقلا ولا علما الاعتقاد بوجود آلهة هي وسائط بين الإنسان والله حسب زعم السواح. ومن يقول بذلك فهو جاهل، أو صاحب هوى، أو مشرك ، مثل مشركي العرب عندما قالوا: { مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ [الزمر : 3]}،و{ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ [ص : 5]}.

ثالثا: إن من أهوام السواح وأباطيله وأساطيره انه زعم أن الإله الواحد أنجب نفسه من العدم!!!!. فمن أين له هذا الكلام الزائف والمضحك؟؟!!، من قال له ذلك؟؟!!. وهل العدم يصبح كائنا موجودا؟؟!!. وأليس القول بذلك هو أمر مستحيل ولا يصح قوله ولا يُمكن أن يحدث في الواقع؟؟!!.لا يُمكن أن يحدث ذلك وتصوره يكفي للحكم عليه بالاستحالة. لأن العدم لاشيء، فكيف يُوجد اللاشيء نفسه أو شيئا آخر وهو لا شيء ؟؟!! . إن العدم عدم، ويستحيل أن يصبح العدم بنفسه شيئا موجودا. فكلام السواح باطل من أساسه وهو من أوهامه وأساطيره التي أخذها من الأساطير التي تفرّغ لدراستها ، فأصبح خرافيا غارقا في الأوهام. ولذلك فإن الله تعالى لا

يصح وصفه بأنه أنجب نفسه، فهذا كلام زائف ومضحك ومخالف للشرع والعقل والعلم. وبما أن العدم يستحيل أن يصبح بنفسه شيئا موجودا، وبما أن الكون بكل مخلوقاته مخلوق وموجود، فلا بد له من خالق أزلي أوجده ومتصف بكل صفات الكمال، منها أنه هو الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية، والحي الذي لا يموت الذي لم يلد ولم يولد. قال سبحانه : { هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [الحديد : 3] }،و{ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً [الفرقان : 58] }،و{ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)(سورة الإخلاص:1- 4 }.

وبما أن الأمر كذلك، فلا يصح قول السواح بتطابق العدمية والأزلية، فهذا زعم باطل قطعا شرعا وعقلا وعلما، لأن ذلك لا يُمكن أن يحدث ، لأن الأزلي غير مسبوق بعدم، والعدم ليس أزليا لأنه مسبوق بعدم.فلا يُمكن أن يتطابق العدم والأزل، ومن يقل بذلك، فهو جاهل، أو صاحب هوى، أو جاحد معاند.

رابعا: أما قول السواح بأن الإله الواحد هو قناع يظهر به في الزمن والتاريخ، فهو زعم باطل ومن أوهام القائلين بوحدة الوجود؛ لأن الله عز وجل ليس قناعا ولا يصح وصفه بذلك من جهة، وهو سبحانه ليس كمثله شيء،ومفارق بذاته لمخلوقاته ولا يُمكن أن يظهر لنا في مخلوقاته كالزمن والمكان والتاريخ. ومعنى كلام السواح أنه يريد أن يقول بأن ما نراه من مخلوقات بتاريخها وواقعها هي تجليات ورسوم وأشكال تُعبر عن الله تعالى. بمعنى آخر أنه عندما تسقط تلك الأشكال والرسوم يتبين أنه لا موجود إلا الله،فهو الكون، والكون هو الله. وهذا هو الذي تضمنه كلام السواح ولم يرد الإفصاح عنه بكلام واضح لغاية في نفسه. وزعمه هذا باطل قطعا وهو من أوهامه وأساطيره، لأنه زعم باطل بدليل الشرع والعقل والواقع والعلم، ومن يقل به فهو قد اتبع هواه وشيطانه وخالف الشرع والعلم وداس على عقله. هو كذلك لأنه لم يفرق بين الخالق والمخلوق وجعلهما شيئا واحدا، وموقفه هذا يُلحقه بالملاحدة لا بالمؤمنين بالله. لأن كلا من الملحد والقائل بوحدة الوجود يؤمن بوجود واحد فقط هو الكون ، الملحد يقول: لا إله ولا موجود إلى الكون، والآخر يقول: لا موجود إلا الله وهو الكون. فالاثنان يؤمنان بواحد فقط هو الكون، وبما أننا

لا نرى الله، وإنما نرى أنفسنا والمخلوقات الأخرى، وليست هي الله قطعا،، فالله لا وجود له حسب القائلين بوحدة الوجود. وهكذا أصبح القائلون بوحدة الوجود كالملاحدة لا يؤمنون إلا بالطبيعة فقط.

ثم أن السواح أيد قوله بالقناع للصوفي القائل بوحدة الوجود محي الدين بن عربي، فقال: { يدعو الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي هذا القناع بالإله "المجعول". وهو يعني بهذا التعبير تلك الصورة التي نكوِّنها لأنفسنا عن الألوهة. وبما أن هذه الصورة ليست إلا وسيطاً بيننا وبين المطلق، فإنها لا تختلف كثيراً عن الوثن. إنها "وثن" من نوع فكري. وهذه بعض أقوال الشيخ، أقتبسها من فصوص الحكم ومن الفتوحات المكية: "وبالجملة فلابدّ لكل شخص من عقيدة في ربِّه يرجع بها إليه ويطلبه فيها، فإن تجلَّى له الحقُّ فيها أقرَّ به، وإذا تجلَّى له في غيرها أنكره [...] فلا يعتقِد مُعتقِد إلهاً إلا بما جعل في نفسه. فالإله في المعتقدات بالجَعْل، فما رأوا إلا نفوسهم وما جعلوا فيها." (فصوص الحكم 10/13) وأيضاً: "فلا يشهد القلب ولا العين أبداً إلا صورة معتقده في الحق." (فصوص الحكم 12/7) وأيضاً: "فليس ثمة إلا عابد وثناً" (الفتوحات 4/186). }.

أقول: إن الأمر ليس كذلك، لأن من يؤمن بالله ويعبده بصدق وإخلاص، فمهما أخطأ في تصوره لله فلا يصح وصفه بأنه يعبد إلها هو تصوّره له. فهو يعبد الله بطريقة ليست بصحيحة، ولا يعبد هواه ولا تصوره لله. وإنما الذي يعبد هواه هو الذي جعل إلهه هواه، فهو يعبد هواه ولا يعبد الله. وأما الإنسان المسلم الذي يعبد الله بصدق وإخلاص ويعتقد فيه بما جاء في الشرع ويلتزم به في كل أحواله، فهو على منهج سليم صحيح موافق للوحي والعقل والشرع، وليس عابدا لهواه ولا للقناع المزعوم الذي قاله السواح وشيخه ابن عربي.

ثم واصل السواح مزاعمه وأوهامه، انطلاقا من حكاية القناع ، فكان مما قاله : { من خلال هذا المنظور، تذوب الحدود الفاصلة بين معتقد الشِرْك ومعتقد التوحيد، وتنمحي الفواصل بين معتقد التوحيد هذا ومعتقد التوحيد ذاك. لأن أي إله، واحداً كان أم متعدِّداً، ليس إلا صورة ذهنية تقف بيننا وبين الوجه الآخر للوجود : الوجه السرمدي الحقّ، الثابت الذي يسند كل متغيِّر ويعطيه صورته }.

أقول: قوله زعم ووهم باطل وزائف متهافت، لأننا هنا في صدد الكلام عن المعتقدات، بغض النظر عن مدى موافقتها للحق أو مخالفتها له. فلا شك أن الله تعالى واحد احد، خالق كل شيء، ولا رب ولا إله سواه. وهذا يتفق تماما مع الاعتقاد الصحيح ، وهو موافق للشرع والعقل والعلم ؛ لكن النصراني مثلا الذي يؤمن بثلاثة آلهة: الله، والابن ، وروح القدس، أو الزرادشتي الذي يؤمن بإلهين، ومع كل إله آلهة أخرى، أو البرهمي الذي يعتقد بمئات الآلهة؛ فإن هؤلاء رغم بطلان عقائدهم، فإن اعتقاداتهم ستبقى كذلك ما داموا متمسكين بها في قلوبهم وسلوكياتهم، ويستحيل أن تصبح توحيدا، ولا التوحيد يصبح تعددا، ولا يُمكن أن تذوب تلك الفوارق والحدود، لتصبح توحيدا أو العكس، أو تزول كلها. وستبقى الاعتقادات الباطلة على حالها لأنها مخالفة للوحي والعقل والعلم، وسيبقى الاعتقاد الصحيح صحيحا لأنه موافق للوحي والعقل والعلم، وليس الأمر كما زعم السواح الذي حرف الحقيقة وزيفها، وأراد أن يفرض علينا تصوره على انه هو الحقيقة، فنقض به زعمه!!!! . علما بأن أكثر البشر مشركين بالله قديما وحديثا، بأدلة التاريخ والواقع والشرع. هذه الحقيقة الثابتة حاول السواح تقزيمها وتهوينها ونفيها، وتسويتها بالتوحيد، تمهيدا لنفي الأمرين ليقرر في النهاية خرافة وحدة الوجود.

ومن أوهام السواح أيضا أنه عندما تكلم عن ظهور الأسطورة والدين في حياة الإنسان قديما نقل كلاما لأحد الباحثين الغربيين الماديين ووافقه عليه وتبناه بسلبية ودون نقاش ،ولا طالبه بدليل يثبت أوهامه وأهواءه، فقال :{ لقد جهد الإنسان دوماً في كشف حقيقة العالم و الحياة و البدايات وشغلته الغايات و النهايات و كان وسيلته الى ذلك مرتبطة بالمرحلة التاريخية لتطوره نفسياً و عقلياً ، اعتقد في البداية ان العالم بكل مظاهره المتنوعة يخضع لترابطات و قوانيين و قواعد معينة ، و اعتقد أن معرفته بتلك الترابطات و قواعدها تساعده في استجلاب الأمطار عن طريق ممارسات سحرية معينة تدفع الطبيعة مجبرة للاستجابة كما يستطيع شفاء الأمراض و القضاء على الاعداء و دفع الكوارث الطبيعية بنفس الطريقة وقد تجمعت لديه عبر القرون مجموعة من القواعد الذهبية التي تؤلف في مجموعها سفراً متكاملاً للسحر ولم يكن الإنسان في ممارساته تلك يستعين بأية قوى خارقة او الهية من اي نوع لإيمانه بالمطلق بأن تتابع الأحداث يخضع

لقانون معين هو جزء أصيل من الطبيعة و ذاتها لا خارجاً عنها ولا متعالياً عليها .على ان الإنسان بعد تاريخ طويل مليء بالمرارة والألم والفشل في السيطرة على محيطه بعلمه الزائف و ذاك السحر اتجه الى الدين فإذا كان العالم قد تمرد حتى الآن على الإنسان مُثبِتاً عدم خضوعه لتلك الترابطات المفترضة فلابد اذن من وجود قوى خارقة تقف وراء المظاهر المتبدية لهذا العالم قوى إلهية مفارقة له فعالة فيه ولابد ان يكون الكون تبدياً مادياً لتلك الطاقات الإلهية ومظهراً لفعاليتها و قواها المستمرة وبذلك ابتدأت مرحلة جديدة تتميز بالتقرب لتلك القوى و اجتذاب عطفها ومحاولة تفهم رغائبها و آلية فعلها و شروطه فظهر الدين و تطور بشقيه : الشق الاول اعتقادي يستخدم الأسطورة أداة للمعرفة و الكشف و الفهم. والثاني طقسي و يستهدف استرضاء الآلهة و التعبد لها فالأسطورة و الحالة هذه هي التفكير في القوى البدئية الفاعلة و الغائبة وراء هذا المظهر المتبدي للعالم و كيفية عملها و تأثيرها و ترابطها مع عالمنا و حياتنا ، انها أسلوب في المعرفة و الكشف و التوصل للحقائق و وضع نظام مفهوم و معقول للوجود يقنع به الإنسان و يجد مكانه الحقيقي ضمنه و دوره الفعال فيه ، انها الإطار الأسبق و الأداة الأقدم للتفكير الإنساني المبدع ، الخلاق ، الذي قادنا على طول الجادة الشاقة التي انتهت بالعلوم الحديثة و المنجزات التي تفخر بها حضارتنا القائمة }.

أقول: تلك أوهام وأهواء، وهي باطلة جملة وتفصيلا، وكلام بلا عقل ،ولا شرع، ولا علم، وأسطورة كالأساطير التي عرضها السواح في كتبه عن الأساطير، فكلامه لا يختلف عنها. ولذلك فتلك الأوهام لا قيمة لها في ميزان الوحي والعقل والعلم، لأنها مزاعم لا دليل صحيح يُثبتها.

وتفصيل ذلك أولا، إن الزعم بأن الإنسان الأول لم يكن يعرف خالقه ولا الدين ، ولا حقيقة وجوده، هو كلام بلا علم، ولا يصح قوله، ولا يقوله إنسان عاقل يحترم العقل والوحي والعلم، وإنما يقوله جاهل، أو صاحب هوى. لأن الإنسان الأول والبشر الأوائل الذين كانوا معه لا شك أنهم كانوا يعلمون يقينا أصلهم وخالقهم والغاية التي خلقهم من أجلها. وهذه الحقيقة يؤيدها العقل ،ولا ينفيها ، ويؤكدها الوحي قطعا. فبما أنه لا يُعقل ولا يصح أن يكون هؤلاء الأوائل لا يعرفون خالقهم وأصلهم، والغاية من خلقهم، فالذي لا شك فيه شرعا أن آدم عليه السلام وأولاده وابناءهم والجماعة البشرية الأولى كانوا يعلمون يقينا خالقهم ولماذا خلقهم ؟، وكانوا يعبدونه بالدين الذي أمرهم به ولم يمروا بمرحلتي السحر والشرك المزعومتين.

قال تعالى:{ قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ [البقرة : 38] }.،و{فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ [البقرة : 37]}،و{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ [المائدة : 27]}،و{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ [البقرة : 213]} .

وبذلك يتبين أن الدين الحق ظهر مع الإنسان الأول وأولاده وأحفاده ومن جاء بعدهم ، وعندما كثر البشر وتناقضت النوايا والرغبات والمصالح والأهواء، فمنهم من اتبع الرسل، ومنهم من كفر بهم. ثم عندما كثر الكفار على اختلاف نحلهم وفرقهم، وتناقص المؤمنون وهم أتباع الرسل، انتشر الكفر أكثر من الإيمان وأصبحت له دول، وتنوعت طرق الكفر والشرك والإلحاد والضلال، وأصبح ذلك هو الغالب على البشر قديما وحديثا كما هو مُشاهد في زماننا. وهذه الحقيقة التاريخية والمعاصرة قررها القرآن وأكدها بقوله تعالى: { فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً [الفرقان : 50] }، و{وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ [يوسف : 103]}،و{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ [يوسف : 106]}، و{ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ [الروم : 42]}.

تلك الحقائق الدامغة تنفي مزاعم السواح وخرافاته ، وتنقضها عليه من جهة؛ وتكشف من جهة أخرى تحريفاته وأوهامه وخداعه للقراء وكتابته للأباطيل وانتصاره لها على حساب العقل والشرع والعلم.كما أنها تبين بوضوح مدى سلبيته وانهزاميته وضعفه وتبعيته للباحث الذي نقل كلامه، فقبله وأيده من دون أية مناقشة مع علمه بأنه زعم يحتاج إلى أدلة صحيحة تثبته، وأنه مخالف لدين الإسلام.

ومن أوهام السواح أيضا والمتعلقة بمكونات الدين أنه قال: { إن النظرة الفاحصة إلى تاريخ وجغرافية دين الإنسان تكشف لنا عن بنية موحدة للدين، أنَّى التقينا به كظاهرة ثقافية رائدة . وهذه البنية تقوم هذه البنية على عدد من العناصر أو المكونات ، بعضها أساسي لا نستطيع التعرف على الظاهرة الدينية بدونه، وآخر ثانوي لا يلعب دورا حاسما في

تكوين الدين ، أو في تعرفنا على الظاهرة الدينية . وسنلتفت في هذا الفصل إلى المكونات الأساسية، وهي: المعتقد والطقس والأسطورة }.
والمعتقد الديني { هو أول أشكال التعبيرات الجمعية عن الخبرة الدينية الفردية التي خرجت من حيز الانفعال العاطفي إلى حيز التأمل الذهني. ويبدو ان توصل الخبرة الدينية الى تكوين معتقد، هو حاجة سيكولوجية ماسّة، لأن المعتقد هو الذي يعطي للخبرة الدينية شكلها المعقول، الذي يعمل على ضبط وتقنين أحوالها. فبعد تلك المواجهة الانفعالية مع القدسي في أعماق النفس، يتدخل عقل الإنسان من أجل صياغة مفاهيم من شأنها إسقاط التجربة الداخلية على العالم الخارجي، ومَوضَعة القدسي هناك}.

أقول: في الحقيقة أن الدين في أساسه يتكون من قسمين أساسيين وليس ثلاثة، هما: الاعتقاد، ثم السلوك- التطبيق- على مستوى الفكر والقلب والجوارح في العبادات والمعاملات. وإما بالنسبة للأسطورة فهي من السلوك ،ولا شك أنها وجدت في كل الأديان والمذاهب والفلسفات تقريبا قديما وحديثا، لكن وجودها ليس ضروريا أبدا، فلا يُمكن أن توجد في دين الله الحق أولا، وهذا ثابت في دين الإسلام فلا وجود لها في القرآن ولا في السنة الصحيحة الموافقة له، ولا يصح الالتفات لما يخالفهما فيما ترويه كتب أهل الأهواء والإسرائيليات فذلك ليس من دين الإسلام قطعا . كما أن الأساطير لم يكن لها وجود أصلا في كل دعوات الأنبياء عليهم السلام، وإنما وجدت في الأديان والمذاهب الباطلة والرسالات الإلهية المحرفة. ولا يُمكن من جهة أخرى ان توجد الأساطير في الاعتقاد الصحيح الملتزم بما يقوله الوحي الصحيح، والعقل الصريح والعلم الصحيح. لأن الأسطورة توجد في الأديان والمذاهب والفلسفات عندما لا يلتزم أصحابها بما يقوله الوحي، والعقل والعلم، أو عندما يرفضونه ويقدمون عليه أهواءهم وظنونهم ومصالحهم لغايات في نفوسهم.

علما بأن كلام السواح عن المعتقد الديني ناقص وفيه وهم ، وذلك أن الاعتقاد في الله والبحث عنه هو ضرورة فطرية طبيعية في الإنسان ، وضرورة عقلية وكونية أيضا. هذه الضرورات هي ليست وليدة أحاسيس وانفعالات ذاتية وهمية، وإنما هي ضرورات طبيعية موضوعية تفرض على الإنسان نفسها بقوة الفطرة، والعقل والعلم. فالاعتقاد الديني ليس أمرا اختلقه الإنسان، وإنما هو أمر ضروري فرض نفسه على الإنسان قديما

وحديثا على المؤمنين والملاحدة معا. بدليل أننا نرى البشر في زماننا كلهم منشغلين بالله تعالى فمنهم من يبحث عنه، ومنهم من وصل إلى الإيمان به ويدعو إليه، ومنهم من كفر به وجحده وأنكر وجوده ، وهم الملاحدة من جهة، لكنهم من جهة أخرى فهم منشغلون به بإعلان كفرهم به، ودعوة الناس إلى الكفر بخالقهم، ومحاربة الذين يؤمنون به !!!!

والاعتقاد بالله يصل إليه الإنسان بواسطة الوحي الإلهي إن وجد، أو بالعقل، أو بالعلم، أو بكل ذلك، فتتكاتف تلك الوسائل والمصادر في تقديم الاعتقاد الحق للإنسان. وأصول هذا الاعتقاد تقوم على الإجابة على الأسئلة المُلحة التي تفرض نفسها على الإنسان إلحاحا، وهي: من أين أتى الإنسان؟، ولماذا أتى؟، وما هو مصيره بعد مماته؟. هذه الأسئلة المصيرية إجابتها موجودة في الأديان، وفي الفلسفات، ويستطيع العقل البشري أن يبحث عن إجابات لها بغض النظر أكانت صحيحة أم لا ، لكن الإنسان لن يستطيع أن يصل في ذلك إلى إجابات يقينية قطعية، لأن الإجابة عنها بحق ويقين وقطع لا توجد إلى عند خالق الإنسان، ولا سبيل إليها إلا عن طريق الوحي، ولا وحي صحيح إلا في القرآن الكريم. وهذا أمر ثابت بدليل القرآن والعقل والعلم ليس هنا موضع تفصيله.

ومن أوهام السواح أيضا، أنه قال بأن { ظاهرة مؤسسي الديانات من الأفراد هي ظاهرة حديثة نسبيا ، ومعلوماتنا عنها لا تؤهلنا لمتابعتها إلى ما وراء القرن السادس قبل الميلاد}. قوله هذا ناقص جدا، وفيه وهم كبير، وإغفال لحقيقة عظمى ما كان له أن يُغفلها، وهي ظاهرة الأفراد الذين جاؤوا بدين الله تعالى ورسالاته إلى البشر قبل القرن السادس قبل الميلاد بعشرات القرون، ووجودهم ثابت بالشرع والتاريخ أيضا، وعلى اقل تقدير لا يوجد دليل تاريخي صحيح ينفي وجودهم؛ فكان يجب على السواح أن يُشير إليهم، لأن العلم يفرض عليه ذلك بغض النظر عن موقفه منهم . وهؤلاء الأنبياء عليهم السلام، هم أفراد جاؤوا بدين الله ، ويرجع زمانهم منذ آدم عليه السلام وإلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق-عليهم السلام- ومن جاء بعدهم من الأنبياء وهؤلاء عاشوا قديما لأن إبراهيم عليه السلام يعود زمانه إلى نحو القرن 18 قبل الميلاد . ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ

أَوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيـهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ [البقرة : 213]}.

وأخيرا ، إن من أوهام السواح أيضا أنه عندما تكلم عن علاقة الأخلاق بالدين قال بأن الدين والأخلاق " { مفهومان مختلفان تمام الاختلاف من حيث الأصل، ومتمايزان كل التمايز بالرغم من ما يبدو من صلتهما الوطيدة . فالدين عبارة عن معتقدات وممارسات تنظم موقف الإنسان تجاه عالم المقدسات وتزوده برؤية شمولية للكون وموضع الإنسان فيه . أما الأخلاق فإنها قواعد وممارسات تنظم موقف الفرد من الآخرين وسلوك الأفراد تجاه بعضهم بعضا وتجاه الجماعة التي ينتمون إليها }.

أقول: واضح من ذلك ، أن تعريف السواح للدين والأخلاق ناقص وضعيف ، وفيه وهم وباطل، وتحريف وتلاعب. لأن الدين بمعناه الواسع والصحيح وبغض النظر عن نوعه فإنه لا يُمكن أن تنفصل الأخلاق عنه من جهة، ولا يُمكن من جهة أخرى أن يوجد إنسان ولا مجتمع بلا دين بغض النظر أكان صحيحا أم باطلا، سماويا أو أرضيا، مذهبا أو فلسفة. وهذا يعني بالضرورة أن لكل شخص أو مجتمع أو دولة أخلاقها حسب دينها . فالإلحاد دين ، له أخلاق إلحادية، والعلمانية دين لها أخلاق علمانية، والماركسية دين لها أخلاق ماركسية، والبوذية دين لها أخلاق بوذية، ووحدة الوجود دين لها أخلاق صوفية وحدوية، وهكذا مع كل الأديان، وينطبق على كل العقائد والاتجاهات الفكرية والفلسفية والمذهبية. وعليه فإن كل الناس يتعاملون مع أنفسهم والأفراد والجماعات بأخلاق هي انعكاس لأديانهم ومذاهبهم وفلسفاتهم في كل جوانب الحياة بغض النظر عن نوعها، ولا ينفع وصفها بأنها قواعد وممارسات للأفراد والمجتمعات ؛ فهي في النهاية أخلاق دينية. وعليه فلا أخلاق بلا دين، ولا دين بلا أخلاق. ولا يصح أبدا وصفهما بأنهما{ مفهومان مختلفان تمام الاختلاف من حيث الأصل، ومتمايزان كل التمايز} ، إنه وصف باطل، لأن الأخلاق هي بالضرورة انعكاس لدين الفرد والمجتمع بغض النظر عن نوعه. والدين على تعدده لا يتعلق بالمقدسات فقط، وإنما يتعلق بكل جوانب حياة الإنسان النفسية والعقلية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية . وباختصار مُركّز إن

الدين هو عقائد في القلب، وأفعال في الواقع والمشاعر والفكر، وعليه فيستحيل أن تنفصل الأخلاق عن الدين.

وبذلك يتبين بجلاء أن كلام الكاتب فراس السواح عن العلاقة بين الدين والأخلاق هو وهم وباطل، ومحاولة فاشلة وزائفة، قاله جهلا، أو تعمدا وتحريفا لغايات في نفسه من جهة؛ ويكفي تصوّره للحكم عليه بالبطلان من جهة أخرى .وهو شاهد آخر على كثرة أوهام السواح فيما كتبه عن الدين نشأة وتعريفا وتاريخا ، وقد ذكرنا شواهد منها في هذا المبحث، واتضح منها فداحة أوهامه وأباطيله، والراجح أنه وقع فيها تعمدا لا جهلا انتصارا لدنه وأخلاقه.

ثانيا: الزعم بأن الإسلام تطور كغيره من الأديان:

يُلاحظ على العلمانيين الباحثين في الأديان أن الغالب عليهم أنهم يُصرون على إصدار أحكام عامة على كل الأديان حتى وإن كانت لا تصدق عليها جميعا، يُصدرونها لغايات ذاتية حسب أهوائهم. من ذلك مثلا أن السواح قال:{ ولقد خضعت الأديان التوحيدية للتطور والتبدل مثل غيرها من الأديان، على الرغم من تثبيت عقائدها في كتب مُقدسة حفظت نصوصها من التغيير والتبديل. فمسيحية الأناجيل وبقية أسفار العهد الجديد لا تشبه مسيحية بولس الرسول الذي يحمل لقب مؤسس المسيحية، ومسيحية بولس لا تشبه كثيرا مسيحية قانون الإيمان الذي صاغه مجمع نيقية الذي انعقد في العام 325 م ...}. ثم قال: { وفي الإسلام حصل التطور على ثلاثة محاور، وهي: 1- الحديث، أي ما وصل المسلمين من أقوال الرسول وأفعاله.2- علم التفسير، أي تفسير ألفاظ ومعاني القرآن الكريم . 3- علم الكلام، وهو علم العقائد الإسلامية الذي يقابل اللاهوت في الديانة المسيحية.ومن خلال هذه العلوم أحدث العقل الإسلامي ما يشاء على الإسلام من تطوير وتغيير، وتعددت الطوائف الإسلامية ، وكل طائفة تدعي بأنها الصيغة الحقيقية للإسلام في مقابل بقية الطوائف، وكلها تدعي أيضا بأنها تستند إلى القرآن وإلى الحديث الشريف}.

أقول: أولا ، نعم لقد حدث تغيير وتحريف لليهودية والنصرانية وغيرهما من الأديان،وهذا الأمر ثابت بدليل القرآن الكريم الذي ذكرا جانبا كبيرا من انحرافات أهل الكتاب وتحريفهم لدينهم، ثم حكم عليهم بسبب ذلك

بأنهم ليسوا على الدين الحق، بقوله : (وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ [التوبة : 29]). وثابت أيضا بدليل الدراسات العلمية الكثيرة التي بينت التغييرات والتحريفات والتلاعبات التي حدثت لليهودية والنصرانية من جهة؛ وأثبتت صدق ما قاله القرآن الكريم عنهما من جهة أخرى.

وذلك الذي حدث لتلك الأديان لم يحدث للإسلام أبدا، وزعم السواح باطل قطعا وفيه تحريف وغش وتدليس. والإسلام دين واحد ، ولا يوجد اثنان ولا أكثر، ولا يُمكن أن يوجد أكثر من واحد، ومن يقل بخلاف هذا فهو جاهل أو صاحب هوى. والقرآن الكريم قد وصلنا بالتواتر الإسنادي، والتطبيقي، والمحفوظ ، والمخطوط ، ويكفي أن نتذكر أن الله تعالى تولى حفظ كتابه،و ليس هنا موضع تفصيله. والإسلام لا يوجد إلا في القرآن الكريم أولا، ثم ثانيا في روايات السنة النبوية الصحيحة الموافقة للقرآن والتابعة له، والمحكومة به، والتي لا يُمكن أن تكون حَكما عليه،ولا أن تتقدم عليه أيضا. لأن القرآن هو كتاب الله المحفوظ والقطعي الثبوت ، ولا يُمكن لروايات بشرية ظنية أن تتقدم عليه، ولا أن تنسخه ، حتى وإن كانت متواترة، لأن تواترها نسبي ومنقول بروايات بشرية، ولا يُمكن لتواترها ان يصل في قوته تواتر القرآن وقطعية ثبوته وحفظ الله له.

ثانيا: إن ما قاله السواح عن تعرض الإسلام للتبديل والتطور بدعوى الاختلاف في الحديث النبوي، وفي علم التفسير، وعلم الكلام ليس دليلا ولا يصح الاعتماد عليه للحكم بتعرض الإسلام للتغيير والتطور . لأن ذلك الاختلاف صَنع المذاهب والفِرَق ولم يصل إلى الإسلام أبدا ولا طوّره.وعليه فنحن أمام إسلام القرآن والسنة الصحيحة الموافقة له من جهة؛ وأمام مذاهب وفرق إسلامية ليست هي الإسلام من جهة أخرى. وهي منها ما هو قريب جدا من الإسلام ،ومنها ما هو بعيد منه، ومنها ما هو بعيد جدا، ومنها ما هو ليس من الإسلام أصلا، وليس له منه إلا الاسم. وتلك المذاهب لا يصح أبدا أن نعرف بها الإسلام ولا نجعلها حكما عليه، وإنما الإسلام هو الحكم عليها ، ويجب عليها أن تعود إليه وتأخذ به كما يأمر هو من جهة؛ ويجب عليها من جهة ثانية أن تترك مذاهبها وتراثها وراء ظهرها عندما تعرض نفسها عليه؛ ويجب عليها من جهة ثالثة أن

تتخلص من مذاهبها وتراثها نهائيا إذا خالفت الإسلام. وبما أن الأمر كما ذكرناه فقول السواح زعم باطل ولا قيمة له ومردود عليه .

وأما قوله بأن كل المذاهب والفِرق تدعي أنها تُمثل الإسلام وتعتمد على القرآن والحديث، فهذا كلام ادعته تلك الفرق، لكن على السواح أن لا يكتفي بذكر مزاعمها ، ويترك الأمر إشكالا مُكرسا معلقا لغايات مُبيتة؛ وإنما عليه أن يقول الحقيقة ويضع المنهج الصحيح لمعرفة ما هو موافق للإسلام وما هو مخالف له. لأنه بما أن تلك المذاهب متناقضة فيما بينها ومع الإسلام وتكفر بعضها بعضا، فلا يُمكن أن تكون موافقة للإسلام،فهي إما أنها كلها باطلة، أو صحيحة، أو بعضها صحيح والباقي باطل. وهنا يكون الحَكم والقاضي والفيصل هو القرآن الكريم وحده وليس الروايات لأن كل طائفة لها رواياتها التي تزعم أنها صحيحة. وهنا يجب الرجوع إلى القرآن دون خلفيات مذهبية ، ونعرض عليه المذاهب ونتركه يتكلم ويحكم عليها بنفسه وحده. ولا شك أن القرآن سيُبين لنا ما يوافقه وما لا يوافقه، وستظهر الحقيقة واضحة جلية، من هو الموافق للإسلام ومن المخالف له. ومن يرفض عرض مذهبه وأفكاره على القرآن الكريم بالمنهج الذي أشرنا إليه فهو جاهل أو ليس بمسلم. من ذلك مثلا ، فالفِرَق التي تنفي الصفات الإلهية أو وتُؤّولها عندما تعرض نفسها على القرآن يُخالفها ويبين بطلانها. وعندما تعرض الفِرَق التي تقول بالإمامة، وتدعي تحريف القرآن، وتكفر الصحابة، فإنها بلا شك عندما تعرض عقائدها على القرآن فلا شك أنه سينقضها ويبطلها ويضللها ويرفض مذهبها . هذا هو المنهج الصحيح لمعرفة الإسلام من غير الإسلام، وليس ما فعله السواح الذي عمم ودلّس وأخلط الأمر وافترى على الإسلام. وبذلك يتبين بجلاء أن الإسلام لم يتغير أبدا، وأن التغيرات التي أشار إليها السواح هي تطورات حدثت للمذاهب والفِرَق، وهي تمثل نفسها أولا ولا تُمثل الإسلام إلا بقدر موافقتها له، ولا يُمكن أن تكون هي الإسلام، ولا الإسلام تابعا لها.

ثالثا: أوهام في نشأة الأساطير وتطورها.

من أوهام السواح وأهوائه أنه عندما تكلم عن نشأة الأسطورة عند الإنسان الأول ، قال: { عندما انتصب الإنسان على قائمتين رفع رأسه الى السماء ورأى نجومها وحركة كواكبها ، وأدار رأسه فيما حوله فرأى الأرض وتضاريسها ونباتها وحيوانها ، أرعبته الصواعق ، وخلبت لبه

الرعود والبروق ، داهمته الأعاصير و الزلازل والبراكين ولاحقته الضواري، رأى الموت وعاين الحياة . حيرته الأحلام ولم يميزها تماماً عن الواقع ، الغاز في الخارج وأخرى في داخله . غموض يحيط به أينما توجه وكيفما أسند رأسه للنوم تعلم استخدام اليدين وصنع الأدوات ،وفي لحظات الأمن وزوال الخوف، كان لدى العقل متسع للتأمل في ذلك كله . من أين أتينا ؟ لماذا نعيش ؟ ولماذا نموت ؟ لماذا خلق الكون وكيف ؟ إلى اخر ما هنالك من أسئلة طرحت نفسها عليه . كان العقل صفحة بيضاء لم ينقش عليها شيء , و كأنه عضلة لم تألف الحركة خارج نطاق الغريزة ، وبعد حدود رد الفعل ، ومن أداته المتواضعة هذه ، كان عليه أن يبدأ مغامرة كبرى مع الكون ، و قفزة أولى نحو المعرفة ، فكانت الأسطورة ، وعندما يئس الإنسان تماماً من السحر ، كانت الأسطورة كل شيء له تأملاته وحكمته ، منطقه وأسلوبه في المعرفة ، أداته الأسبق في التفسير والتعليل ، أدبه وشعره و فنه ، شرعته وعرفه و قانونه انعكاسا خارجيا لحقائقه النفسية الداخلية . فالأسطورة نظام فكري متكامل ، استوعب قلق الانسان الوجودي ، و توقه الأبدي لكشف الغوامض التي يطرحها محيطه ، والأحاجي التي يتحداه بها التنظيم الكوني المحكم الذي يتحرك ضمنه ، إنها بحث عن النظام حيث لا نظام ، وطرح الجواب على ملحاح السؤال ، ورسم لوحة متكاملة للوجود ، لنجد مكاننا فيه ودورنا في إيقاعات الطبيعة . إنها الأداة التي تزودنا بمرشد ودليل في الحياة ، ومعيار أخلاقي في السلوك ,إنها مجمع الحياة الفكرية والروحية للإنسان القديم }.

أقول: تلك الأقوال هي مزاعم وأوهام وأهواء باطلة جملة وتفصيلا، فسر بها السواح حكاية نشأة الأسطورة، بأساطير جديدة توهمها بعقلية خرافية أسطورية. وتفصيل ذلك أولا: إن تلك المزاعم لا يوجد أي دليل علمي يؤيدها عقلا ولا شرعا ولا علما، والسواح لم يذكر أي دليل يثبت أوهامه، واكتفي بسرد ظنونه وأساطيره عن نشأة الأسطورة عند الإنسان الأول من دون أي دليل يثبتها.ونحن هنا نطالبه بالشواهد والأدلة التي تثبت أوهامه وخرافاته، ويجب عليه أن يأتي بها أو يعترف بأنه تكلم بلا علم إن كان محايدا منصفا من جهة؛ وعليه أن يعلم ويُقر أن مزاعمه لا تصح في ميزان الوحي والعقل والعلم من جهة أخرى.

من تلك الأوهام أنه أشار إلى إيمانه بحكاية التطور العضوي، عندما قال: { عندما انتصب الإنسان على قائمتين رفع رأسه إلى السماء }. هذه الحكاية هي خرافة باسم العلم اختلقها أهل الضلال والأهواء ، وهي باطلة بأدلة كثيرة جدا شرعا وعلما من جهة، وليس عندها ولا دليل واحد صحيح يُثبتها من جهة أخرى. والإنسان منذ ظهوره كان إنسانا كاملا ،ولم يتطور من حيوان، وليس هنا موضع تفصيل نقضها، وقد سبق لي أن نقضتها في عدة كتب، كما نقضها كثير من أهل العلم المعاصرين.

ثم إن السواح شرع في سرد أوهامه وخرافاته عن نشأة الأسطورة وكأنه كان حاضرا يرى نشأتها بعينيه، ومن دون أن يؤيدها بأي دليل واحد صحيح، ولا ضعيف.وبما أنه لم يفعل ذلك فكل ما قاله عن نشأتها مرفوض ويُعد من أوهامه وخرافاته. لأن العلم يقوم على الدليل الصحيح، وهو الذي يُحتج به ،وأما الظنون والأوهام والأهواء فلا يحتج بها ولا قيمة لها إن كانت مجردة عن الدليل ، ولا يعجز عنها أحد، ففي مقدور أي إنسان أن يتخيل كما تخيل السواح ويختلق أوهاما وأساطير ويعرضها على الناس، وهذا ليس من العلم في شيء.وليعلم السواح وأمثاله أنهم لن يستطيعوا أن يأتوا بدليل علمي واحد يثبت مزاعمهم من جهة، وليعلموا من جهة أخرى أنهم من المُضلين الذين يصدق عليهم قوله تعالى: { مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً [الكهف : 51] }.

ثانيا: ليس صحيحا أن الإنسان الأول لم يكن يعرف خالقه، ولا الغاية من خلقه ومصيره الذي ينتظره. إن القول بعدم معرفته لذلك لا دليل عليه، لأنه لا يوجد دليل يوصلنا إلى معرفة ذلك من جهة، وبينا من جهة أخرى في الفصل السابق بدليل العقل والشرع أن الإنسان الأول والبشر الأوائل كانوا على علم تام بخالقهم ودينهم والغاية من خلقهم ومصيرهم الذي ينتظرهم، فلا نعيد ذكر ذلك هنا.والإنسان الأول والجماعة الأولى من البشر فإن كانوا قليلي التجارب في مجال عمارة الأرض، فإنهم كانوا على علم تام بالله ودينه.

وأما حكاية السواح عن مغامرة العقل الأولى التي شرع فيها في البحث عن خالق الكون وأصل الإنسان والغاية من وجوده، فهي خرافة من

خرافات السواح وأمثاله،وهي باطلة قطعا، لأنه لا يوجد دليل يُثبتها، ولأنه بينا أن الإنسان الأول والبشر الأوائل كانوا يعرفون خالقهم ولماذا خلقهم ؟،وبماذا أمرهم؟. وعليه فلا يوجد أي مبرر لوجود أو افتراض تلك المغامرة الوهمية.

وأما الأساطير التي وصلتنا عن الشعوب القديمة فهي لم تكن مغامرات للبحث عن خالق الكون وأصل الإنسان ومهمته في الطبيعة، وإنما كانت تسجيلا لعقائد وأهواء وأحوال كاتبيها ومجتمعاتهم مع آلهتهم ومع أنفسهم ، دوّنوها انطلاقا من أديانهم . فتلك الأساطير لم تكن بحثا عن الخالق ولا عن الدين كما زعم السواح، لأنهم كانت لهم أديانهم وتاريخهم وقصصهم ، ولم يسجل التاريخ وجود أمة بلا دين بحكم أن الإنسان الأول والبشر الأوائل كان لهم دينهم، ومنهم انتقل الدين إلى خَلَفهم بغض النظر عن الانحرافات التي حدثت فيه من جهة؛ وسجلوا في أساطيرهم عقائدهم وأهواءهم وطموحاتهم من جهة ثانية. وبما أن الأمر كذلك فحكاية مغامرة العقل الأولى التي اختلقها وتوهمها السواح وقصها على الناس في كتابه لا أصل لها، ولم تكن مغامرة كبرى ولا صغرى، ولا قفزة نحو المعرفة، ولا كانت تأسيسا للأسطورة؛ وإنما هي وهم من أوهامه وأسطورة من أساطيره الكثيرة التي تضمنتها كتبه الأسطورية!!!! .

ومن أوهام السواح أيضا أنه تكلم عن الأسطورة، فكان مما قاله أنه وصفها بأنها{ حكاية مقدسة يلعب أدوارها الآلهة و أنصاف الآلهة. أحداثها ليست مصنوعة أو متخيلة بل وقائع حصلت في الأزمنة الأولى، إنها سجل أفعال الآلهة، التي أخرجت الكون من لجة العماء، ووطدت كل شيء قائم . ووضعت صيغة أولى لكل الأمور الجارية في عالم البشر. فهي معتقد راسخ، الكفر به فقدان الفرد لكل القيم التي تشده إلى جماعته و ثقافته وفقدان المعنى في الحياة }.

أقول: إن السواح عرض معنى الأسطورة وصفاتها وأثرها وأهميتها بأسلوب تقريري وكأنها حقيقة علمية بكل مضامينها. وهذا أسلوب فيه تضليل للناس وتحريف للحقيقية، لأنه كان عليه أن يعرضها بصيغة الناقل لا المقرر، وهو نفسه لا يؤمن بما قاله. فكان عليه أن يقول مثلا: يظهر من الأساطير أن الناس كانوا يعتقدون بصحتها، وانه كان عليهم أن يؤمنوا . أو يقول: يبدو من الأسطورة أنه كانت لها سلطة حقيقية على الناس الذين ظهرت فيهم الأسطور، فكانوا يصدقون بكل ما ورد فيها. لكن السواح لم

يفعل ذلك، فقد عرض كلامه وكأن ما ورد في الأسطورة هو حقيقة علمية ، ويجب الإيمان بها!!!!. ولاشك أن الحقيقة ليست كذلك، فبغض النظر عن مواقف الناس منها إيمانا بها أو رفضا لها، فمضمون ذلك الكلام باطل قطعا جملة وتفصيلا، ولا قيمة له في الحقيقة بميزان الوحي والعقل والعلم.

علما بأن ذلك الوصف للأسطورة ليس وصفا أبديا ولا ضروريا لها، بحكم أن الأسطورة لها أشكال ومواضيع كثيرة ومتنوعة تتكيف وتتشكل حسب ظروف وأحوال كُتابها. ويشهد التاريخ والواقع، أن الأسطورة قد ترد في أسلوب فلسفي، أو ديني، أو أدبي، أو حتى علمي كما هو حال كثير من الأساطير في عصرنا الحالي التي تسترت فيه بالعلم.

ومن أوهام السواح أيضا أنه عندما تكلم عما قالته بعض الأساطير عن صدور الأشياء من المياه الأولى قال: { أما صدور الأشياء عن المياه الأولى، فلا يبتعد عن الاكتشافات العلمية الحديثة المتعلقة بنشأة الحياة وتطورها من البحر } .

أقول: إن قوله بأن الاكتشافات العلمية أثبتت نشأة الحياة وتطورها من البحر،هو أمر لم يحدث إلى اليوم، ولم يثبت ذلك علميا بالأدلة الحفرية ولا في المخابر ، ولا في الواقع الذي نراه. وكل ما قيل عن نشأة الحياة في الأوساط العلمية إلى اليوم هو تفسيرات قامت على الظنون والأوهام والأهواء، خاصة ما قاله التطوريون، فقد مارسوا مختلف أنواع التحريف والتضليل لتأييد قولهم بخرافة نشأة الحياة في البحر وتطورها عضويا. هذه المزاعم والأهواء لا تختلف عن أساطير الأولين ولا ينفعها تسترها بالعلم زورا وبهتانا. والشيء المؤكد قطعا أن الإنسان إلى اليوم ما زال يبحث عن لغز الحياة : ظهورا وتنوعا، ولم يصل إليه، ولو وصل إليه لأقام الماديون الدنيا ولم يُقعدوها، مما يُؤكد أن ما قاله السواح ليس بصحيح.

ومن أوهام السواح، أنه عندما تكلم عن الميلاد المائي للكون حسب ما ورد في الأساطير، زعم أن القرآن الكريم هو أيضا قال بذلك الميلاد، فقال:{ "تثبت لنا هذه الأساطير السومرية تقاليد بقيت سائدة فى الفكر الأسطوري لحضارات المنطقة والحضارات الأخرى المجاورة. ففكرة الميلاد المائي تتكرر فيما بعد فى الأساطير البابلية التى تحكى عن ولادة

الكون من المياه الاولى "تعامة" المقابلة ل " نمو" السومرية. وفى الأسطورة السورية نجد "يم" المياه الأولى وقد انتصر عليه الإله بعل وشرع بعد انتصاره تنظيم العالم. وفى الأسطورة المصرية كان " رع" أول إله يخرج من المياه الأولى وهو الذى أنجب فيما بعد بقية الآلهة . وفى الأسطورة الإغريقية نجد " اوقيانوس " هو المياه الأولى ، والإله البدئي الذي نشأ عنه الكون والحياة. وفى التوراة العبرانية أيضا نجد المياه الأولى وروح الرب فوقها قبل التكوين " وكانت الأرض خربة وخالية وروح الرب يرف فوق وجه الماء" التكوين. كما أثبت لنا القرآن الكريم وهو نهاية الوحي الذي ابتدأ بسيدنا آدم وجود المياه البدئية إذ قال: {َهُوَ الَّذِي خَلَق السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء }،و{" وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ [الأنبياء : 30] " } .

أقول: إن السواح عمم حكمه المتعلق بالخلق الأسطوري للكون كما ورد في الأساطير ، وجعله ينطبق أيضا على القرآن الكريم، وألحقه بتلك الأساطير بطريقة تحريفية مكشوفة. وبذلك فهو قد مارس التحريف والانتقاء والإغفال في تعامله مع القرآن، وزعم أن القرآن يقول بالميلاد المائي للكون موافقا لما قالته تلك الأساطير . فعل ذلك عمدا لغايات في نفسه، ولا يشفع للسواح قوله: " كما أثبت لنا القرآن الكريم وهو نهاية الوحي الذي ابتدأ بسيدنا آدم "، قاله للتأثير على القارئ ويُوحي إليه بأنه يُعظم القرآن ويُبجله. وهو قد فعل ذلك تقية وذرا للرماد في العيون، وإلا ما خالف القرآن هنا وفي مواضع كثيرة جدا في كتبه وقد بينا جانبا منها في كتابنا هذا. والحقيقة أن القرآن الكريم لم يقل أبدا بالميلاد المائي للكون ولا بأزلية المادة؛ وإنما ذكر أن مخلوقات كانت موجودة قبل خلق كوننا هذا، منها العرش والماء، والعرش كان على الماء، ولم يقل أبدا أن كوننا هذا ميلاده من الماء، فلا هو خُلق من الماء، ولا خُلق فيه، وإنما الماء نفسه من ضمن مخلوقات الكون، وقد ظهر بعد خلق السموات والأرض . والكون في القرآن خُلق خلقا من العدم ولم يُخلق من الماء ولا من مادة أخرى. وإنما السواح هو الذي وجه الآية حسب هواه من جهة، ولم يذكر من جهة أخرى الآيات التي تكلمت عن بداية خلق الكون، ومراحل تكونه ومنها خلق الماء، الذي جعل الله منه كل شيء حي. والحقيقة أن القرآن ذكر مراحل خلق الكون كما يأتي:

أولا : إن الله تعالى هو خالق كل شيء، وأنه إذا أراد أمرا فيقل له كن فيكون، يخلقه من عدم، أو من مادة سابقة له ،وكل الموجودات من خلق الله. فلا إله إلا هو ولا خالق سواه. قال تعالى: { اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ [الزمر : 62] }،و{ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً [الفرقان : 2] }،و{ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [يس : 82] }.

ثانيا: إن الله تعالى بدأ خلق الكون من الرتق، ثم الفتق ، وليس من الماء ، قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ [الأنبياء : 30]}.

ثالثا: تأتي بعد ذلك المرحلة الغازية ، وفيها تم خلق وتسوية السموات بمكوناتها، قال تعالى: { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ،فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [فصلت : 11] }، و{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً [الإسراء : 12] }.

رابعا:تهيئة الأرض لتكون مناسبة لاستقبال الإنسان والكائنات الأخرى التي ستعيش عليها ،قال تعالى: { وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ [فصلت : 10]}،{فمحونا آية}. وفي هذه المرحلة ظهر الماء على الأرض ، ثم بعد ذلك خلق الله تعالى النباتات والحيوانات والإنسان حسب زمن كل نوع، وحسب العصر الذي سيُخلق فيه، قال تعالى: { وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [النور : 45]}. واضح مما ذكرناه عن خلق الكون في القرآن انه ليس كما زعم السواح الذي تعامل مع آيات الخلق في القرآن بهوى وتحريف وانتقائية ليُلحق القرآن بما قالته الأساطير، فعل ذلك عن سابق إصرار وترصد انتصارا لدينه وهواه .

ومن مغالطات السواح وأوهامه أنه عندما تكلم عن قول الأساطير عن اتحاد السماء والأرض وفصلهما بفعل الآلهة، ألحق ما قاله القرآن عن خلق السموات والأرض بالأساطير وسوى بينه وبين بينها في ذلك الأمر. فكان مما قاله: { وكذلك فيما يتعلق بفكرة لقاح السماء والأرض المتحدتين والفصل بينهما فيما بعد. ففي الأسطورة المصرية نجد "جيب" إله الأرض و"نوت" آلهة السماء تزوجا بعضهما سراً دون إذن "رع" فأرسل لهما إله الهواء "شو" الذي أبعدهما عن بعض عنوة. وفي الأسطورة الإغريقية نجد "جيا" الأرض الأم الأولى، تلد نظيرها "أورانوس" إله السماء الذي يغطيها من كل الجوانب وتتحد به لتلد جميع الآلهة، ويتم التفريق بينهما عنوة. وفي الأسطورة البابلية يقوم الإله "مردوخ" بشطر جسد الآلهة "تعامة" المياه الأولى إلى نصفين فيرفع الأولى سماء، ويبسط الثاني أرضاً. وفي الأسطورة التوراتية يقوم إله العبرانيين "يهوه" أيضاً بفصل المياه الأولى إلى شطرين رفع الأولى إلى سماء وبسط الثاني الذي تجمع ماؤه في جانب، وبرزت منه اليابسة في جانب آخر. وأخيراً ذكر لنا القرآن الكريم واقعة فصل السماء عن الأرض بقوله: " {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ [الأنبياء : 30]} " } .

أقول: أولا، واضح من كلام السواح أنه يتعمد التحريف والتلاعب إتباعا لأهوائه وأوهامه، وهو مُصر عليها عن سابق إصرار وترصد من أجل الطعن في القرآن وتشويهه وإلحاقه بالأساطير فيما قالته عن فصل السموات والأرض. والحقيقة إن ما قاله السواح عن فصل السموات والأرض في القرآن وإلحاقه بالأساطير وسكوته عن مخالفة القرآن لها، وتفوقه عليها ، بل والمعجزات العلمية التي تضمنها عن خلق الكون، كل ذلك يشهد بأن السواح باحث متعصب للباطل، وليس محايدا ولا نزيها فيما قاله عن القرآن الكريم.

ثانيا: إن مما يُبطل مزاعم السواح ويكشف تحريفه وتدليسه فيما قاله عن القرآن وإخفاء حقائقه العلمية، وإصراره على الحاقه بالأساطير زورا وبهتانا هو أن القرآن الكريم لم يقل بأن السموات والأرض خُلقتا باتحاد إلهين ثم تم بالفصل بينهما، ولا تكوّنا من الفصل بين المياه الأولى؛ وإنما ذكر بصراحة أنه تم خلق السموات والأرض بعد عدم ، خُلقتا أولا من مادة

واحدة سماها القرآن رتقا، ثم فتقهما وفصلهما وبذلك تكوّن الدخان- الغازات- ، ثم جاءت المراحل الأخرى كما بيناها في الوهم السابق. وهذا الذي قاله القرآن مختلف تماما عما ذكرته تلك الأساطير من أوهام وأباطيل ومهازل من جهة؛ ويتفق من جهة أخرى مع ما يقوله العلم المعاصر فيما قاله عن خلق الكون كقوله بنظرية الانفجار العظيم، ومرور الكون بمراحل، كالمرحلة الغازية، ثم الملتهبة، وانطفاء الكواكب ، وبقاء النجوم ملتهبة، ومرور الأرض بأزمنة جيولوجية، وكل هذه المعطيات أشار إليها القرآن الكريم بإشارات علمية معجزة رائعة مذهلة لا وجود لها في الأساطير ولا في الكتب المقدسة . وهذه الحقائق توجد كتب كثيرة شرحتها بعلمية وموضوعية، ليس هنا موضع تفصيلها، لكن السواح المتعصب للباطل أغفل كل ذلك وجعله وراء ظهره ، ومارس التحريف والإغفال لطمس حقائق القرآن والحاقه بالأساطير انتصارا لأوهامه وأهوائه!!!!.

ومن أوهام السواح أيضا أنه قال: {والأسطورة السومرية المتعلقة بخلق الإنسان، هي أول أسطورة خطتها يد الإنسان عن هذا الموضوع. وعلى منوالها جرت أساطير المنطقة، والمناطق المجاورة، التي استمدت منها عناصرها الأساسية، خصوصا فكرة تكوين الإنسان من طين، وفكرة تصوير الإنسان على صورة آلهة} .

أقول: أولا، ذلك القول زعم باطل وكلام بلا علم ، ولا يصح قوله بذلك الأسلوب . كان يجب عليه أن لا يجزم وإنما يجعله قولا احتماليا معلقا. لا يصح قوله لأنه بما أن الإنسان السومري سبقه بشر آخرون، وعاصروه أيضا في مناطق أخرى من العالم، وكانت لهم حضارات راقية أيضا؛ فقوله لا يصح إلا بأدلة علمية تُثبته. ولذلك لا يصح أبدا القول بأن الأسطورة السومرية في خلق الإنسان هي أول أسطورة كتبها الإنسان في هذا الموضوع. ولا يصح ذلك إلا بعد التأكد بالأدلة العلمية بعد البحث الشامل والدقيق عن الأساطير التي تكلمت عن خلق الإنسان؛ على أن يشمل ذلك البحث كل الأرض ظاهرا وباطنا. وبما أن ذلك لم يحدث ولا فعله السواح ولا هو في مقدوره أن يقوم به فمن الممكن جدا أنه قد كُتبت أساطير كثيرة عن خلق الإنسان وغيره قبل الأسطورة السومرية، أو في نفس العصر. وعليه فكلام السواح هو من أوهامه وأهوائه وليس من العلم ولا من العقل في شيء. فكان عليه أن لا يصدر حكما قطعيا تأييدا لزعمه، وإنما يقول

مثلا: ربما كانت الأسطورة السومرية أول أسطورة تتعلق بخلق الإنسان. أو يقول: إن الأسطورة السومرية هي أول أسطورة تم اكتشافها من أساطير البشر. أو يقول: إلى اليوم لم تكتشف أساطير جديدة سبقت الأسطورة السومرية. فذلك الحكم القطعي هو شاهد على السواح انه تكلم بلا علم انتصارا لأوهامه وأهوائه.

ثانيا: ونفس ذلك الأمر ينطبق على ما قال السواح عن فكرة خلق الإنسان من طين . لأن هذه الفكرة أو المبدأ ليست خاصة بالأسطورة السومرية، فمن الممكن جدا أنه قد سبقتها أساطير أخرى تكلمت عن فكرة خلق الإنسان من طين . بما أنه لم يثبت أن الأسطورة السومرية ليست هي أول الأساطير فلا يصح القول بما قاله السواح عن خلق الإنسان من طين. ومما يُبطل زعمه أنه من الثابت شرعا أن خلق الإنسان من طين معروف عند أول إنسان وأولاده وهو آدم عليه السلام، ثم عند الأنبياء وأتباعهم قبل السومريين وبعدهم. واضح من ذلك أن السواح تكلم بهواه ، ولم يتكلم بعلم ولا شرع، ولا بعقل صريح.

ومن أوهام السواح أيضا : انه عندما عرض أسطورة تتعلق بخلق الكون أشار إلى أنها لم تقل أن الكون الحالي خلق من عدم وإنما خُلق من مادة سابقة، هي الماء، ثم قال: { إن فكرة انبثاق الوجود الحالي من وجود سابق له، تتخلل فكر المنطقة، وتميز كل التأملات الخاصة بالتكوين، كما نجد في سفر التكوين العبراني{في البدء خلق الرب السموات والأرض. وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الرب يرف فوق وجه المياه } وإلى يومنا هذا، لم يقبل العلم الحديث فكرة العدم المطلق، فكل نظريات التكوين العلمية تتحدث عن نشوء الكون من مادة ما بدئية، ووجود ما سابق. كما أثبت القرآن الكريم فكرة الوجود السابق على الخلق عندما قال { وَهُوَ الَّذِي خَلَق السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ [هود : 7] } .كما أشار محمد (ص) في الحديث الشريف إلى نفس الموضوع عندما أجاب على سؤال: أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق؟ فقال: كان في عماء ،-والعماء هو الغيم الرقيق الذي يحول بين الناظر وبين الشمس-} .

أقول: تضمن ذلك القول أوهاما وأخطاء، منها أولا، إن القرآن الكريم تكلم عن الخلق بشكل واضح، وحدد معناه. وتفصيل ذلك هو أن معنى عبارة " الخَلْق" ، مأخوذ من فعل: خَلَقَ ،يَخلُقُ ، وهو فعل من أفعال الله تعالى، فهو الخالق والخلاق ولا يتصف بفعل الخلق على الحقيقة إلا الله تعالى، لقوله تعالى: ((بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ)(يس: 81))، و((ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ)(غافر : 62)) ،و((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (فاطر: 3))، و((وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ [النحل : 20]))،و((وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ [الفرقان : 3])).

واضح من تلك الآيات المتعلقة بفعل الخَلْق أنه يعنى إيجاد الشيء بعد أن لم يكن موجودا ، إما من عدم أو من مادة كانت مخلوقة من قبل. بدليل قوله تعالى: ((إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (يس : 82))، و((الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً)(الفرقان : 59))، فلم يقل أنه سبحانه خلقها من مادة كانت مخلوقة، لكنه عندما تكلم عن الكائنات الحية التي خلقها بعد خلق الكون من عدم كالحيوان والإنسان والجن فإنه أشار إلى انه خلقها من مادة كانت مخلوقة من قبل، فقال: ((وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(النور : 45))، و((الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ (السجدة : 7))، و((وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ)(الرحمن : 15)).

ونفس ذلك المعنى نصت عليه معاجم اللغة، ، منها قول ابن منظور في لسان العرب: ((ومن صفات الله تعالى الخالق والخلاَّق ولا تجوز هذه الصفة بالأَلف واللام لغير الله عز وجل وهو الذي أَوجد الأَشياء جميعها بعد أَن لم تكن موجودة وأَصل الخلق التقدير فهو باعْتبار تقدير ما منه وجُودُها وبالاعتبار للإِيجادِ على وَفْقِ التقدير خالقٌ والخَلْقُ في كلام العرب ابتِداع الشيء على مِثال لم يُسبق إِليه وكل شيء خلَقه الله فهو مُبْتَدِئه على غير مثال سُبق إِليه أَلا له الخَلق والأَمر تبارك الله أَحسن الخالقين)).

وبما أن الأمر كذلك، فإن القرآن الكريم قد ذكر صراحة أن الله خلق الكون ، ولم يقل أبدا أنه خلقه من مادة سابقة، وإنما خلقه ابتداء من دون مادة، أي أنه خلقه من عدم . كما أنه لم يقل أنه خلقه من ماء أبدا، ولا له علاقة بالماء الذي عليه العرش، وإنما خلقه خلقا خاصا ومر في مراحل دامت مُددا طويلة . وعليه فلا يصح إيجاد تشابه كما فعل السواح بين ما قاله القرآن عن خلق الكون وبين ما ذكرته تلك الأساطير والكتاب المقدس. وعليه فإن القرآن لم يقل أن الله خلق الكون من مادة سابقة، وإنما خلقه من عدم . وبما أنه سبحانه هو الخالق ولا أزلي سواه ،وخالق كل شيء، فلا شك أنه يخلق من عدم .

ثانيا: إن قول السواح بأن العلم الحديث لا يقبل فكرة الخلق من العدم المطلق، فهو ليس صحيحا شرعا كما بيناه أعلاه، ولا عقلا ولا علما. فأما عقلا فإنه لا يُوجد أي مانع عقلي يمنع من أن يخلق الخالق مخلوقاته من عدم ،فهو أمر مُمكن وليس مُستحيلا . وبما أنه هو الخالق ، وعلى كل شيء قدير ، فإنه بالضرورة قادر على أن يخلق من عدم و من غيره ،وإلا ما كان خالقا . وهذا ليس أمرا خرافيا ، بل أنه أمر معقول وعادي تماما و طبيعي جدا بأن يكون الخالق قادرا على الخلق من عدم ،و إنما الخرافة هي القول بأن المعدوم يخلق نفسه ، أو أن المخلوق قادر على أن يخلق من عدم . لكن الأمر مُختلف تماما بالنسبة لله تعالى، فإنه سبحانه قادر على الخلق من عدم، و إلا ما كان خالقا .

وأما علما فإن العلم المعاصر كما أنه قال بخلق العالم وعدم أزليته، فإن فكرة الخلق من عدم-أي من لاشيء- أصبحت هي أيضا لها مكانتها في علم الفيزياء الحديثة، وعنها يقول الفيزيائي منصور حسب النبي :((ويا ليتها من نتيجة مذهلة يتحدث عنها علماء الفيزياء الآن ، بعدما كانوا قديما يقولون: إن المادة والطاقة لا تفنى ولا تُستحدث ،و هذا صحيح طبعا في طور التسخير-أي بعد الخلق- ، أما في طور الخلق الإلهي فهناك قانونان، أحدهما: كن فيكون من جهة ، والخلق من عدم من جهة أخرى)) .والخلق من عدم لا يحتاج مطلقا إلى زمن سابق لأن الزمان هنا هو افتراض ذهني لا وجود له فيزيائيا عند بداية الخلق ، و هو ما يُسمى في الفيزياء الحديثة بأنه ((قفزة كمية في الزمكان دون حاجة لمادة أو طاقة)) .

وقال أيضا: أنه يجب التمييز بين الخلق من عدم بلا زمن ،والخلق بالأمر الإلهي المُسخر بقوانين ثابتة ، و هو الخلق من مادة سابقة ، والخلق الأول لا يتم إلا بـ: كن فيكون ،و لا يحتاج لزمان و لا لمادة ، و لا لطاقة . فهو خلق من لا شيء في لا زمن ،وعندما يُوجد هذا النوع من الخلق يصبح خاضعا للنوع الثاني من الخلق الذي هو في طور التسخير الخاضع –في المكان والزمان- لمقادير محددة ثابتة يدرسها العلماء . وقال أحد كبار الفيزيائيين: ((إن لحظة الانفجار العظيم لا تخضع لقوانيننا العادية الفيزيائية ، لأنها تُوحي لنا بالخلق من عدم)) .

وذكر الفيزيائي محمد باسل الطائي أن خلق الكون لا يخضع للقانون الأول للديناميكا الحرارية الذي يقول: إن المادة لا تفنى ولا تستحدث من عدم. لأن هذا القانون لا يتعلق بالخالق، ولا ببداية الخلق من عدم، و((هذا القانون صحيح في جميع الحالات إلا في لحظة واحدة هي اللحظة الأولى لخلق الكون . في هذه اللحظة بالذات تم خرق هذا القانون ... وهذا ما تقرره الفيزياء المعاصرة ... إذن فالخلق حصل من عدم محض ...)). فهو قانون يتعلق بالكون بعد خلقه ومحكوم به. فكان هذا القانون من المخلوقات، يخص المخلوق لا الخالق، فلا الإنسان ولا مخلوق آخر يستطيع أن يخلق شيئا ، وإنما الخالق هو الوحيد القادر على الخلق. وهذا القانون شاهد قطعي على أن الكون خلقه الخالق من عدم. لأن القانون يقول بأن المادة لا تستحدث من عدم بالنسبة للإنسان في تعامله مع المادة، فهو لا يستطيع أن يفنيها ولا أن يستحدثها أو يخلقها من عدم، لكن بما انه من الثابت علميا أن الكون خُلق من عدم عندما حدث الانفجار الكبير والذي بدأ من الصفر، فهذا يعني أن الخالق سبحانه وتعالى خلق الكون من عدم، ولم يخلقه من مادة موجودة مسبقا.

واضح من ذلك أن الأمر ليس كما زعم السواح، فلا القرآن قال بأن الكون خُلق من مادة سابقة، ولا العلم . والآيات التي استشهد بها على زعمه ليست كما زعم، ولا العلم المعاصر نفى إمكانية الخلق من عدم، وإنما قرره وقال به.

وأما الحديث النبوي الذي استشهد به السواح لتأييد زعمه فهو ضعيف.وكان عليه أن يرجع إلى حديث آخر صحيح يقول فيه النبي- عليه

الصلاة والسلام- : { كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السموات والأرض... }. وهذا الحديث شاهد على أن الله تعالى يخلق من عدم، أو من مادة كان قد خلقها سابقا. بحكم أنه سبحانه كان ولا شيء معه. فلماذا السواح لم يرجع إليه ويذكره؟؟، فهل أهمله لأنه لا يؤيد قوله، أم كان يجهله؟.

ومن أوهام السواح أيضا أنه عندما سُئل عن سلطة النص الديني –الإسلامي وغيره- نفاها مطلقا ، بقوله: { إن سلطة النص الديني في رأيي خرافة، فالسلطة الحقيقية هي للعقل الإنساني، وكيفية فهمه للنص ، النص المقدس بطبيعته نص إشكالي لأسباب لا أستطيع التوسع بها هنا، وهذه الإشكالية هي التي تستدعي تدخل عقل المُفسر من أجل البحث عن المعاني الكامنة خلف مواضع الإشكال وهي كثيرة}.

أقول: ذلك الجواب لا يقوله إلا جاهل، أو جاحد معاند ، أو صاحب هوى. لأنه أولا، من الثابت قطعا أن أي نص مقدس أو غير مقدس له سلطة ذاتية تأتيه من قائله ومضمونه ومدى قوته وصدقه وتأثيره، بغض النظر عن قيمتها وقوتها، فإن كان مُحكما واضحا لا يحتمل إلا معنى واحدا يجب على العقل الأخذ بمحكمه ولا يصح له تحريفه ولا التلاعب به، لأنه ليس من الشرع ولا العقل ولا العلم ترك محكمه والتلاعب به وتحريفه حسب هوى القارئ. وأما إن كان النص ليس محكما ويحتمل عدة أوجه فيجب على العقل أن يفهمه على طبيعته فهما صحيحا ويبحث عن وجوهه المحتملة ولا يُحمله ما ليس فيه، وبهذا المنهج لا توجد إشكالات في النص الديني، وإنما إن وجدت فهي من المفسر لا من النص؛ وفي الحالتين فإن النص له سلطته الذاتية ويفرضها على القارئ ويجب عليه الأخذ بها، ولا يحق له الخروج عليها. وهذا خلاف ما زعمه السواح، ومن يخالف ذلك فهو يقرأ النصوص بهواه ومصالحه ومذهبيته ولا يقرأها قراءة موضوعية علمية نزيهة من جهة، وهو الذي يُثير الإشكالات بهواه من جهة أخرى. فزعم السواح وهم وهوى وخرافة ، ودعوة إلى التلاعب بالنصوص وتحريفها بدعوى الإشكالات من ناحية، وتناسى من ناحية أخرى أنه هو نفسه نقض زعمه عندما قال ذلك الزعم ، فقدمه لنا على أنه حقيقة وليس خرافة، مع أن العلم يفرض عليه أن يطبق زعمه على رأيه الذي هو نص أيضا وليس حقيقة مطلقة. لكنه لم يفعل ذلك، فقدم لنا رأيه على أن له سلطة

ونفى السلطة عن النص الديني .فلماذا تكون سلطة النص الديني خرافة، ويكون نص السواح حقيقة تنقض سلطة النص الديني مع أن لكل نص سلطته بالضرورة؟؟!! . إنه التفكير بالأهواء والأوهام والظنون انتصارا للمصالح والمذهبيات!! .

وأما بالنسبة للقرآن الكريم - وهو المقصود أولا بكلام السواح- فهو كتاب نصوصه لها سلطتها الذاتية من دون شك، أتته من قائلها ومضامينها من ناحية؛ وتضمن من ناحية أخرى آيات محكمات ، وأخرى متشابهات ، لقوله تعالى: {هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ [آل عمران : 7] }؛ لكن القرآن من جهة أخرى لم تبق مُتشابهاته مُبهمة مُغلقة مُلغزة، وإنما فسّر متشابهاته بمحكماته، في نفس الموضع أو في مواضع أخرى.فكانت المحصلة أن القرآن الكريم في النهاية هو كله كتاب مُحكم حَكيم مُفصل مُبَيّن يفسر نفسه بنفسه. قال تعالى:{ الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ [هود : 1]}، و{ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ [فصلت : 42]} . ومع ذلك فإن مرضى القلوب وأهل الأهواء كالسواح يرفضون فهم القرآن الكريم كما فسر نفسه بنفسه، وإنما يُصرون على فهمه بأهوائهم ومصالحهم ،فيُمارسون التأويل التحريفي لتفسير القرآن حسب أهوائهم لغايات في نفوسهم .

ولذلك فإن الإشكالات المزعومة في فهم القرآن الكريم هي ليست إشكالات حقيقية، وإنما هي إشكالات مُتوهمة سببها عدم إتباع المنهج العلمي الصحيح في فهم القرآن ، وهو منهج بينه القرآن الكريم بقوله: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ [الحج : 8] }. ويحدث الانحراف في فهم القرآن إما بممارسة التأويل التحريفي في التعامل من النصوص الشرعية حسب الأهواء والمصالح والمذاهب، وإما بسبب ضعف الفهم وقلة العلم. وبما أن الأمر كما بيناه فحكاية الإشكالات التي زعمها السواح لا وجود لها في القرآن أبدا، وإنما هي إشكالات في

عقول ونفوس المفسرين المنحرفين عن المنهج السليم في فهم القرآن الكريم وتفسيره.

ومن أوهام السواح وخرافاته وضلالاته، أنه قال عن الأديان ذات الأصل السماوي والأديان الوضعية:{ وفي الحقيقة، إذا آمنَّا بأن الله يتصل بالبشر عن طريق أشخاص مختارين، لاستتبع ذلك إيمانُنا بأن الله على اتصال دائم بالبشر منذ ظهور الإنسان على الأرض – وهذا يذيب الفواصل بين ما يُدعى ديانات "سماوية" وديانات "وضعية": فإما أن الأديان كلها سماوية، وإما أنها وضعية كلها!}.

أقول: تلك المزاعم هي من أوهام والسواح وأهوائه، وهي تتضمن الإشارة إلى اعتقاد السواح بوحدة الوجود. لأنه أولا، إن قوله" إذا آمنَّا بأن الله يتصل بالبشر ..." يُوحي بأن السواح لا يؤمن بالنبوة والأنبياء، وإلا ما فرض ذلك الفرض كمقدمة وانطلق منه وبنى عليه قوله الزائف. كما أن إيماننا بالنبوة والأنبياء ليس هو أمر بأيدينا، ولا نحن المسؤولون عنه، ولا أوجدناه نحن، وإنما هو أمر بيد الله تعالى يبدأه متى يشاء، ويوقفه متى يشاء، ويجعله فيمن يشاء من عباده المصطفين ، قال سبحانه: { اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ [الأنعام : 124] }،و{إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ [آل عمران : 33]}،و{ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً [الأحزاب : 40]}. فأمر النبوة بيد الله وحده وليس بيد أحد من مخلوقاته : ابتداءً وانتهاءً، واختيارًا لمن يشاء من عباده، ولا يحق لأحد أن يفرض على الله رأيه في النبوة ولا غيرها كما فعل السواح. وعليه فالنبوة ليست اتصالا دائما كما زعم السواح، وإنما هي اتصال مؤقت حسب مشيئة الله وحكمة وعدله، ولهذا خَصّ فترة بلا رُسل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، لقوله تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [المائدة : 19]}،ثم بعد ذلك ختم النبوة بخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً [الأحزاب : 40] }.وبما أن الأمر كذلك، فلا يُمكن أن تكون الأديان الأرضية- الوضعية- مساوية للرسالات السماوية، ولا أن تذوب الفوارق بين النوعين، فهذا زعم باطل

قطعا. لأن الدين الأرضي ليس دينا حقيقيا، ولا هو مقبول عند الله، ولا هو وحي إلهي؟ فكلام السواح باطل متهافت زائف مخالف للشرع مخالفة صريحة بجحود وعناد وتحريف وتدليس.

ثانيا: بما أن الأمر كما قررناه ، وتبين أن زعم السواح باطل مخالف لدين الله ، وللواقع الذي يشهد بتوقف الرسالات السماوية؛ فلماذا قاله السواح وهو يعلم عدم صحته شرعا وواقعا؟؟ . الراجح أن السواح قال ذلك ليس انطلاقا من شرع ولا عقل ولا علم، وإنما انطلق من اعتقاده بوحدة الوجود، وتعني أنه لا موجود إلا الله، والله هو الكون والكون هو الله. وبما أن الأمر كذلك حسب زعم القائلين به فكل ما نراه ويحدث في الطبيعة من كائنات وأفعال هي أشكال وامتدادات لله، بل هي الله ، لكنها تظهر للبشر على أنها كما تراها مخلوقة وقائمة بذاتها، لكنها ليست كذلك حسب خرافة وحدة الوجود. وانطلاقا من هذه الخرافة تكون كل العقائد والأديان والمذاهب صحيحة لأنها هي الله، ولا تتغير ولا تتحول ولا تتوقف. وهذه الخرافة لا شك أنها باطلة شرعا وعقلا وعلما، لكن الراجح أن السواح يؤمن بها على طريقة القائلين بوحدة الوجود من صوفية المسلمين كمحي الدين ابن عربي الذي أثنى عليه الوساح في كثير من كتبه منها ما سبق ذكره من جهة، كما أنه ليس هنا موضع مناقشته وبيان بطلان اعتقاده بخرافة وحدة الوجود من جهة أخرى.

ومن أوهام السواح أيضا أنه قال : {أعتقد أن كلَّ دين هو طريق للوصول إلى الله، وله بالتالي، من المشروعية ما لكلِّ دين آخر. ما من دين يحتكر الحقيقة وآخر زاغ عنها؛ وما الاختلاف بين الأديان سوى أمر يقتضيه التباين الثقافي بين الجماعات والأمم والشعوب}.

أقول: تلك المزاعم هي من أوهام والسواح وأهوائه، ولا يقولها إلا جاهل، أو جاحد معاند، أو صاحب هوي، وهي تتضمن الإشارة إلى اعتقاد السواح بوحدة الوجود. وتفصيل ذلك أولا، إن قوله بأن كل دين هو طريق للوصول إلى الله، وله من المشروعية ما لغيره من الأديان الأخرى، هو زعم بلا دليل ، وباطل أيضا، كان يجب عليه أن يقيم الدليل العلمي على صحة زعمه ولا يصح اعتماده على رغباته وظنونه وأهوائه، فهي ليست أدلة علمية يُحتكم إليها، ولا يعجز عنها أحد ويُمكن ردها بنفس ذلك المنطق الذاتي؛ فيُقال مثلا: إني أجدي في نفسي وقلبي حقيقة قطعية تقول بأن كل

الأديان باطلة، إلا دين واحد فقط معتبر عند الله. فهل يستطيع أحد أن ينقض هذا القول انطلاقا من منهج السواح؟؟!!، طبعا لن يستطيع، ويصبح في إمكان أي إنسان أن يحتج بما يجده في قلبه صدقا أو كذبا . وهذا ليس من العلم في شيء، وإنما هو أهواء وأوهام وظنون، والعلم لا يقوم إلا بالأدلة الصحيحة، من الوحي، أو العقل، أو العلم، أو بكل ذلك. وبما أن الأمر كذلك، والسواح لم يؤيد زعمه بدليل من الوحي ولا العقل ولا العلم، فزعمه لا يصح .

وبما أن زعم السواح لا يصح الاستدلال عليه بالاعتقاد الذاتي المُجرد عن الدليل الصحيح، فإن زعمه باطل أيضا بالأديان نفسها، فمن الثابت قطعا أن الأديان قديما وحديثا مختلفة فيما بينها في الأصول والفروع، ومتناقضة فيما بينها تناقضات كثيرة جدا. وكل دين ينكر الأديان الأخرى، ويكفر من لا يؤمن به ويتوعده بالعقاب الشديد. وبما أنها كذلك فلا يُمكن أن تكون كلها طريقا صحيحا موصلا إلى الله ومقبولة عنده.

ومما يُبطل زعمه أيضا بأن كل دين يُمثل طريقا موصلا إلى الله، هو أن القول بذلك وتقريره يحتاج إلى دليل صحيح يُثبت بأن الله تعالى يقبل كل الأديان وأنه جعلها كلها بأن طريقا موصلا إليه. لأنه من المحتمل أن الله تعالى لا يقبلها ، وإنما يقبل فقط الدين الذي ارتضاه وأرسل به رسله. وبما أن السواح لم يأت بدليل يثبت ذلك، واكتفي بظنه و هواه، فزعمه ليس صحيحا، ولن يصح إلا إذا أتى بدليل صحيح من الشرع، أو العقل، أو العلم يُثبت أن كل دين هو طريق موصل إلى الله بأمر منه.

ومما يُبطله أيضا انه لا يصح عقلا ولا شرعا أن الله تعالى ينزل دينه على البشر ويُخبرهم بأنه لا يقبل دينا سواه ثم تكون الأديان الباطلة مساوية له ومقبولة عند الله وتكون طريقا موصلا إليه سبحانه وتعالى. وعليه فلو كانت كل الأديان طريقا صحيحا وموصلا إلى الله تعالى فلا معنى بأن يرسل الرسل وينزل عليهم دينه ويأمرهم بتبليغه؛ وبما أنه أنزل دينه وأرسل الأنبياء وأخبرنا بأنه لا يقبل سواه، ومن كفر بهم فمصيره إلى النار، فلاشك أن الأديان الأخرى ليست طريقا موصلا إلى الله وليست مقولة عنده. قال تعالى: (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ [آل عمران : 85]) ،و(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ

الّذِينَ أَوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ [آل عمران : 19]).

ثانيا: إن زعم السواح بأنه لا دين يحتكر الحقيقة، وان كل الأديان صحيحة، هو قول باطل قطعا وشاهد عليه بأنه يعتقد بوحدة الوجود. وتفصيل ذلك هو أن كل الأديان من جهة الصحة والبطلان هي على ثلاثة احتمالات لا رابع لها: إما أن تكون كلها باطلة، أو كلها صحيحة، أو واحد منها صحيح. فكونها كلها باطلة هذا احتمال مُمكن . وأما كونها كلها صحيحة، فهذا مستحيل، لأن تلك الأديان متناقضة فيما بينها في الأصول والفروع ولا يُمكن الجمع بينها. وأما وجود دين واحد من بينها صحيح، فهذا مُمكن أيضا. وهنا يبقى عندنا الاحتمال الأول والثالث، وسقط الثاني الذي قال به السواح. ثم بعد ذلك نقوم بدراسة الاحتماليّن الآخريّن ونقدهما بميزان العقل والعلم وبكل حياد وتجرد وموضوعية. وستكون النتيجة بدون شك أن دينا واحدا منها صحيح، هو دين الإسلام. وهذا أمر ثابت قطعا لأن الإسلام يتفوق على كل الأديان بأنه دين العقل والفطرة والعلم، ولا خرافات ولا متناقضات ولا أخطاء في القرآن الكريم من جهة؛ ويملك كتابا معجزا مذهلا، ومعجزاته لا نهاية لها في كل مجالات العلوم، تحدى الله به الإنس والجن معا على أن يأتوا بمثله فعجزوا وحكم عليهم بالعجز حالا ومستقبلا فلم يستطع إنسان ولا جامعة، ولا أمة، ولا شيطان ،ولا جن، أن يرد على التحدي بأن يأتي بكتاب مثل القرآن الكريم. وهذا الأمر أُلفت فيه كتب كثيرة جدا ليس هنا موضع تفصيله .

وبما أن الأمر كذلك، فلا شك أن دين الإسلام يحتكر الحقيقة والصحة من دون شك . ويجب أن يحتكرها لأن الحقيقة الواحدة لا تتعدد وستبقى واحدة. والحقائق كثيرة، لكن الحقيقة الواحدة المعينة لا تتعدد ولا تتكرر، واحتواء الأديان والمذاهب على حقائق جزئية جانبية لا تجعلها صحيحة لأن أصولها باطلة ولا ينفعها وجود حقائق هامشية بداخلها، ولا يُمكن أن تصبح صحيحة.

ثالثا: أما قوله " وما الاختلاف بين الأديان سوى أمر يقتضيه التباين الثقافي بين الجماعات والأمم والشعوب}. " ، فهو زعم باطل وفيه غش وتدليس وتهوين للتناقضات الكثيرة بين الأديان، والتي لا يُمكن أن تجمع

بينها، ولا أن تجعلها كلها صحيحة. وزعمه هذا هو مخالفة صريحة لدين الإسلام الذي أكد مرارا بأن الإسلام هو الدين الحق الوحيد والمقبول عند الله تعالى، والأديان الأخرى هي أديان زائفة متهافتة غير مقبولة عند الله تعالى، سواء كان أصلها سماويا أو أرضيا ، فكلها زائفة متهافتة مُحرفة. قال تعالى:(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ [آل عمران : 19]) و(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ [آل عمران : 85])، و(قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ [التوبة : 29]) ،و(لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ [البينة : 1]).

وبذلك يتبين من تلك المزاعم أنها ليست بصحيحة، فهي مخالفة للوحي والعقل والعلم، لكن السواح قال بها تعمدا لأنه من الراجح جدا أنه يؤمن بخرافة وجنونية وحدة الوجود، ومزاعمه تنسجم معها . لأن تسويته بين الأديان رغم تناقضاتها ومخالفتها للوحي الإلهي – دين الإسلام- ، وقوله : " وما الاختلاف بين الأديان سوى أمر يقتضيه التباين الثقافي بين الجماعات والأمم والشعوب}، يتضمن الاعتقاد بوحدة الوجود، بأن الله هو الكون، والكون هو الله حسب خرافة وحدة الوجود. وبما أن الأمر كذلك يكون كل ما نراه في الطبيعة وحياة البشر من حق وظلم وفساد كل ذلك صحيح وسليم لأنه مظهر من مظاهر وحدة الوجود التي هي الله حسب خرافة القول بوحدة الوجود !!!!! .

ومن أوهام السواح وضلالاته أيضا أنه قال عن الوحي واليهودية والنصرانية والإسلام : { إذا كان الوحي حقيقةً قائمةً بين الله والناس، فلماذا كان على الله أن ينتظر حتى هذا الوقت المتأخر من تاريخ البشرية لكي يعلن عن نفسه من خلال ثلاثة أديان يحتكر كلٌّ منها لنفسه معرفة الله الحق؟! إذا كان الوحي حقيقة، فقد كان هذا الوحي متصلاً دون انقطاع، والبشر *جميعًا* عرفوا الله عبر تاريخهم الديني – كل ثقافة بما يتناسب ووضعها في سياق الارتقاء الثقافي. في هذا الموضوع يقول محيي الدين بن عربي في كتابه فصوص الحكم إن كلَّ المعبودات التي توجَّه إليها البشر، في كلِّ زمان ومكان، لم تكن في واقع الحال غير "مجالٍ" لأسماء

الله، وإن التوجه إليها بالعبادة لم يكن إلا طريقًا إلى معرفة الله الحق، لأن الله قال في كتابه العزيز: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً [الإسراء : 23]) ،ولم يقل "وأمَرَ ربك ألا تعبدوا إلا إياه". فكل "عبادة"، والحال هذه، لغير الله مآلُها في النهاية إليه: "فإن للحق في كلِّ معبود وجهًا يعرفه مَن يعرفه ويجهله مَن يجهله. فما عُبِدَ غير الله في كلِّ معبود." [ابن عربي، الفصوص] هذا ما أعنيه بقولي بأن الأديان كلَّها إما أن تكون سماويةً أو تكون وضعية}.

أقول: تلك أوهام وأهواء لا يقولها إلا جاهل ، أو صاحب هوى، أو قائل بوحدة الوجود . وهي مزاعم زائفة متهافتة تشهد على قائلها بتحريف وإغفال ما قاله القرآن الكريم وتلاعبه به وممارسته الانتقاء في تعامله معه حسب هواه .

وتفصيل ذلك أولا، ليس صحيحا أن الوحي الإلهي تأخر ولا انقطع، ولا تمثل فقط –عبر التاريخ- في ثلاثة أديان، فهذا زعم باطل قطعا؛ وإنما الوحي الإلهي لم ينقطع ولا تأخر، وقد أرسل الله الأنبياء منذ زمن البشر الأولين واستمر إرسالهم بعد اختلافهم وانقسامهم واختلاقهم لأديان جديدة، ومقاومتهم لدين الله تعالى وتحريفه. وما من أمة إلا وخلا فيه نذير، قال تعالى: << كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ [البقرة : 213]>> ،و<<وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ [النحل : 36] >>،و<< إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ [فاطر: 24]>>.

والشاهد على ذلك أيضا أن اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الكتاب السابقين جاءتهم رسل الله، لكنهم هم أيضا انحرفوا عن دين الله، وحرفوه وحاربوه، واتبعوا الأقوام الضالين السابقين في رفضهم لدين الله ومقاومته وتحريفه واختلاق أديان أرضية. والدليل على ذلك قوله تعالى لليهود والنصارى: << قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ [المائدة

: 77]>>و<< وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ [التوبة : 30] >>.

واضح من تلك الآيات أن مزاعم السواح باطلة زائفة متهافتة، فلماذا أغفلها ، وافترى على الله وحرف كلامه وهو على علم به ؟؟!! .

ثانيا : إن استشهاده بما قاله ابن عربي وتأييده له في تفسيره للآية التي ذكرها هو عمل باطل متهافت يشهد على صاحبه بالجهل ، أو الهوى، أوالقول بوحدة الوجود، والتحريف المتعمد للقرآن الكريم. لأن الآية << وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ [الإسراء : 23]>> لا تعني ما قصده السواح وابن عربي، وإنما تعني أن الله حَكَم وأمر أيضا . فهي تعني أن الله تعالى حَكم على الإنسان وأمره أن يعبده حسب دينه الذي ارتضاه للناس وأمر الأنبياء بتبليغه، ونهاه أن يعبده حسب هواه ، ومن يفعل ذلك فلن يُقبل منه. والأدلة القرآنية التي تثبت ذلك كثيرة جدا، منها الأمر بعبادة الله، كما في قوله تعالى:<< قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ [الأنعام : 57] >>و<< وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ [النحل : 36] >> و<< وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ [آل عمران : 85] >>.واضح من تلك الآيات أن زعم السواح وابن عربي باطل قطعا، وشاهد عليهما بالتحريف والتدليس من جهة، وهي من جهة أخرى أدلة قطعية بأن الله تعالى لن يقبل عبادة أحد إلا إذا كانت على دين الإسلام، الذي هو دين كل الأنبياء.

وبذلك يتبين بطلان وزيف وتهافت قول ابن عربي عندما قال: << فكل "عبادة"، والحال هذه، لغير الله مآلُها في النهاية إليه: "فإن للحق في كلِّ معبود وجهًا يعرفه مَن يعرفه ويجهله مَن يجهله. فما عُبِدَ غير الله في كلِّ معبود." >>. إنه تحريف صريح صارخ لدين الإسلام، فليس صحيحا أن كل العبادات مآلها في النهاية إلى الله . هذا كلام باطل زائف، لأن الذي يعبد الله على دين باطل فمآله إلى الأهواء والشياطين وليس إلى الله، لأن الله تعالى لن يقبل عبادته ويكون مصيره إلى النار، ولو كانت مقبولة ومآلها إلى الله لأدخل الله الناس كلهم إلا الجنة، وما خلق النار، وما أرسل الرسل والكتب أصلا. لكن الحقيقة أن كلام السواح وابن عربي قائم على عقيدة

وحدة الوجود، وليس قائما على الاعتقاد بوجود الخالق والمخلوق، وإنما الاعتقاد بأنه لا موجود إلا واحد، هو الله ، والله هو الكون، والكون هو الله حسب خرافة وحدة الوجود . وهنا تكون كل عبادات الناس صحيحة ومقبولة لأنها هي الله حسب جنونية وخرافة وحدة الوجود. فانظر وتدبر في خرافات السواح وتحريفاته وتلاعبه بالشرع وتحريفه وخداعه للناس!! .

وأخيرا إن من أوهام السواح أيضا، أنه قال عن الأديان: << إن ما نتعلمه من دراسة تاريخ الدين هو أن الأديان كلها تقول الشيء نفسه، ولكن كلٌ على طريقته، وأنه في واقع الحال لا يوجد أديان للإنسان وإنما دين واحد. ولذلك أطلقت على أحد مؤلفاتي عنوان دين الإنسان لا أديان الإنسان، وأوضحت في هذا الكتاب الوحدة الجوهرية التي تجمع الأديان في واحد، وتجمع البشر إلى خالقهم>>.

أقول: ذلك الزعم باطل قطعا، وفيه تحريف وخداع للقراء،وكلمة حق أريد بها باطل. وتفصيل ذلك هو أنه لا شك أن الأصل في الدين كان واحدا ، وهو دين الله تعالى الذي سماه الإسلام، جاء به كل الأنبياء من آدم إلى خاتمهم محمد عليهم الصلاة والسلام. والله تعالى اختار هذا الدين للناس جميعا. لكن معظم البشر أبوا ذلك، فرفضوا الوحي الإلهي وحرفوه واختلقوا أديانا جديدة حسب مصالحهم وأهوائهم. وهذا الأمر ذكره القرآن الكريم في آيات كثيرة منها التي سبق ذكرها. وبما أن الأمر كذلك فنحن هنا أمام دينين وليس دين واحد: الأول هو دين الإسلام الذي اختاره الله لعباده، والثاني هو الدين الذي اختاره معظم البشر بديلا عن دين الله تعالى. ثم أن هذا الدين تعدد وانقسم وظهرت أديان أرضية كثيرة متناقضة في أمور كثيرة لكن أصلها واحد هو أنه دين اختلقه الناس. فالأمر ليس كما زعم السواح، فنحن أمام دين إلهي واحد هو الصحيح، وأديان كثيرة باطلة اختلقها البشر حتى وإن كان بعضها أصلها الأول والبعيد كان صحيحا،لكنه أصبح بشريا.

علما بأن الأديان البشرية ، مع أن أصلها واحد فهي من صنع البشر وليست من عند الله،وتوجد فيما بينها اختلافات وتناقضات كثيرة جدا. فالبوذية ليس فيها الإيمان بالله، ولا اليوم الآخر. والنصرانية تقوم على التثليث، والزرادشتية تقوم على الثنوية، والهندوسية على تعدد الآلهة تصل إلى المئات من الآلهة المزعومة. والإلحاد هو دين قائم على إنكار وجود الله ، وله أصوله التي يقوم عليها. والعلمانية هي دين ولا مكان فيها للإيمان والمعاد ،لأنها أبعدت ذلك كله من جهة؛ وهي ديانة دنيوية لا معاد فيها من

جهة أخرى. وكذلك حال الماركسية فهي ديانة دنيوية لا إيمان فيها بالله ولا بالمعاد. ونفس الأمر ينطبق على ديانة وحدة الوجود ، فهي ديانة تقول: لا موجود إلا الله، والكون هو الله والله هو الكون. وهذا يستلزم نفي وجود المخلوق، أصلا، وعليه فلا معاد ولا حساب ولا عقاب. فهل يحاسب الله ويعاقب نفسه بحكم انه هو الكون حسب خرافة وحدة الوجود ؟؟!! وهذه النتيجة هي نفسه التي انتهى إليها دين الإلحاد. وبذلك يتبين قطعا بطلان ما قاله السواح.

وإنهاءً لهذا المبحث يُستنتج منه أن دراسة الباحث السوري فراس السواح للدين هي دراسة ناقصة وضعيفة جدا، تخللتها أوهام وضلالات كثيرة ذكرنا طرفا منها تشهد عليه بأنه درسها بمنهج ذاتي قاصر متعصب للباطل؛ ولم يدرسه بمنهج صحيح قائم على الوحي والعقل والعلم طلبا للحقيقة حتى وإن كانت ضد قناعاته واعتقاداته؛ وإنما درسه انتصارا لمصالحه وقناعاته المذهبية.

رابعا: أوهام في علاقة الأساطير بالفلسفة والعلم:

وقع الباحث فراس السواح في أوهام كثيرة فيما كتبه عن علاقة الأسطورة بالفلسفة والعلم، منها أنه قال بأن الأسطورة تهاوت :{ تحت مطارق الفلسفة و تجرع سقراط السم جزاء اجترائه على آلهة اليونان و من بعده تابع أفلاطون و أرسطو المهمة...}. و: { غير أن نظرة جديدة غير متحيزة على مسار الحياة الفكرية للإنسان ، تظهر لنا بوضوح أن الفلسفة الإغريقية لم تكن سوى بارقة عارضة ، ما لبثت أن انطفأت أمام مد الفكر الديني والأسطوري ، وتراجع الفكر الفلسفي قرونا" عديدة قبل أن يبعث مجددا"}

أقول: تلك مزاعم وأوهام لا يقولها إلا جاهل، أو صاحب هوى، أو جاحد معاند، لأن الحقيقة ليست كذلك. وتفصيلها أن الغالب على الفلسفة اليونانية هي أنها فلسفة أوهام وظنون وأساطير عرضها أصحابها في قوالب فكرية ولم تُسقط الأوهام ولا الأسطورة، وإنما قامت عليها ولو سُحبت منها لسقطت فلسفة اليونان في الإلهيات والطبيعيات . من ذلك مثلا أن اليونانيين بعوامهم وفلاسفتهم كانوا مشركين يؤمنون بتعدد الآلهة، و ألّهوا مختلف مظاهر الطبيعة العلوية والسفلية وعبدوها ، كالسماء ، والأرض وعليها قامت

فلسفتهم. وعندما قال أرسطو بألوهية العقول المفارقة أشاد بأجداده اليونانيين الذين قالوا بأُلوهية الأجرام السماوية .
ومن فلاسفة اليونان الذين قالوا بذلك : الطبيب اليوناني ألقمايون (ق: 5 ق م)، فقد قال بألوهية الأجرام السماوية . و قال فيثاغورث (ق:6 ق م) بأن الأجرام السماوية كلها آلهة . و قال بتعددها أيضا أكسينوفانس (ق: 5 ق م) . و قال أفلاطون بتعدد الآلهة، منها آلهة علوية، و أخرى متوسطة ،و أخرى سفلية . وزعم أن الإله عندما صنع العالم جعل في كل كوكب من الكواكب نفسا تحركه و تديره، وهي نفوس إلهية عاقلة خالدة . >> وكان كان يعتقد بخرافتي عالم المُثل وتناسخ الأرواح.

وكان أرسطو يعتقد بتعدد الآلهة و يُسميها عقولا ، و يزعم أن عالم ما فوق فلك القمر-الأجرام السماوية- كلها ذات طبيعة إلهية . و تفصيل ذلك هو أنه قال بوجود عقول في العالم العلوي، وهي جواهر ومحركات ، وعقول أزلية مفارقة للمادة ،وليست هيولانية . وقد وصف العقول العشرة بأنها آلهة ،وهي خارجة عن الزمان ،و لا يُؤثر فيها . و جعل عددها يُساوي عدد الحركات و الكواكب، آخرها العقل الفعال ، الذي يُحرك فلك القمر . وهي محركات الأجرام السماوية والطبيعية ، تحركها حركة أزلية دائمة .

وإله أرسطو ليس هو صانع العالم ،و لا يعلم عنه شيئا، و لا يُعنى به ، فهو عله غائية للعالم ، لأنه معشوق له و ليس علة فاعلة له . فهو يفعل ضرورة لا اختياراً ، و يتأمل ذاته أزليا ، فهو إذن العقل والعاقل والمعقول . ومن أوهامه وخرافاته أن الإله بما أنه عقل فهو إما أن يكون ((عاقلا لذاته أو لشيء آخر ... و إن كان عاقلا لشيء آخر فما يخلو أن يكون عقله دائما لشيء واحد ، أو لأشياء كثيرة . فمعقوله على هذا منفصل عنه ، فيكون كماله إذن لا في أن يعقل ذاته لكن في عقل شيء آخر . إلا أنه من المحال أن يكون كماله بعقل غيره ، إذ كان جوهرا في الغاية من الإلهية والكرامة و العقل. و لا يتغير فالتغيّر فيه انتقال إلى الأنقص،و هذا هو حركة ما ، فيكون هذا العقل ليس عقلا بالفعل لكن بالقوة ... و إذا كان هكذا – أي الوجود بالقوة- فلا محالة يلزمه الكلال و التعب من اتصال العقل بالمعقولات . و من بعد فإنه يصير فاضلا بغيره كالعقل من المعقولات ، فيكون ذلك العقل في نفسه ناقصا و يُكمل بمعقولاته . و إذا كان هذا هكذا

فيجب أن نهرب من هذا الاعتقاد بها . مالا يُبصر بعض الأشياء أفضل من أن يُبصر)) .

كل تلك المقدمات الوهمية قالها أرسطو ليُقرر في النهاية أن الإله لو علم غيره فسيصاب بالكلل والتعب، وهذا زعم باطل ومضحك واعتقاد خرافي صبياني قاله أرسطو، ولا يختلف في صميمه عن قول اليهود بأن الله عندما خلق العالم تعب وارتاح في اليوم السابع كما جاء في سِفر التكوين، وربما يكون أرسطو قال بذلك تأثرا بالفكر اليهودي.

واضح من ذلك أن الفلسفة اليونانية لم تكن ضد الأسطورة ولا نقضتها ولا أبعدتها وإنما هي بنفسها الغالب عليها أنها أوهام وأساطير وخرافات، لو سُحبت منها لسقطت فلسفة اليونان، فهي فلسفة أوهام وخرافات وأساطير وليست فلسفة علمية ولا عقلانية، ولا تنقذها من ذلك القوالب الفكرية التي وردت بها.

ومن أوهام السواح أيضا ، أنه قال: { غير أن نظرة جديدة غير متحيزة على مسار الحياة الفكرية للإنسان ، تظهر لنا بوضوح أن الفلسفة الإغريقية لم تكن سوى بارقة عارضة ، ما لبثت أن انطفأت أمام مد الفكر الديني والأسطوري ، وتراجع الفكر الفلسفي قرونا" عديدة قبل أن يبعث مجددا" في العصور الحديثة ، متوكئا" عصا عربية أبقت على على قبس من الفلسفة متقد، على الأطراف الخارجية لثقافة دينية سائدة ، سواء في الثقافة العربية أم في الثقافة الأروبية الوسيطة.
أما العلم ، فرغم الأرضية الصلبة التي فرشتها أمامه الفلسفة مع فترة مدها الأولى ، فقد بقي أسير التصورات الدينية و الأسطورية ، إلى أن أينعت ثمار عصر النهضة في أوربا، وجاء كوبرنيكوس بنظريته الجديدة عن النظام الشمسي ، التي كانت فاتحة لاستقلال العلم عن الدين والأسطورة ، وتبعه غاليلو فنيوتن ،فكان لهؤلاء معا" فضل وضع أسس التفكير العلمي الحديث}

و{ إن التاريخ القريب جدا" لنجاح العلم والفلسفة في ترسيخ أقدامهما ، وما نراه من مقاومة عنيدة للفكر الديني في كل ثقافة من ثقافات العالم الحديث ، يجعل من تقسيم تاريخ الفكر إلى مراحل أربع يتوجها العلم ،موضوعة نظرية لغرض الدراسة ،لا أمرا" فعليا" يعكس واقع الحال. لقد امتص الفكر الديني صدمة انتصار العلم والفلسفة ، وما زال يزاحم بقوة على اقتسام هوى وعقل الناس في كل مكان } .

وفي العصر الحديث زاد الاهتمام بموضوع خلق الكون وأخذ {الجانب الأكبر من ميتافيزيقا جميع الفلسفات ، وشغلت حيزا في العلوم الحديثة، فحلت النظريات العلمية محل الأسطورة، ومحل التأمل الفلسفي المجرد} .

أقول: تلك الأقوال غير صحيحة في معظمها، وقد تضمنت أوهاما وتدليسات كثيرة، شحنها السواح بأفكار وخلفيات متحيزة ومتعصبة للباطل. وتفصيل ذلك أولا، ليس صحيحا أن الفلسفة الاغريقية قدمت أرضية صلبة للعلم، وإنما قدمت له أرضية زائفة مملوءة بالأوهام والأساطير أصولا وفروعا، وليس فيها من الصحيح إلا القليل، بدليل ما ذكرناه أعلاه في الوهم السابق. وفلسفة ذلك حالها لا يُمكن أن تكون أرضية صلبة ولا علمية ولا عقلانية، وإنما هي التي قدمت للعلم الأوهام والأساطير وأصبحت لا تختلف عن أساطير الأديان والمذاهب الباطلة التي سبقتها والتي عاصرتها.

وليس صحيحا أن الفلسفة اليونانية تراجعت بعد أرسطو إلى العصر الحديث مرورا بالعصور الوسطى، فهذا لم يحدث وإنما استمرت تلك الفلسفة مهيمنة على العلم الطبيعي وما يتصل به من إلهيات ومنطقيات ، وتمكنت من إيجاد أرضية لها عند فلاسفة النصارى والمسلمين فتبنوها وخالفوا بها ما يقوله الدين فيما يتعلق بصفات الله، وخلق العالم ونهايته. فوجدنا مثلا الفارابي وابن سينا وابن رشد ينفون صفة العلم، ويقولون بأزلية الكون، ويقولون بمعاد مخالف للمعاد الشرعي . وأدخل أبو حامد الغزالي المنطق الصوري إلى أصول الفقه، واتبعه في ذلك كثير من متكلمي الأشاعرة وأدخلوا كثيرا من أفكار الفلاسفة إلى مذهبهم، ليس هنا موضع تفصيل ذلك.

وبسبب تلك الهيمنة وفساد معظم أصول تلك الفلسفة فإنها أضرت بالعلم أكثر مما نفعته بفارق كبير جدا من جهة؛ وأخرت العلم أكثر مما قدمته من جهة أخرى؛ فسيطرت عليه نحو عشرين قرنا، ولم يتحرر منها تدريجيا إلا في العصرين الحديث والمعاصر.وبما أن الأمر كذلك فإن العلم الحديث لم يتقدم إلا بعدما نقض الفلسفة اليونانية وهدمها وأبعدها من طريقه وتجاوزها. فهو لم يقم عليها وإنما قام على أنقاضها وهذا خلاف مزاعم السواح.والدليل على ذلك أن العلم الحديث رفض نظام بطليموس القائم على فلسفة أرسطو في قولها بالعقول العشرة، وثبات الأرض ومركزيتها،

وخالفها في قولها بأزلية الكون ، وأبعد المنطق الصوري، وركز على المنهج التجريبي القائم على الاستقراء.

ثانيا: إن حكاية انتصار العلم والفلسفة على الدين والأسطورة، هو زعم فيه حق وباطل، ومعظمه غير صحيح. لأن العلم المعاصر لم يحقق أول انتصاراته إلا بعدما هدم الفلسفة اليونانية ونقضها وأبعدها من طريقه من جهة؛ وأظهر من جهة أخرى بطلان الأديان والمذاهب الزائفة.فالعلم المعاصر أظهر زيف الفلسفات والأديان والمذاهب الباطلة، لكنه من ناحية أخرى لم يتخلص من الأسطورة، فأدى إلى ظهور فلسفات أسطورية جديدة باسم العلم مُتسترة به، وأصبحت تمثل أديانا قائمة بذاتها، ولها أوهامها وأهواؤها وأساطيرها !!. منها الأديان المادية الآتية: الإلحاد، العلمانية، الماركسية، التطورية . تلك الفلسفات هي أديان في حقيقتها العملية بما تضمنته من عقائد وأخلاق وسلوكيات ليس هنا موضع بيانها.

علما بأن العلم المعاصر رغم ما حققه من انتصارات على مستوى مناهج البحث والتطبيق والنتائج، فقد وجدت بداخله اتجاهات فكرية تسترت به وتبنت أساطير جديدة باسم العلم زورا وبهتانا. فظهرت طائفة من العلماء قالت بأفكار باطلة عقلا وشرعا وعلما، وزعمت أنها من العلم ، كقولها بأن الكون خُلق صدفة، أو خلق نفسه بنفسه من عدم، أو أن الطبيعة خلقت نفسها، أو أن قوانين الكون هي التي خلقت العالم، وقالت أيضا بخرافة التطور العضوي. تلك المزاعم هي أوهام وأساطير انتشرت بين طائفة من العلماء تسترت بالعلم ونسبتها إليه زورا وبهتانا ليس هنا موضع مناقشتها وبيان زيفها. وهذا يشهد بأن الأسطورة ستبقى مع الإنسان رغم تطوره العلمي ، ستبقى معه مادام لا يلتزم بالوحي الصحيح، والعقل الصريح والعلم الصحيح على مستوى الفكر والمشاعر والسلوك .

واما قول السواح بأن العلم انتصر على الدين وصدمه بانتصاراته، فالأمر ليس كما زعم، وإنما هو أن العلم المعاصر هزم كل الفلسفات والأديان والمذاهب الباطلة، ولم يهزم أبدا الدين الحق من جهة؛ لكنه من جهة أخرى انتصر لكل الأديان ووافقها في قولها بخلق الكون وزواله، فقد اثبت العلم أن الكون مخلوق وليس أزليا، وأنه سائر إلى الزوال. وهذا هدم للإلحاد والمذاهب المادية، وانتصار عظيم لكل الأديان. وأما الدين الحق

الذي نصره العلم الحديث نصرا مؤزرا فهو دين الإسلام، فقد تطابقت حقائق العلم مع القرآن تطابقا تاما فيما قاله عن نشأة الكون ومظاهره الطبيعية، كالرياح والأمطار، والفلك والجيولوجيا من جهة، وكشف من جهة أخرى عن إعجاز قرآني مبهر ومذهل شمل مختلف مجالات العلوم كالفلك والجغرافيا، والجيولوجيا وعلم الأجنة، وأُلفت فيه كتب كثيرة، وأُنشئت له مؤسسات علمية على أيدي علماء كبار مختصين في مختلف علوم الطبيعة والإنسان. وهذا الأمر اختص به دين الإسلام وحده، ولا وجود له في أي دين آخر من أديان العالم ؛بل إن كتبها المقدسة تحمل بداخلها أدلة قطعية على بطلانها، بما فيها من أباطيل ومستحيلات، وأوهام وأخطاء علمية كثيرة جدا. وبذلك يتبين تهافت وزيف وبطلان ما قاله السواح عن علاقة العلم بالدين والفلسفة والأسطورة.

وأخيرا ، إن من أوهام السواح فيما ذكره عن الأسطورة والدين والعلم في وقتنا الحاضر، أنه قال: { لقد تراجعت الأسطورة عن مواقعها القديمة كمركز للحياة الفكرية في المجتمعات، وقامت الفلسفة والعلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية بالاستيلاء على معظم ميادينها، وبشكل خاص تلك الميادين ذات الموضوعات التي يمكن إخضاع مقولاتها للبرهان وللاختبار، ولكنها بقيت متحصنة في ذلك الموقع القوي الذي لم تستطع دولة العلم والعقل الحديثة دكَّه حتى الآن، وهو الدين، في تلك المساحة الضيقة من أطروحات الدين التي بقيت عصيَّة على الدحض وعلى الاختبار. فالأديان القائمة اليوم في شتى ثقافات العالم مازالت حريصة على أساطيرها التقليدية التي حافظت على طاقاتها الإيحائية إلى حد ما، وذلك رغم نضوب الفكر الأسطوري الذي كان فاعلاً ومؤثراً في شتى مناحي حياة الثقافات القديمة}.

أقول: إن قول السواح فيه حق وباطل، وأوهام وأهواء .وتفصيل ذلك هو أن الأساطير القديمة والحديثة ما تزال موجودة بين العوام والعلماء على حدا سواء، وهذا أمر ثابت قطعا . وهي كما أنها مُتحصنة بالأديان القديمة فهي أيضا متحصنة بالفلسفات والمذاهب والأديان الحديثة ومتسترة بالعلم . والسبب في ذلك ليس لأن العلم الصحيح والعقل الصريح لم يقولا كلمتهما في الأديان والمذاهب والفلسفات الباطلة، ولم يُبينا زيفها وأوهامها وأساطيرها، ولا أنهما لم يدخلا في نقدها؛ وإنما هذا قد تم فعلا على أيدي

العلماء الأحرار النزهاء الطالبين للحق؛ ولكن أن الناس على اختلاف فئاتهم هم الذين رفضوا التخلي عن عقائدهم ومذاهبهم وفلسفاتهم الباطلة إتباعا لأهوائهم ومصالحهم، وأما العلم الصحيح فقد قال كلمته العلمية . ولذلك فإن من الحقائق الثابتة هي أن العلم الصحيح والعقل الصريح قد نقضا ودكّا وهدّما كل الأديان والمذاهب والفلسفات الباطلة،بالاعتماد على حقائق علوم الطبيعة والإنسان وبدائه العقول ومسلماتها وأدلتها الفطرية. علما بأن كل من يريد بصدق وإخلاص البحث عن الحقيقة فعليه بالصبر والتضحية والتزود بالعلم ؛ فإنه سيجد الطريق أمامه واضحا ومفتوحا ليتخلص من الأوهام والضلالات والأساطير التي أضلته وأفسدته؛ لكن الأهواء والمصالح يمنعان أكثر الناس من إتباع الحق والتخلي عن أوهامهم وأساطيرهم . وهنا تكمن مأساة الإنسان ، فيضل ويُضل ويكون مصيره خسران الدنيا والآخرة. علما بأنه بفضل العلم والعقل والحياد العلمي يُمكن نقد أي دين مهما كان، بأصوله وفروعه، فيُخضع للنقد الصحيح، وستظهر حقيقته، فإن كان دينا باطلا سيسقط ، وإن كان صحيحا سيصمد وتقوم الأدلة القطعية على صحته.

ثانيا: ليس صحيحا أن الفكر الأسطوري الذي كان حيا نشطا قد نضب في عصرنا الحاضر. فهذا لم يحدث ولن يحدث ما دام الإنسان منحرفا عن عن الوحي والعقل والعلم. ولذلك فإن الإنسان في العصر الحديث باسم العلم والعقل ما يزال يحتفظ بأساطيره وأوهامه وخرافاته القديمة. وباسم العلم أيضا اختلق أساطير حديثة كثيرة ألبسها ثوب العلم زورا وبهتانا. فأصبحنا اليوم نجد أساطير وأوهاما، وخرافات في النظريات العلمية متسرة بالعلم. منها مثلا قول طائفة من العلماء بخرافة التطور العضوي، ووهم الانتخاب الطبيعي، والقول بأن الكون خلق نفسه من لاشيء، أو أن الكون خُلق صدفة، وأن قوانين الطبيعة خلقت الكون. كل هذه المزاعم من يدرسها بعلم وموضوعية سيتأكد قطعا أنها لا تختلف في صميمها عن أساطير وخرافات القدماء رغم تسترها بالعلم .

وبما أن الأمر كذلك، فلا يصح حصر الأساطير والخرافات في الأديان المعروفة، وإنما الحقيقة هي أن الأساطير ما تزال تنتشر في المذاهب والأديان الجديدة بالمعنى الواسع للدين وليس بالمعنى الضيق له. فالإلحاد مثلا دين، والعلمانية دين، والقاديانية، دين، والبهائية دين،

والماركسية دين. وكل هذه الأديان الحديثة لها أوهامها وخرافاتها وأساطيرها، وحتى الباحثين المعاصرين الذين تخصصوا في دراسة الأساطير بمنهج ناقص مخالف للعلم والعقل والوحي في أكثر جوانبه، هم أيضا لهم أوهامهم وأساطيرهم ، كفراس السواح، ومحقق الأفستا خليل عبد الرحمن وأمثالهما كما بيناه في كتابنا هذا. والحقيقة أن أكبر خرافة وأسطورة راجت في عصرنا الحالي بين كثير من أهل العلم هي الإلحاد.هو كذلك لأنه دين يقوم أساسا على معاندة الفطرة وعصيانها،ومخالفة العقل والوحي، ورفض العلم إتباعا للأهواء والظنون والأوهام .

وإنهاءً لهذا الفصل، يُستنتج منه أن الباحث فراس السواح وقع في أوهام وضلالات كثيرة ذكرنا منها شواهد كثيرة ومتنوعة، تتعلق بنشأة الدين ومكوناته، وبالأساطير وتطورها، وبعلاقة الأساطير بالدين والفلسفة والعلم. فتبين منها أنه لم يدرس الدين والأساطير والفلسفة والعلم بمنهج علمي صحيح قائم على العقل والوحي والعلم، وإنما درس ذلك بمنهج ذاتي ناقص متعصب للباطل أكثر من تعصبه للعلم، فكانت النتيجة أن جانبا كبيرا من فكره ليس من العلم في شيء، وإنما هو أوهام وأهواء وظنون وأساطير!! .

الفصل الثاني
أوهام في دراسة الديانة الزرادشتية

الوهم الأول: الاحتجاج بالأفستا وأدبياته كمصدر لتاريخ الزرادشتية
الوهم الثاني: القول بأن الزرادشتية ديانة توحيد ونبوة
الوهم الثالث: القول بأن الزرادشتية من أقدم الديانات التوحيدية
الوهم الرابع : القول بأن الزرادشتية حلت مشكلة الشر والحرية
الوهم الخامس: الزعم بأن الزرادشتية أثرت في الإسلام وأديان أخرى.

*****

أوهام في دراسة الديانة الزرادشتية

وقع كثير من الباحثين المعاصرين الذين درسوا الديانة الزرادشتية في أوهام وضلالات وأساطير كثيرة ومتنوعة، فأوصلتهم إلى نتائج زائفة ومتهافتة وخطيرة جدا،أذكر منها خمسة أوهام بشيء من التفصيل، وأناقشهم فيها وأُثبت بطلانها من جهة؛ وتنقض مزاعمهم وتُهدم أصول الزرادشتية من أساسها من جهة أخرى.

الوهم الأول: الاحتجاج بالأفستا وأدبياته كمصدر لتاريخ الزرادشتية:

احتج أكثر الباحثين الذين كتبوا في الزرادشتية بكتاب الأفستا وأدبياته كمصدر مقبول فيما يتعلق بتاريخ الزرادشتية المزعوم : نشأة وتطوراً ، إلى قيام الدولة الساسانية سنة 227 م؛ احتجوا به كدليل صحيح بنوا عليه أبحاثهم ونتائجهم. وموقفهم هذا ليس بصحيح، وهو وَهم وقعوا فيه وأوصلهم إلى نتائج خاطئة.وتفصيل ذلك يتطلب بيان جانب من تاريخ الأفستا: نشأة وتطوراً في العصرين الساساني والإسلامي من جهة؛ وإظهار افتقاده للقيمة العلمية كمصدر لتاريخ الزرادشتية من جهة أخرى .

أولا: تدوين الأفستا لأول مرة في عصر الساسانيين:

فيما يتعلق بذلك أولا، فلم يثبت أن زرادشت كتب الأفستا ولا بعضا منه، ولا كان مكتوبا قبل الساسانيين، وإنما الثابت أنه كُتب أول مرة في عصر الساسانيين{227- 637 م}. واُختلف في تحديد تاريخ تدوينه ولو بالتقريب، بل واختلف حتى في القرن الذي دُوّن فيه، فقيل كتب في القرن الثالث، أو الرابع، أو الخامس ، أو القرن السادس الميلادي.

وفي مقابل ذلك رُوي أن الملك الساساني أردشير الأول بن بابك (224 – 241 م) أمر تنسر كبير كهنة طائفة المغان الزرادشتيين-

المجوس- بجمع نصوص الأفستا المبعثرة في نص واحد، فجمعها وأجيزت وأُعتبرت كتابا مقدسا.

وقيل أن الملك شابور الأول بن أردشير أمر بإدخال نصوص أخرى في الأفستا تتعلق بالطب والنجوم وما وراء الطبيعة . وبسبب استمرار الخلافات الدينية بين الزرادشتيين أمر الملك شابور الثاني (309- 379 م) بعقد مجمع مقدس برئاسة كبير الكهنة " آذربد مهر سفندان " ، وهناك حُدد نهائيا النص الأفستي ، وقُسم إلى 21 كتابا – نسكا – واعتبروه نصا مقدسا. علما بأن تدوينه تم في فترات متقطعة، وبالتعاون مع طائفة المغان راعية دين المجوس.

وتجب الإشارة هنا إلى أنه لم تصلنا روايات ولا نصوص تعود إلى عصر الساسانيين تحدد زمن تدوين الأفستا ، وإنما الذي وصلنا هو روايات زرادشتية كتبت في العصر الإسلامي ذكرت جانبا من ذلك؛ وهي روايات متأخرة ومُتهمة ومشكوك فيها، ومتأثرة بظروفها ولم تثبت صحتها كما سنبينه قريبا.وهذا يعني أننا أمام تخمينات وظنيات واحتمالات ولسنا أمام معطيات ثابتة ولا قطعية يُمكنها أن تحدد بدقة زمن تدوين الأفستا في عصر الساسانيين وهو اختلاف غريب جدا، يُثير شكوكا وتساؤلات خطيرة جدا، منها: لماذا أُختلف ذلك الاختلاف في تحديد تاريخ وقرن تدوين الأفستا رغم أنه ظهر في عصر ساد فيه الاستقرار، وبتوجيه وأمر السلطة الساسانية، وبإشراف وتدوين كهان المجوس المشرفين على المجوسية- الزرادشتية- في عصر بني ساسان؟؟!!. وهل يعني ذلك أن الأفستا أُختلق اختلاقا في فترات متباعدة حسب الظروف، ولم تكن له أصول قبل ولا في زمن الساسانيين؟؟. لا شك أن الأفستا لو كان كتابا واحدا مكتوبا ومعروفا ومتداولا بين الناس أو على الأقل بين أهل العلم لما أُختلف في تحديد زمن كتابته كل ذلك الاختلاف؛ وهو من جهة أخرى قد اختلف في تحديد زمن كتابته كما أُختلف في تحديد الزمن الذي عاش فيه زرادشت المزعوم والمنسوب إليه الكتاب، فقيل أنه عاش في: القرن: 6، أو 10، أو 15 ، أو 20، 60 قرنا قبل الملاد ؟؟!!!!!. فهل يُعقل أن يُختلف في تحديد زمن حياته كل ذلك الاختلاف؟؟!! .

ثانيا: بما أن الأمر كذلك ، فهل كانت للأفستا وثائق ونصوص مكتوبة أو شفوية قبل الساسانيين، وبها استعان كُهان المجوس في كتابته زمن بني ساسان؟ . زعم الباحث جوفري باريندر أن الأفستا :{ قد استمر تناقله شفهيا لقرون }، حتى دُوّن في عصر الساسانيين. وزعم الباحث فراس السواح أن تعاليم زرادشت وأحاديثه الشفوية تناقلتها الأجيال شفهيا إلى أن دوّنت في زمن الساسانيين. وزعم بعض الباحثين أن الفرس تناقلوا أجزاء كتاب الزند أفستا القديمة بالسماع "لأنهم لم يلجأوا إلى الكتابة إلا في أواخر القرن السادس" الميلادي .

ورُوي في كتابين من أدبيات الأفستا المدونة في العصر الإسلامي " : ق 3 هـ/ 9 م" أن الإمبراطور أردشير – مؤسس الدولة الساسانية- هو الذي أمر كبير كهان المجوس تنسر بأن يجمع الأفستا من نصوصه المتفرقة بعدما أحرقه الأسكندر المقدوني ومما يحفظه الناس منه، ويجمعه في كتاب.

أقول: إن كل ما قاله هؤلاء عن وجود نصوص شفوية أفستية تناقلتها الأجيال قبل تدوين الأفستا أيام الساسانيين هو تخمينات وظنون ورغبات وتمنيات واجتهادات، لم يُوثقوها بأدلة تاريخية تعود إلى عصر ما قبل الساسانيين، ولا توجد شواهد تاريخية قديمة ترجع إلى ما قبل تدوين الأفستا تثبت زعمهم؛ وإنما هي آراء ظنية شخصية استعانت بما كتبه الزرادشتيون عن دينهم في العصر الإسلامي كما سنبينه قريبا. وهي آراء لا يصح الاعتماد عليها لعدم توفر الأدلة القديمة المؤيدة لها، ولأن مراجع الزرادشتيين المتأخرة ضعيفة جدا، ومتأخرة وفاقدة للموضوعية العلمية غالبا كما سيتضح لاحقا.

كما أن القول بأن الفُرس لم يدونوا تراث الأفستا لأنهم لم يستخدموا الكتابة إلا في أواخر القرن السادس الميلادي ،هو زعم لا يصح، ويجب إثباته أولا، وهذا لم يفعله المؤلفان، ولا يُمكنهما فعله لأنه مخالف للحقيقة التاريخية، وهي أن التدوين كان منتشرا بين كهان المجوس وفي مؤسسات دول الفرس قبل الساسانيين وفي دولتهم، وكان المجوس هم المشرفون على الحياة الدينية في بلاد فارس من جهة، والكهان أنفسهم كانوا في أمس الحاجة إلى تدوين كثيرا من نشاطهم الديني ولا يسمح وضعهم تأخير استخدام التدوين إلى أواخر القرن السادس الميلادي. وهذا شاهد على أن الأفستا لو كان موجودا شفويا أو مبعثرا لكتبه كهان المجوس في كتاب

واحد قبل الساسانيين لأنهم في أمس الحاجة إليه، ولا يوجد مانع يمنعهم من تدوينه، خاصة وأنهم كانوا طائفة مُنظمة ،ولهم نفوذ قوي في دول الفرس وشعوبهم ، كما سنبينه لاحقا . ولا شك أن الأفستا لو كان مرويا شفويا أو مكتوبا مبعثرا قبل دولة بني ساسان، لما تأخر تدوينه في عصر الساسانيين، ولا اختلف في تحديد زمن كتابته ذلك الاختلاف الكبير، ولا استغرق تلك المدة الطويلة حتى أصبح يُمثل كتابا واحدا كبيرا في أواخر العصر الساساني.

أما بالنسبة لما ورد في الكتابين الزرادشتيين المُتأخريّن ، فإن الأمر لا يختلف عما قاله الباحثون السابقون، ويرده أيضا ما قلناه في نقد ما قاله هؤلاء.لكني أقول أيضا: الكتابان هما: كتاب كتبه الكاهن تنسر، فاشتهر به" كتاب تنسر" ترجمه ابن المقفع إلى اللغة العربية في القرن الثاني الهجري، ثم تُرجم إلى اللغة الفارسية في القرن الثالث عشر الميلادي والنسخة العربية مفقودة إلى اليوم. والثاني: كتاب الدينكرد ، من مؤلفات الزرادشتيين في العصر الإسلامي" ق 3 هـ/ 9 م-، وسنعود إليه قريبا. واضح من ذلك أن ما ورد في الكتابين بعيد جدا عن زمن ما قبل الساسانيين وعن أيام تأسيس دولتهم من جهة، ولا توجد شواهد تاريخية تعود إلى ما قبل الساسانيين ولا قريبة منهم تؤيد ذلك من جهة أخرى. كما أن الكتابين وغيرهما من أدبيات الأفستا في العصر الإسلامي لا يُوثق بهما، لأنهما كانا نتاج ظروف جديدة وكُتبا من اجل غايات زرادشتية لانقاذ الزرادشتية والزرادشتين من الانقراض بعدما أسلم معظم الفرس ، فحالت تلك الظروف دون كتابة هؤلاء لأدبياتهم بطريقة موضوعية وعلمية من ناحية، وأدخلوا فيها أباطيل وأكاذيب وأساطير كثيرة من ناحية أخرى.

وبذلك يتبين مما قالته تلك الروايات أنه لم يصح ولم يثبت أن الأفستا كان متداولا شفهيا ولا مكتوبا قبل تدوينه زمن الساسانيين ؛ ولم يثبت تدوينه إلا بعد قيام دولة بني ساسان.

ومن ذلك أيضا أن المراجع الزرادشتية المتأخرة روت أن كتاب الأفستا جُمع ودُوّن في عهد الملك الفرثي أولغاش الأول :- 51- 77 م - . لكن هذا لم يثبت، فهو زعم أكثر مما هو رواية تاريخية لأن تلك الرواية متأخرة كتبت ضمن أدبيات الأفستا في العصر الإسلامي ، ولا يوجد شاهد تاريخي

قديم يثبته ،ويعود إلى ذلك العهد. كما أن مما ينفي هذا الزعم والمزاعم الأخرى التي قالت بأن الأفستا دُوّن قبل قيام الدولة الساسانية، هو أن الكتابة {العائدة لشابور الأول الساساني – 241-272 م- المنقوشة في جدار معبد النار في " نقش رستم- تشير إلى ان الأفستا لم تكن قد دُوّنت بعد، ويميل معظم الثقات المختصين إلى إرجاع زمن الخط المدوّن به الأفستا إلى منتصف القرن الرابع أو لعله السادس للميلاد}.

ومن تلك المزاعم أيضا ما رواه المؤرخ المسعودي بأن زرادشت (ق: 6، أو 10 ، أو 60 ق م) جاء بكتاب الأفستا ، وأن الأسكندر المقدوني(356 – 323 ق م) عندما احتل بلاد فارس أحرقه. ، أو أحرق بعضه، وأنه أتى قومه ((بكتابهم هذا بلغة يعجزون عن إيراد مثلها، ولا يدركون كنه مرادها، وسنذكر بعد هذا الموضع من هذا الكتاب ما أتى به زرادشت، وما جعل له من التفسير وتفسير التفسير، وكتب هذا الكتاب في أثني عشر ألف مجلد بالذهب، فيه وعد ووعيد، وأمر ونهي، وغير ذلك من الشرائع والعبادات فلم تزل الملوك تعمل بما في هذا الكتاب إلى عهد الإسكندر((356 – 323 ق م)) وما كان من قتله لدارا بن دارا، فأحرق الإسكندر بعض هذا الكتاب)) .

أقول: إن قوله هذا لا يصح إسنادا ولا متنا، فأما إسنادا فإن المسعودي لم يذكر لروايته إسنادا ولا مصدرا قريبا من الحادثة ، مع أن بينه وبينها أكثر من 12 قرنا منذ زمن زرادشت المزعوم . ولهذا لا يصح قبول رواية هذا حالها، فهي رواية لا أصل لها. فخبر كهذا يجب أن يكون له إسناد أولا، ثم يُصحح ثانيا لكي يُقبل ، لأنه ليس خبرا عاديا ، وإنما هو خبر هام وخطير جدا يتعلق بأصل الديانة الزرادشتية وهذا يجب أن يقوم على اليقين والصحيح من الأخبار. وبما أن تلك الرواية لا إسناد لها فهي لا تصح من جهة الإسناد ، والذي هو شرط أساسي لصحة أي خبر، مهما كان نوعه. ولنتيقن منه يجب أن يكون إسناده صحيحا .

وأما متن تلك الرواية القائل بأن زرادشت جاء بكتاب الأفستا ، وقد كان موجودا قبل احتلال الاسكندر المقدوني لبلاد فارس فلما دخلها أحرقه كله أو بعضه ، فهو لم يثبت ولا يصح بدليل الشواهد الآتية:

أولها: عندما زار المؤرخ اليوناني هيرودوت (484 – 425 هـ) بلاد فارس في القرن الخامس قبل الميلاد تكلم عن دين الإيرانيين فسماه دين الفرس، وذكر أصوله وفروعه وأهم خصائصه لكنه لم يذكر أن له كتابا اسمه الأفستا ولا له اسم آخر. مما يدل على أن دين الفرس لم يكن له كتاب مُقدس يقوم عليه، ولا كان للفرس مثل هذا الكتاب. وهذا يعني أن الأفستا لم يكن له وجود في القرن الخامس قبل الميلاد.

ومن جهة ثانية فإن هيرودوت عندما وصف دين الإيرانيين سماه دين الفرس ولم يُسمه الزرادشتية. مما يدل أيضا على أنه لم يكن لها وجود في زمانه ، وهذا يعني أن الأفستا لم يكن له وجود أيضا، لأن الزرادشتية هي التي جاءت به .

ومن جهة ثالثة إن هيرودوت عندما تكلم عن دين الفرس لم يذكر له شخصا هو مؤسسه ، ولا قال أن الفرس يتبعونه وينتمون إليه ، ولا أنه هو مؤسس دينهم، ولا أشار إلى زرادشت من قريب ولا من بعيد، ولا أشار إلى الزرادشتية المنسوبة إليه. وهذا يُشير إلى أن مؤسس دين الفرس ليس هو زرادشت ، ولا كانوا ينتمون إليه. مما يدل على أن الأفستا أيضا لم يكن له وجود في القرن الخامس قبل الميلاد، لأنه لا أفستا دون زرادشت والزرادشتية .

الشاهد الثاني: مفاده أن المؤرخ هيرودوت عندما زار بلاد فارس وتكلم عن دين الفرس وعاداتهم القبيحة والحميدة لم يذكر من بينها أنهم كانوا يتزوجون بالمحارم- الأم ، البنت ، الأخت ...- ، بل ذكر صراحة أنهم لم يكونوا يُمارسون زواج المحارم ، وأشار إلى أنهم كانوا يستنكرونه. بل عندما تكلم عن ملك الفرس قمبيز بن قورش وتوسعاته في مصر وغيرها أشار إلى أنه تزوج بأختين له ولم يكن هذا ممارسا بين الفرس على الإطلاق فتحرج من ذلك واستشار القضاة الملكيين وطلب منهم مبررات لفعله فأوجدوا له ذلك ، فقال هيرودوت: ((بالرغم من أن زواج الإخوة لم يكن من عادات الفرس على الإطلاق)). وبما أن الأمر كذلك والأفستا أشار إلى الزواج بالمحارم وسماه الزواج الأسري كما بيناه في بحث سابق، فإن هذا يعني أن كتاب الأفستا لم يكن موجودا في القرن الخامس قبل الميلاد، لأنه لو كان موجودا لكان زواج المحارم منتشرا بين الفرس وما استنكروه بحكم أن الأفستا لم يحرمه .

ومن جهة أخرى فمن الثابت دينيا وتاريخيا أن الزرادشتية كانت تبيح زواج المحارم وتحث عليه في العصر الساساني وفي القرون الإسلامية الأولى. وبما أن هيرودت أكد بأن الفرس لم يكونوا يأخذون بزواج المحارم عندما زار إيران في القرن الخامس قبل الميلاد ، فإن هذا يدل على أن الزرادشتية لم يكن لها وجود في إيران زمن هيرودوت . وبما أن أنها كذلك، فهذا يعني أن الأفستا لم يكن له وجود أيضا لأن الزرادشتية هي التي أوجدت الأفستا. فكيف يقال بأن زرادشت الذي عاش في القرن السابع ، أو العاشر،أو الخامس عشر، أو الستين قبل الميلاد هو الذي جاء بالزرادشتية والأفستا ؟؟!! .

الشاهد الثالث : إن اعتراف الزرادشتيين بأن الأفستا الحقيقي الذي كان له وجود في الواقع ومعروف بين الناس هو ذلك الأفستا الذي جمعه وكتبه المغان – كهان المجوسية الزرادشتية - بأمر وإشراف وتوجيه من الساسانيين عند قيام دولتهم سنة 224 م ، هو شاهد صحيح على أن الأفستا لم يكن له وجود قبل الساسانيين ، وأن حكاية حرق الأسكندر المقدوني لم تثبت ولا تصح ، بدليل المعطيات الآتية:

منها: إذا قلنا أن الرجل أحرق بعض الأفستا ، فهذا يعني أن معظم الأفستا لم يُحرق وكان بين أيدي الفرس وفي إمكانهم إكماله بما عندهم من نُسخ ، ومحفوظات ، وحتى وإن لم يُكمل فيمكنهم التعامل معه ناقصا بحكم أنه لم يحرق منه إلا القليل. لكن هذا لا يصح لأن الروايات الساسانية تقول أن الأفستا لم يُكتب مرة أخرى إلا بعد قرون أعيدت كتابته من الذكريات والشذرات المتبقية منه ، فتولت الدولة الساسانية (224- 652 م) جمعه وتدوينه والإشراف عليه في فترت متقطعة، وبالتعاون مع طائفة المغان راعية دين المجوس . من ذلك أن الملك الساساني أردشير الأول بن بابك (224 – 241 م) أمر تنسر كبير كهنة طائفة المغان الزرادشتيين بجمع نصوص الأفستا المبعثرة في نص واحد، فجمعها وأُجيزت وأُعتبرت كتابا مقدسا . وهذا يعني ان الأفستا أُحرق كله أو معظمه وليس بعضه فقط حسب رواية الحرق. وإلا لماذا لم يظهر الأفستا إلا بعد نحو 6 قرون لو أنه كان ما يزال موجودا كله تقريبا ؟؟، و ماذا جمع كهان الزرادشتية وماذا كتبوا زمن الساسانيين لو كان الأفستا ما يزال موجودا كله تقريبا ؟؟ . وبما أن الأفستا ظهر على أيدي هؤلاء زمن الساسانيين دل هذا على أن الأفستا

لم يكن له وجود في القرن الخامس قبل الميلاد ولا حرقه الأسكندر المقدوني.

وأما إذا قلنا بأن المقدوني أحرق كل الأفستا ، فمن المُستبعد جدا أن يحرق كل نُسخه. لأنه لو فرضنا جدلا أن الكتاب كان موجودا ، فلا شك أنه كانت له نُسخ وأجزاء كثيرة على الأقل في معابد النار الكبرى عند كبار علماء المجوسية الذين كانوا يُشرفون على المعابد والمؤسسات الدينية منذ القرن السابع قبل الميلاد إلى قيام دولة الساسانيين. وبما أن الأمر كذلك فلا يستطيع الأسكندر المقدوني أن يحرق كل نُسخ الكتاب . وبما أنه من الثابت تاريخا أن الفرس لم يُغيروا دينهم عندما احتل المقدوني بلادهم ، وبقوا متمسكين به أيام دولته وزمن الدولة الإشكانية إلى قيام الدولة الساسانية ، فإن هذا يتطلب بل ويستلزم من الفرس أن يهبوا جميعا وسريعا إلى إنقاذ كتابهم الذي زعموا أن المقدوني أحرقه. وبما أن هذا لم يسجل التاريخ أنه حدث، وبما أنه أخبرنا أن الساسانيين هم الذين جمعوه بعد نحو 6 قرون فهذا دليل دامغ على أن الأفستا لم يكن له وجود قبلهم ولا أحرقه الأسكندر المقدوني.

وبمعنى آخر ، فلو كان للأفستا وجود وأحرقه المقدوني لسارع المجوس لإعادة كتابته بكل الوسائل العلنية والخفية إنقاذا لكتابهم ودينهم ، فلا يُعقل أن يظلوا محافظين على دينهم وجماعتهم ومعابدهم ، ولا يُسارعون إلى إنقاذ كتابهم مباشرة بعد حرقه ، لأن انقاذه مباشرة أسهل لقرب العهد به وسهولة الحصول على نسخه وأجزائه ورواياته قبل أن تضيع ويُفسدها الزمن . وبما أن هذا لم يحدث مباشرة، ولا بعد 20 سنة، ولا 50 سنة ، ولا 300 سنة ، ولم يظهر إلا بعد نحو 6 قرون دل هذا على أن الكتاب لم يكن له وجود زمن الأسكندر ولا أحرقه.

وبما أن الأفستا لم يظهر إلا بعد نحو 6 قرون من غزو الأسكندر المقدوني لإيران وحرقه للأفستا حسب زعم تلك الرواية، فلماذا لم يُجمع مباشرة بعد حرقه، أو على الأقل بعد شهور أو عام ؟؟!! ، ولماذا تأخر جمعه نحو 6 قرون ؟؟!! ، أليس جمعه بعد حرقه مباشرة أولى وأسهل وأضمن وأوثق وأحسن للمجوس والفرس عامة ؟؟!! ، وأليس جمعه بعد 6 قرون مع حاجة أتباعه إليه هو دليل دامغ على أن هذا الكتاب لم يكن له وجود أصلا عندما احتل المقدوني إيران ؟؟!!..

الشاهد الرابع: يتعلق برواية المسعودي التي وصفت الأفستا وصاحبه زرادشت وحرق الأسكندر المقدوني له . هذه الرواية تضمنت معطيات تشهد على نفسها بأنها غير صحيحة ، وكتاب الأفستا المزعوم لم يكن له وجود زمن زرادشت ولا عندما احتل المقدوني بلاد فارس.

منها إن تلك الرواية قالت بأن الأفستا كان كتابا معجزا جاء به زرادشت كدليل على نبوته، وأن الأفستا أحرق جزء منه . وهذا زعم باطل من دون شك ، لأن الأفستا الذي بين أيدينا- ولا أفستا غيره- يستحيل أن يكون وحيا إلهيا ولا معجزا ولا الذي جاء به كان نبيا، لأنه كتاب شرك وتعدد ووثنية، ومملوء بالأساطير والأوهام والأهواء، والأخطاء والمستحيلات ، ذكرنا طرفا منها في كتابنا هذا، وليس هنا موضع تفصيل ذلك . وهذا يعني بالضرورة عدم صحة رواية المسعودي إسنادا ومتنا . وبما أن الأمر كذلك فإنه يدل على أن كتاب الأفستا لم يكن له وجود زمن زرادشت النبي المزعوم ، ولا في القرن الرابع قبل الميلاد عندما احتل الأسكندر المقدوني بلاد فارس. لكن الظاهر أن مختلقي تلك الرواية وزعمهم أن الأفستا كان كتابا معجزا وصفوه بذلك تأثرا بالقرآن الكريم الذي هو كتاب معجز بدليل الشرع والعلم والواقع والتاريخ . إنهم وصفوا الأفستا بذلك عندما حرفوا دينهم وكتابهم وتراثهم في العصر الإسلامي تأثرا بالإسلام وأهله لتحقيق مكاسب دينية ودنيوية كما بيناه في كتابنا: تحريف الزرادشتيين للديانة الزرادشتية في العصر الإسلامي.

ومنها أن تلك الرواية عليها صبغة خرافية ، وتضمنت ما يُنكر عقلا ، كقولها بأن الكتاب كان يتكون من 12 ألف مجلد، فهذا كلام خرافي ، ولا يصح تصديقه ومن الغباء قبوله. فلم يشهد تاريخ البشرية قديما ولا حديثا أن أحدا من الناس ألف كتابا أو جاء به يتكون من 12 ألف مجلد!!.

وأما إذا قيل: إن الأفستا بذلك الحجم لم يكن عملا بشريا ، وإنما هو تنزيل إلهي . فأقول: إن نسبة ذلك إلى البشر لا يصح كما قلنا أعلاه ، ونسبته إلى الله لا يصح أيضا . لأن القول به هو طعن في الحكمة الإلهية، فليس من الحكمة أن يُنزّل الله على عباده كتابا يتكون من 12 الف مجلد ، ويأمرهم بقراءته ، وتدبره وتطبيقه، فهذا غير ممكن من الناحية العملية، وهو حمل ثقيل عليهم ، وعقابا لهم لا رحمة بهم،ولا فائدة من إنزاله عليهم.

وبما أن الله تعالى حكيم ولا يعبث ، ورحيم بعباده ، وينزل كتبه نورا وهداية ، ويريد لهم اليسر لا العصر، فلا يصح القول بأن الله أنزل كتابا من 12 ألف مجلد.مما يعني أيضا أن الأفستا ليس كتابا إلهيا ، ولا جاء به زرادشت المزعوم ولا كان له وجود عندما احتل الأسكندر المقدوني بلاد الفرس .

ومنها أيضا أن تلك الرواية زعمت أن الأفستا الذي جاء به زرادشت المزعوم من صفاته المُعجزة أن قومه كانوا عاجزين عن إدراك كنه مراد لغته. وهذا الزعم هو دليل دامغ على عدم صحة تلك الرواية، لأنه يستحيل أن ينزل الله تعالى كتابا على قوم لا يُمكنهم أن يفهموه ولا أن يدركوا أوامره وحِكمه وكنه مراميه. كما أن القول بذلك هو اتهام لله بالعبث وعدم الحكمة في أفعاله، بل هو تعطيل لمبدأ الرسالة وغاياتها. وبما أن هذا باطل ولا يصح نسبته إلى الله تعالى ، فإنه يدل على عدم صحة تلك الرواية، وعلى أن الأفستا لم يكن له وجود زمن زرادشت ولا زمن الأسكندر المقدوني.

الشاهد الخامس: مفاده أن القرآن الكريم لم يسم الفرس زرادشتيين ولا مانويين ، ولا مزدكيين، وإنما ذكرهم باسمهم الجامع مرة واحدة، هو: المجوس في قوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (الحج : 17)) . فماذا يعني ذلك ؟، إنه يعني بوضوح أن هؤلاء كلهم مجوس، وديانتهم هي المجوسية بأصولها التي تجمعهم، وأنهم في الأصل مجوس لا زرادشتيون ، ولا مانويون ، ولا مُزدكيون . وأن انقسامهم حدث بينهم في عصورهم المُتأخرة زمن الساسانيين ، لكنه لم يُخرجهم من المجوسية. ويعني أيضا أن دينهم في الأصل لم يكن زرادشتيا ولا أسسه زرادشت ، فلو كان كذلك لسماهم الله تعالى بالزرادشتيين باسمهم الأصلي، فلا يصح تغيير اسمهم وتسميتهم باسم لا يُعبر عن حقيقتهم ولا عن التاريخ الصحيح . وبما أن الله تعالى سماهم المجوس دل هذا على أنهم لم يكونوا زرادشتيين وإنما كانوا مجوسا منذ ظهورهم يعتنقون الديانة المجوسية، ولا كان مؤسس دينهم هو زرادشت النبي المزعوم .وبما أن الأمر كذلك فالقرآن يدلنا على أنه لا وجود لزرادشت كنبي ولا لدينه ولا لكتابه الأفستا المنسوب إليه، فلم يكن له وجود في القرن الخامس قبل الميلاد ولا قبله ولا بعده .

الشاهد السادس : إن القرآن الكريم عندما تكلم عن مصير أهل الكتاب يوم القيامة بعدما ظهر الإسلام وأهله، فإنه فرّق بين أهل الكتاب الذين كانوا في زمن الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، والذين كانوا بعد ظهور الإسلام وانتشاره فأوجب عليهم دين الإسلام وألحق بهم المشركين والمجوس في قوله تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ [الحج : 17]} . لكنه عندما تكلم عن أهل الكتاب زمن الفترة بدأ بالمؤمنين ثم أهل الكتاب فقال{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ [البقرة : 62]}. واضح من الآية أن الله تعالى ذكر المسلمين، ثم اليهود، والنصارى والصابئة ووعدهم بالأجر والفوز يوم القيامة شريطة الإيمان بالله، واليوم الآخر، والعمل الصالح . هؤلاء هم أهل الكتاب كلهم وشروط فلاحهم، ولا يوجد من بينهم المجوس رغم كثرة عددهم وقِدم دينهم بالمقارنة إلى الصابئة مثلا. لم يذكرهم لأنهم ليسوا أهل كتاب، ولا كانوا يؤمنون بالله الواحد الأحد، ولا كان نبيهم المزعوم نبيا، ولا له كتاب. وبما أن الأمر كذلك، فلا زرادشت النبي المزعوم له وجود،ولا كان نبيا، ولا جاء بكتاب مقدس، ولا احرقه الاسكندر المقدوني.

الشاهد السابع : دلت الشواهد التاريخية والدينية على أن الهنود والإيرانيين كما أن أصلهم العرقي واحد – الجنس الآري- فإن دينهم في الأصل كان واحدا أيضا، هو الديانة المزدية – نسبة للإله مزدا - . ولذلك تشابهت أساطير الهنود الدينية الموجودة في الفيدا مع أساطير الفرس الموجودة في الأفستا ،وفي أسماء الآلهة وقِوى الخير والشر ووقائع حوادثهم إلى درجة ((جعلت علماء الهند يعتقدون أن الأفستا ليس وحيا من عند : أهورا مزدا ، بل مأخوذ من الفيدا الهندية)). وقد ((اتفق معظم العلماء على أن مزدا- الحكيم – عند الإيرانيين الأهورا الأكبر هو " وارونا القديم" ولم يحفظ الإيرانيون اسمه الأصلي، كما أن المزدية أقدم من الزرادشتية)). فماذا يعني هذا ؟؟، بناء على تلك المعطيات، والشواهد التي أوردناها هنا فإنها بينت أن الأفستا لم يكن له وجود في القرن الخامس قبل الميلاد، وهذا يعني ثلاثة أمور هامة وخطيرة جدا: الأول هو أن القدماء من الهنود والفرس دينهم واحد ، هو الديانة المزدية، تقوم على الاعتقاد بالإله أهورامزدا ، مع الآلهة الأخرى. والثاني: إن دين الفرس بما أنه هو الديانة

المزدية، فهذا يعني أنه لم يكن يُعرف بالزرادشتية، ولا أسسه زرادشت المزعوم ،ولا كان للزرادشتية وجود عندما زار هيرودوت بلاد فارس، ولهذا سماه دين الفرس لا الزرادشتية . وهذا يعني بالضرورة أن الأفستا لم يكن له وجود أيضا.

الأمر الأخير- الثالث- : مفاده أن الكُهان المجوس عند قيام الدولة الساسانية وتحالفهم مع الساسانيين وبرعاية وتشجيع منهم، هم الذين اختلقوا الديانة الزرادشتية، أقاموها أساسا على ديانتهم المجوسية أساسا، ثم أدخلوا فيها عقائد وتشريعات أخرى من أديان أخرى ، كالديانة الفرعونية، واليهودية، والهندوسية، والنصرانية، والمزدية .فكونوا بذلك ديانة جديدة سموها الزرادشتية، ونسبوها إلى زرادشت النبي المزعوم. ثم بعد ذلك كتبوا الأفستا وضمنوه عقائد وشريعة ديانتهم الجديدة.

الشاهد الثامن : في إنجيل متى ورد ذكر للمجوس أكثر من مرة (متّى: - 2/ 1- 16)). وبما أن هذا الإنجيل كان موجودا في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي. فهذا يدل على أن الفُرس عامة وكهنتهم خاصة كانوا يُعرفون بالمجوس لا بالزرادشتيين.ويشهد على أن الرزدشتية لم تكن ظهرت ولا كان لها أتباع في ذلك الزمن. وبما أن الدولة الساسانية ظهرت في سنة 227 م وتبنت الزرادشتية دينا لها ، فهذا يدل على أن هذه الديانة بكتابها وأتباعها هي صنيعة الساسانيين والمغان المجوس الذين عدلوا دين المجوس مضمونا وكتابا واسما وأبقوه ثنويا ، وعلى أيدهم ظهرت الزرادشتية وريثة لدين المجوس من جهة، وأن الأفستا لم يكن له وجود بحكم أن الزرادشتية لم تكن موجودة من جهة أخرى.

الشاهد التاسع : إن مما ينفي الزعم بأن الأفستا كان موجودا قبل قيام الدولة الساسانية، هو أن الكتابة {العائدة لشابور الأول الساساني – 241-272 م- المنقوشة في جدار معبد النار في " نقش رستم- تشير إلى ان الأفستا لم تكن قد دُوّنت بعد، ويميل معظم الثقات المختصين إلى إرجاع زمن الخط المدوّن به الأفستا إلى منتصف القرن الرابع أو لعله السادس للميلاد} . وهذا دليل مادي قوي جدا يعني أن كتاب الأفستا كُتب وظهر لأول مرة في عصر الساسانيين ولم يكن له وجود قبلهم، وهذا ينقض حكاية حرق الأسكندر له من أساسها .

الشاهد العاشر: يتمثل في موقف علمي من حكاية حرق الأفستا للعالم العراقي المختص في التاريخ القديم طه باقر، ذكر أن حكاية حرق الاسكندر للأفستا باطلة وما هي إلا أسطورة فقال: { ومما يُذكر عن الديانة الثنوية بالمآثر المتعلقة بزمن تدوين الأفستا، أي الكتاب المقدس الخاص بتعاليم زراوستر ، فمن ذلك الأسطورة القائلة بأن الاسكندر الكبير أحرق هذا الكتاب الذي وجده مدونا على ألف رق من الجلد بحروف من الذهب ، وهذه مجرد أسطورة }. وقوله هذا شهادة علمية دامغة من مؤرخ مُختص، تؤيدها الشواهد الكثيرة التي أوردناها في نقضنا لحكاية حرق الأسكندر للأفستا.

الشاهد الأخير- الحادي عشر - : بما أنه بينا بالشواهد السابقة عدم صحة قول الزرادشتيين بأن الأفستا جاء به زرادشت فأحرقه الأسكندر المقدوني في القرن الرابع قبل الميلاد. وبما أنه ذكرنا أن أول ظهور للأفستا كان في الدولة الساسانية. وبما أنه سنبين لاحقا أن زرادشت النبي المزعوم هو شخص خرافي ولا وجود له، وأن الديانة الزرادشتية لم يكن له وجود قبل الساسانيين ؛ فإن كل ذلك يعني أن الأفستا كتاب مُختلق ومُلفق ولا أصل له يُرجعه إلى زمن زرادشت المزعوم ، ولا إلى عصر الاخمينيين ولا الفرثيين الذين سبقوا الساسانيين، وإنما هو كتاب اختلقه علماء المجوس في عصر الساسانيين وبتشجيع منهم.

وبما أن الزرادشتيين ألحقوا بالأفستا في القرن الرابع الميلادي نصوصا كثيرة تتعلق بالطب والنجوم وما وراء الطبيعة، فاكتمل الكتاب بهذا العمل التحريفي. وبما أنه أثبتنا بالأدلة الصحيحة أن الزرادشتيين حرفوا كتابهم ودينهم وتراثهم في العصر الإسلامي، وبالأخص في القرنين الثالث والرابع الهجريين؛ فطعّموا دينهم بأصول ومفاهيم وتشريعات إسلامية من جهة ، وتخلصوا من معظم الأفستا فلم يبق منه إلا الربع من جهة أخرى. فإنه يتبين من كل ذلك ثلاثة أمور أساسية هامة وخطيرة جدا: الأول، إنه لا يصح نسبة كتاب الأفستا إلى زرادشت النبي المزعوم ، ولا ثَبُت أنه كان موجودا في زمانه ولا في القرن الرابع قبل الميلاد عندما احتل الأسكندر المقدوني إيران، ولا هو أحرقه .

الأمر الثاني: إن هؤلاء المغان المجوس والساسانيون هم الذين اختلقوا الديانة الزرادشتية بكتابها واسمها وأتباعها ، ووَرّثوها دين المجوس ، وأدخلوا فيها أيضا جانبا من دين الفرس ومن أديان أخرى سبقت الزرادشتية التي يجب أن تسمى : المجوسية الزرادشتية . فهؤلاء هم الذين أوجدوا الأفستا وديانته.

والأمر الثالث : إنه لا يصح أن نثق في الزرادشتيين ولا في مروياتهم، لأنه أثبتنا بعشرات الأدلة أنهم لم يكونوا موضوعيين، لا محايدين، ولا نزهاء فيما كتبوه عن الزرادشتية في الأفستا وأدبياته في العصرين الساساني والإسلامي وما بعدهما .فقد مارسوا التحريف والاختلاق بشكل واسع وعن سابق إصرار وتعمد انتصارا لدينهم حتى أنهم اختلقوا الأفستا وحرفوه مرارا من أجل دينهم ومصالحهم. ويكفي أن نتذكر أن القوم حرفوا دينهم بشكل رهيب في العصر الإسلامي، فأخذوا جانبا كبيرا مما عندهم من الإسلام والفكر الإسلامي وألحقوه بدينهم زورا وبهتانا، وأخفوا ذلك عن المسلمين وغيرهم، وتظاهروا بأنهم موحدون ومن أهل الكتاب. فالقوم أهل تحريف وتلفيق ،وتلبيس وتدليس ، وليسوا من أهل حياد وموضوعية في شيء. وهذا يفرض علينا أن لا نصدق أقوالهم ومروياتهم إلا بعد تحقيقها ونقدها، ولا نقبلها إلا بأدلة صحيحة من خارجها.

وبذلك يتبين بجلاء أنه لم يثبت أن الأفستا كان له وجود قبل الساسانيين شفهيا ولا كتابيا، ولا أحرقه الأسكندر المقدوني؛ وإنما الثابت والصحيح أنه كتاب ظهر لأول مرة على أيدي كهان المجوس في الدولة الساسانية من جهة؛ وانه من جهة أخرى لا يصح الاحتجاج به ولا هو حجة فيما أورده من روايات ترجع إلى ما قبل الساسانيين، وإنما هي مزاعم لا تُقبل إلا بأدلة صحيحة من خارج الأفستا، ومن يحتج به في التاريخ فهو واهم .

ثالثا: على الرغم من انه بينا أن كتاب الأفستا لم تكن له أصول ولا كان له وجود قبل الساسانيين شفهيا ولا كتابة، ولا كتبه زرادشت النبي المزعوم؛ فإن كثيرا من الباحثين المعاصرين زعموا أن جزءا صغيرا قديما من الأفستا يُعرف بالغاتا – أناشيد- هي من أقوال زرادشت، أو الراجح أنها من كلامه، وعليها اعتمدوا في أمور نسبوها إليه، وبعضهم بالغ في تقييمها ومدحها. ففيما تتمثل آراؤهم وأدلتهم ؟،وهل زعمهم هذا صحيح ؟؟.

أقول: إن الغاتا هي أناشيد منسوبة إلى زرادشت عددها 17 نشيدا مفرقا ضمن جزء الياسنا من كتاب الأفستا، ومجموع عدد كلمات الياسنا : 24 ألف كلمة، من بينها 7600 كلمة من الغاتا حسب ما ذكره مُحقق الأفستا.

وأما عن هؤلاء الباحثين وآرائهم ، فمنهم الباحث جوفري باريندر، ذكر أن أناشيد الغاتا مكتوبة بلغة محلية قديمة ذات صلة باللغة الفيدية، وزعم أنها{ هي الوحيدة التي تعطينا المعلومات الجديرة بالثقة عن حياة وفكر زرادشت }.

ووصف محقق الأفستا خليل عبد الرحمن الغاتا بأنها جوهرة ثمينة في الياسنا ، وهي أناشيد زرادشت التي أرست ديانته. ووصفها فراس السواح بأنها حفظت جوهر الدين الزرادشتي، ويُستدل من لهجتها { المغرقة في القِدم أنها قد حُفظت في شكلها الأصلي دون أن يمسها تعديل جوهري عبر التداول الشفوي الطويل مما سبق عصر التدوين }. وزعم أن أناشيد الغاتا وضعها زرادشت بنفسه.

تلك الأقوال هي مزاعم وادعاءات ورغبات وأوهام، ولا يوجد دليل واحد صحيح يُثْبتها ،أو يُرجّحها ،ولا أورد هؤلاء أدلة وشواهد علمية تؤيدها. ونقضاً لها أورد المعطيات والأدلة الآتية:

أولها: إن هؤلاء الباحثين بالغوا جدا في الثناء على الغاتا لغايات في نفوسهم، ولم يكونوا مُنصفين في حكمهم عليها. وقد وصفوها بذلك وكأنها كنز علمي لا يُقدر بثمن ،والحقيقة أنها ليست كذلك أبدا، ولا يُمكن أن تكون كذلك .والحقيقة أن الغاتا في معظمها أوهام وظنون ،وشركيات وضلالات، وأساطير ومستحيلات، ولا نكاد نجد فيها فكرة واحدة صحيحة جديرة بالاهتمام، ولا يُمكن أن تكون الغاتا وحيا إليها، ولا كلاما علميا ، ولا تحوي بداخلها دليلا صحيحا واحدا يثبت أنها من كلام زرادشت النبي المزعوم ،ولا أنها تتضمن حوادث تاريخية قديمة صحيحة . ووصفنا هذا للغاتا هو وصف صحيح ليس هنا تفصيله ، لكني سأعود إليه في مبحث لاحق من هذا الكتاب، وأذكر نصوصا منها تؤكد ما قلته.

الدليل الثاني: بما أنه سبق أن بينا أنه لم يثبت أن كتاب الأفستا كان موجودا قبل الساسانيين ، والغاتا جزء منه، فبالضرورة أن الغاتا ليست من كلام زرادشت. ولا يُمكن أن تُخرج من حكمنا هذا ، وتُلحق بزرادشت إلا

إذا توفرت أدلة علمية صحيحة من خارج الأفستا. وبما أن هذه الأدلة ليست متوفرة ، وخلافها هو الموجود ، فالغاتا ليست من كلام زرادشت النبي المزعوم، ومزاعم هؤلاء الباحثين ليست بصحيحة .

الدليل الثالث: بما أنه لم يثبت يقينا وجود زرادشت النبي كشخص تاريخي حقيقي، وما تزال الشكوك حول وجوده قائمة . وبما أننا سنناقش هذا الأمر لاحقا وسيتبين منه أن زرادشت النبي المزعوم لم يثبت وجدوه، بل ولا وجود له أصلا فأناشيد الغاتا المنسوبة إليه على أنها من وحيه مُختلقة نسبت إليه كذبا وغشا وخداعا .وبما أن الأمر كذلك، فتأكيدات هؤلاء الباحثين بأن الغاتا من أقوال زرادشت ووحيه المزعوم ليست بصحيحة وما هي إلا أوهام ورغبات وليست باجتهادات علمية أصلا.

الدليل الرابع : إن استدلال هؤلاء الباحثين بلغة الغاتا بدعوى أنها لغة موغلة في القِدم ترجع إلى زمن زرادشت وإنها من أقواله؛ هو استدلال ضعيف جدا، بل ولا يصح ، ولا يُمكن إثباته بدليل قطعي ولا راجح ، ولا أن يكون استدلالا صحيحا لإثبات نسبة الغاتا إلى زرادشت. وبما أن الأمر كذلك، فإن زعم هؤلاء لا يُمكن إثباته بدعوى قِدم لغة الغاتا، وإنما ليثبت يجب أن يوجد دليل تاريخي صحيح من شاهد أثري، أو نص مكتوب يعود إلى زمن زرادشت المزعوم أو القريبة منه ؛ وبما أن هذا لم يتوفر إلى اليوم فيما يتعلق بتاريخ زرادشت والغاتا والأفستا ، مقابل الشواهد التي تخالف ذلك؛ فإنه لا يُمكن أن يكون شاهد لغة الغاتا -التي قيل انها موغلة في القِدم- دليلا قطعيا ،ولا صحيحا ولا راجحا على كون الغاتا من كلام زرادشت. لا يُمكن ذلك لأن هذه اللغة الموصوفة بأنها قديمة قد كَتب بها كهان المجوس الغاتا في عصر الساسانيين عندما دونوا الأفستا، وهذا يعني قطعا أن هذه اللغة حتى وإن سلمنا بقدمها فقد كانت لغة معروفة ومتداولة في بلاد فارس أو في جهة من جهاتها، أو على الأقل كانت لغة معروفة لدى كهان المجوس، ولم تكن لغة منقرضة، فكتبوا بها الغاتا وهم يعرفونها، ولا يصح ولا يُعقل أن يكتبوها بها وهم ويجهلونها. فنحن أمام لغة كانت قديمة واستمرت حية لدي كثير من الناس أو عند قلة منهم، وبها كُتبت الغاتا؟ فهل هذا دليل على أنها من كلام زرادشت النبي المزعوم؟، كلا وألف كلا، هي ليست كذلك لأنها لا تحمل أي دليل صحيح يثبت كونها من كلام زرادشت ، فهي إن صدقنا أنها قديمة لكنها لم تكن منقرضة، وإنما كانت معروفة على

الأقل لدى كهان المجوس، فكتبوا الأفستا بعدة لهجات فارسية منها لهجة الغاتا؛ فعلوا ذلك بحكم أنهم كانوا يعرفونها ، ودوّنوا الأفستا جماعيا وفي فترات متباعدة وبأكثر من لهجة من لهحات الفرس. فدليل لهجة الغاتا لا يُمكن أن يكون دليلا يُثبت أن أناشيد الغاتا من أقوال زرادشت، ولا أنها تُثبت أن زرادشت النبي المزعوم كان شخصا حقيقيا لا خرافيا، وإنما ذلك الدليل يثبت فقط أنها كتبت بلغة الغاتا القديمة التي كانت ماتزال معروفة ومتداولة بين المجوس على الأقل، كتبوها بلهجة الغاتا لغايات مُبيتة ، أو لغير ذلك.

الدليل الخامس: إن زعم هؤلاء الباحثين بأن أناشيد الغاتا هي من أقوال زرادشت بدعوى أنها كتبت بلغة موغلة في القِدم ، هو استدلال ضعيف جدا ولا يصح ، ولا له مبرر علمي يؤيده. ليس كذلك لأنه ثبُت أن كهان المجوس عندما كتبوا الأفستا لم يكتبوه بلهجة فارسية واحدة، وإنما كتبوه بأكثر من لهجة من لهجات الفرس. وهذا يعني أن تعدد لهجات كتابته ليس دليلا على قِدم نصوص منه دون أخرى، وإنما يعني أنهم كتبوه بعده لهجات من لهجات الفرس. ومما ينفي زعم هؤلاء أيضا أن نصوصا أخرى كثيرة من الياسنا والياشتا من الأفستا تضمنت أيضا أقوالا كثيرة منسوبة لزرادشت مع أهورا مازدا وغيره لا تختلف عن أقواله الأخرى المروية في الغاتا لفظا ولا معنى، منها مثلا من باب التمثيل لا الحصر:

فمن أقوال الأفستا في الغاتا التي اقرت الشرك بوجود إلهي الخير والشر قوله : ((منذ البدء أعلنت الروحان التوأمان عن طبيعة كل منهما: الطيبة، والشريرة ، فكر طاهر، وفكر غير طاهر، وكذلك الكلمات والأفعال. يعرف الحكماء الطيبون الفرق بين تلك المصرّح بها ، ولا يعرفها الأشرار ...)). ثم أشار إلى الروحيّن بأنهما خلقا الحياة والأجسام ، وبعد ذلك تكلم عن الروح الطيبة وهي أهورا مزدا ومخلوقاته فقال: ((في المرة الأولى عندما خلقتا الحياة والأجسام ، وكل ما يتضمنه العالم . فحيث كان الشر ظهرت النجاسة. وأما القداسة فقد رافقت الروح الخيرة دائما)). ثم أشار إلى الروح الشريرة-أهريمن – واعمالها ومنهجها فقال: ((واختارت الروح الشريرة لنفسها الأعمال المدنسة ، وأما الروح الخيرة التي تسكن في السماء الراسخة فاختارت الأعمال الطاهرة ...– الياسنا30/3-6)).

تلك المعاني والشركيات والأسماء والمصطلحات بنفسها وروحها نجدها في الأفستا خارج الغاتا، منها قوله: ((عندما خلقت الروحان العالم ، الروح الطيبة، والروح الشريرة – الياشتا:13/ 76-)). وفي الياسنا عبارة مفادها أن زرادشت كان ((أقوى ، أشد ، أنشط ، أسرع ، وأنصر مخلوقات الروحيّن .- الياسنا9/15-)). وفي الياشتا على لسان الإله فايو - رام – أنه يوجد عالمَاَن : الأول له مخلوقاته خلقها الروح الطيب، والثاني له مخلوقاته خلقها الروح الشرير- الياشتا:15/43، 44-.

واضح من تلك الشواهد –وغيرها كثير جدا- أنها من مصدر واحد بألفاظها ومعانيها وأساليبها في التعبير جمعها الأفستا بين دفتيه بأكثر من لهجة من لهجات الفرس دوّنه بها كهان المجوس في دولة الساسانيين عن قصد لغايات في نفوسهم ربما ليجد قبولا بين الفرس على اختلاف طبقاتهم وتباين لهجاتهم. وخلاصة دليلنا أن كتابة الغاتا بلغة قديمة كانت ما تزال مستعملة لا يُمكن أن تكون دليلا على أنها من اقوال زرادشت النبي المزعوم، ولا يصح الاستشهاد بها أصلا كدليل على ذلك الزعم.

وبذلك يتبين من تلك الأدلة أن أناشيد الغاتا ليست من أقوال زرادشت، وهي لا تختلف عن باقي أجزاء الأفستا الذي كتبه كهان المجوس لأول مرة في دولة الساسانيين ولم تكن له أصول سابقة من جهة؛ ولا يصح أن يُحتج به على حوادث سبقت تدوينه لبعده الكبير عنها من جهة ثانية؛ وأن رواياته تبقى مزاعم مُعلقة ولا يُحتج بها ولا تُصدق إلا إذا قامت الأدلة من خارجها على صحتها من جهة ثالثة. وكل ذلك يعني أن مزاعم هؤلاء الباحثين فيما قالوه عن الغاتا ما هي إلا أوهام ورغبات تعلقوا بها لغايات في نفوسهم. وبما أن الأمر كذلك، فإنه إن ثَبُت وجود تشابه بسبب حدوث تأثير بين الزرادشتية وأديان أخرى كاليهودية والنصرانية ، فلا شك أن الزرادشتية هي التي تأثرت بها بحكم أنها أسبق من الزرادشتية وهي متأخرة عن تلك الأديان، وليدة الأفستا وأدبياته .

ثانيا:اعادة تدوين الأفستا وكتابة أدبياته فى العصر الإسلامى:

عندما فتح المسلمون بلاد فارس وأسقطوا الدولة الساسانية نحو سنة 15هـ/ 637م، ، بدأ الفرس المجوس في اعتناق الإسلام تدريجيا، فلما انتهى القرن الثاني الهجري كان معظم الفرس قد اعتنقوا الإسلام تقريبا،

وبقيت طائفة منهم مُتمسكة بالمجوسية الزرادشتية، وأظهرت نشاطا فكريا ودعويا واضحا حفاظا على دينها وكيانها وتماشيا مع الظروف المحيطة بها في أواسط القرن الثاني الهجري وما بعده ، تزعمت ذلك النشاط في البداية الحركة البهافريدية نسبة إلى مؤسسها الكاهن المجسوي الزرادشتي بهافريد.وقد استمرت في نشاطها الفكري والدعوي بين أتباعها بعد مقتل زعيمها بهافريد نحو سنة 132هـ ، فكان مما قامت به أنها أعادت تدوين كتاب الأفستا وكتبت كتبا مجوسية زرادشتية جديدة، عُرفت بأدبيات الأفستا من جهة، وأدخلت في الزرادشتية ومؤلفاتها عقائد وتشريعات إسلامية من جهة أخرى . فما هي تفاصيل تلك العملية ؟ وهل فعلوا ذلك بطريقة موضوعية حيادية انتصار للعلم أم لغاية أخرى ؟ . ولماذا قام هؤلاء المجوس الزرادشتيون بتلك الحركة أصلا ؟، وما هي آثارها عليهم وعلى غيرهم ؟.

من ذلك أولا، أن الأفستا كان في الأصل يتكون من 21 كتابا- نسكا- فتصرّف فيه علماء المجوس الزرادشتيين في القرن الثالث الهجري وما بعده بالزيادة والنقصان والتحريف والتلخيص حسب مصالحهم وظروفهم في العصر الإسلامي ، فلم يبق منه إلا الربع، فحُذفت منه ثلاثة أرباعه أُحرقت، أو أُخفيت، أو مُزقت. والموجود منه الآن بين أيدينا لا يُمثل إلا جزءا صغيرا من الأفستا الساسانية، قُدر بربع الأفستا الأصلي. فعلوا ذلك مع الأفستا وأدبياته دون أن يُعلنوا للناس أنهم فعلوه، وكأن شيئا لم يحدث.

وذلك يعني أن الأفستا الموجود بين أيدينا هو الأفستا الوحيد المتوفر اليوم ، ولا يوجد الأفستا الساساني، فهو قد تخلّص منه علماء المجوسية الزرادشتية، فأعدموه حرقا ، أو تمزيقا، أو دفنا. مما يعني أن الموجود اليوم لا أصل له ، فلا عنده أسانيد ولا نصوص ،ولا مخطوطات قديمة ترجعه إلى أصله الأول. فهو كتاب مقطوع عن أصله الأول، وأصبح يُمثل بنفسه كتابا جديدا كُتب في القرن الثالث الهجري وما بعده في العصر الإسلامي، فهو لا يعود إلى عصر الساسانيين ولا قبلهم وإنما ظهر بعد ظهور الإسلام بنحو ثلاثة قرون أو أكثر خلال العصر الإسلامي.فنحن هنا أمام نسخة أفستية ثانية للديانة المجوسية الزرادشتية، ولسنا أمام النسخة الأولى للمجوسية الزرادشتية .

وبما أن الأمر كذلك، فمن الخطأ الفادح ، ومن التضليل والجهل السكوت عما حدث للأفستا في العصر الإسلامي، والقول بأنه كُتب في العصر الساساني أو قبله ، فهو لم يظهر فيه أبدا، لأن الذي كُتب فيه لا وجود له

بعدما أَعدم كله ولم يبق منه إلا ربعه؛ وإنما الحقيقة هي أن الأفستا الموجود اليوم يختلف بشكل كبير جدا عن الأول، وكُتب في العصر الإسلامي ولم يكتب في العصر الساساني ولا قبله. وهذا يفرض علينا أن نتعامل معه على انه كتاب تاريخي متأخر جدا عن تاريخ الفرس في عصر الساسانيين وقبلهم ؛ فهو مرجع متأخر كتب في العصر الإسلامي وليس مصدرا لتاريخ الزرادشتية خاصة وتاريخ الفرس عامة.

ومن جهة أخرى فإنه يجب أن لا يغيب عنا أن الأفستا الموجود اليوم يفتقد إلى المصداقية العلمية، لأنه لم يُكتب بطريقة علمية ولا محايدة ولا علانية ؛ وإنما كتب بطريقة ماكرة تدليسية تحريفية ذاتية متعصبة للباطل. لأن علماء المجوس الزرادشتيين الذن كتبوه لم يكن هدفهم خدمة العلم، ولا الانتصار للعقل والعلم والحق؛ وإنما كان هدفهم الانتصار للمجوسية الزرادشتية بكل الوسائل المتوفرة لديهم حتى وإن لم تكن أخلاقية ولا علمية. ولذلك وجدناهم تصرفوا في الأفستا الساسانية بطريقة إجرامية نفعية مروعة وخفية بشعة ، فتخلصوا منه ولم يبق منه إلا الربع. فعلوا ذلك، ولا يحقوا لهم فعله، لأنه عمل إجرامي تحريفي ، كان عليهم أن يتركوا الكتاب على حاله، ولا يحق لهم تحريفه وإعدامه، وعلى الأقل كان يُمكنهم أن يستخرجوا منه ملخصا حسب مصالحهم وظروفهم دون تحريف الكتاب وإعدامه. ثم بعد ذلك يجب عليهم أن يُخبروا الناس ، أو أتباعهم بما فعلوه في الأفستا الأول والثاني. وبما أنهم لم يفعلوا ذلك فالأفستا الحالي هو كتاب مُحرف وتدور حوله شكوك وشبهات كثيرة، ومتأخر جدا عن الحوادث التي يتكلم عنها، ويفتقد إلى التوثيق والمصداقية، لأن الذين كتبوه حرفوه وتلاعبوا به حسب أهوائهم وأوهامهم ومصالحهم في القرن الثالث الهجري وما بعده.فنحن أمام نسخة زرادشتية جديدة ضاع أصلها الأول، ولا أصل لها إلا الأفستا المُحرف الموجود اليوم. وكتاب هذا حاله لا يُعتمد عليه في معرفة التاريخ، إلا إذا قامت الأدلة من خارجه على صحة رواياته.

وأما أدبيات الأفستا، فقد صُنفت في العصر الإسلامي وحدث لها جانب مما حدث للأفستا وفق عملية تحريفية متكاملة بين الأفستا وادبياته ؛ فأدخلت فيها عقائد وتشريعات ليست من الزرادشتية، وأخرى من الزرادشتية ولم تَرد فيها، أو وردت بطريقة غامضة وملتوية. تلك الأدبيات هي كتب صنفها علماء المجوس الزرادشتيون انتصارا لدينهم ،ودفاعا عنه، وانقاذا له، وحفاظا على طائفتهم أمام الانهيار الذي حل بالزرادشتيين ودينهم في العصر الإسلامي.

منها: الدينكرد : هو كتاب موسوعي في تاريخ الزرادشتية وعقائدها وتشريعاتها، كُتب في القرن الثالث الهجري/ 9 م ، ونُقح نهائيا في القرن الرابع الهجري . ومن الذين دوّنوه : آذر فرَنبَغ فرّخزادان ، وآذرباد ميدان، وقد عاشا في القرن الثالث الهجري وتعني كلمة دينكرد «التأليف الديني» أو «الأعمال الدينية». وكان الكتاب يشتمل في الأصل على 9 كتب وقد ضاع الكتاب الأول والثاني وقسم من الكتاب الثالث .

الكتاب الثاني: البندهيشن : يعرف أيضاً باسم زَند آگاهي (المعلومات المستندة إلى زند)، تعني كلمة بندهيشن «الخلق الأول، أو الأساسي» .ويشتمل الكتاب على 36 فصلاً. وقد تم تأليفه الأولي في أواخر العصر الساساني، لكن معظم فصوله كتبت بعد الدولة الساسانية خاصة في القرنين الثالث والرابع الهجريين- 9 ، 10 م –.ويُظن أن تأليفه لم يكمل إلا في القرن الخامس الهجري او الذي بعده. وأما مضمونه، فقد شمل طيفاً واسعاً من أساطير الخلق، والتاريخ الأسطوري والحقيقي للإيرانيين ، والفلك ،وأسماء الأنهار، والجبال، والنباتات ، وغيرها من المواضيع.

الكتاب الثالث: رؤية الكاهن أردا ويراف المنامية، والمعروف أيضا بمعراج الكاهن ويراف ،صُنف هذا الكتاب في القرن الثالث الهجري إبان حركة التأليف الزرادشتية النشطة التي قام بها علماء الزرادشتية المتأثرين بالحركة البهافريدية التي دعت إلى إعادة النظر في الزرادشتية وتطعيمها بأصول وتشريعات إسلامية. فكان كتاب الكاهن ويراف من بين المصنفات التي كتبها هؤلاء في القرن الثالث الهجري.

الكتاب الرابع: شِكنِد كمانيك فجار- بيان ينفي الشك- صنفه مردان فرخ بن أورمزداد دفاعا عن ((مثنوية الدين الزرادشتي ضد عقائد اليهود والنصارى والمانوية والمسلمين ... وقد انتهى تأليفه في القرن الثالث الهجري)).

الكتاب الأخير- الخامس-: كُجَستك أباليش ، هو رسالة في شرح مناظرة بين زرادشتي اعتنق الإسلام يُسمى أباليش، وبين الزرادشتي آذرفرخزادان بحضور الخليفة العباسي المأمون(ت 218 هـ).

أقول: واضح من تلك العمليات التي حدثت للأفستا وأدبياته ، أنها أفعال تحريفية خطيرة ورهيبة، تمت ضمن عملية تحريفية واسعة قام بها الفرس في العصر الإسلامي. منها أنه قد قامت الأدلة الصحيحة والدامغة بأن الفرس قاموا بتحريف كثير من تاريخهم ليتفق مع الإسلام، ويواكب ظروف

العصر الإسلامي من جهة؛ وأن المجوس الزرادشتيين قد شرعوا في تحريف دينهم وكتبهم وتطعيمهما بعقائد وتشريعات إسلامية منذ القرن الثاني الهجري وما بعده ، ليس هنا موضع تفصيل ذلك .

وبما أن ذلك هو حال الأفستا وأدبياته الموجودة اليوم بين أيدينا فمن الخطأ الفادح والتعصب للباطل، الاعتماد عليها على أنها مصادر يُمكن الاعتماد عليها والوثوق فيها فيما يخص تاريخ المجوسية الزرادشتية قبل الساسانيين وفي عصرهم. إنها مراجع متأخرة تعود إلى القرن الثالث الهجري وما بعده، تأثرت في مضامينها وكتابتها باليهودية والنصرانية عامة، وبالإسلام والفكر الإسلامي خاصة، لأنها ظهرت بعد ظهور اليهودية والنصرانية والإسلام ، وليس العكس. فنحن نتعامل مع مصنفات كُتبت في القرن الثالث الهجري/9م وما بعده،ولم تكتب في العصر الساساني ولا قبله، وصُنفت بطريقة ليست بعلمية، وتعرضت لتحريف كبير مُتعمد لغايات في نفوس مدوينيها، فأنتجت لنا تلك العملية التحريفية نسخة جديدة من الديانة الزرادشتية تختلف كثيرا عن نسختها الأولى. وكُتُب هذا حالها فمن الخطأ الاعتماد عليها على أنها مصادر يُمكن الاعتماد عليها فيما يتعلق بتاريخ الزرادشتية في عصر الساسانيين وقبله؛ وإنما هي مراجع متأخرة ترجع إلى العصر الإسلامي، ومروياتها المنسوبة إلى تاريخ الفرس قبل الإسلام لا تُقبل ولا يُحتج بها إلا إذا توفرت شواهد وأدلة أثرية وتاريخية صحيحة من خارجها.

كما أنها تشهد على علماء الزرادشتية الذين كتبوها بالتعصب للباطل والانتصار له على حساب العقل والعلم والحق، وممارسة التحريف عن سابق إصرار وترصد من جهة؛ وقدموا للزرادشتيين والعالم نسخة زرادشتية جديدة مُحرفة من جهة أخرى. فعجباً من أناس تيقنوا من بطلان دينهم ثم هم يحرفونه بكل الوسائل انتصارا له ، مع أن العقل والعلم يفرضان عليهم تركه لا الانتصار له بالتحريف والكذب والغش والخداع !!.

وإنهاءً لهذا المبحث يُستنتج منه أن اعتماد الباحثين المعاصرين على كتاب الأفستا وأدبياته على أنه مصدر تاريخي لتاريخ الزرادشتية في العصر الساساني وقبله، هو وهم فاحش، وفيه تغليط وتدليس على القراء ؛ وإنما هو وأدبياته من مراجع الزرادشتية المدونة في العصر الإسلامي، وليست مصدرا يُعوّل عليها، ولا هي مرجع صحيح يُحتج به، ولا هي مصدر قديم يرجع إلى عصر الساسانيين وما قبلهم . وبما أن الأمر كذلك

فإنه إن ثَبُت من جهة أخرى وجود تشابه لحدوث تأثير بين الزرادشتية واليهودية والنصرانية والإسلام ، فلا شك أن الزرادشتية هي التي تأثرت بتلك الأديان لأن مصادرها أسبق من مصادر الزرادشتية الموجودة اليوم والتي كتبت في العصر الإسلامي وليس قبله .

الوهم الثاني: القول بأن الزرادشتية ديانة توحيد ونبوة :

زعم كثير من الباحثين أن الزرادشتية ديانة توحيد ونبوة مسايرة لِما يدعيه الزرادشتيون المعاصرون ، بأن دينهم دين توحيد، وان زرادشت كان نبيا صاحب كتاب إلهي. منهم الباحث جوفري باريندر، زعم أن أناشيد الغاتا تُلفت النظر إلى {حمية زرادشت وحبه للإله بالإضافة إلى حكمته. والإله بالنسبة لزرادشت هو الرب الحكيم أهورامزدا الذي خلق السماء والأرض، وهو الأول والأخير}. ودين زرادشت دين وحدانية ، يقوم على الاعتقاد بإله واحد خيّر.

ومنهم: الباحث مصطفى النشار، عندما تكلم عن التوحيد في الزرادشتية أشار إلى أن الأفستا هو مصدر تعاليمها، لكنه عندما تكلم عن العقيدة الزرادشتية زعم أنها توحيدية ووصفها بأوصاف ليست فيها، دون أن يرجع إلى الأفستا ولا إلى النصوص والشواهد الساسانية، وإنما رجع إلى كتب بعض الباحثين المعاصرين .فقال بأن أهورامزدا هو{ الإله الأوحد عند زرادشت ،و هو وحده الذي لم يولد ولن يموت، وهو علة العلل وليس له علة، وهو المصدر الأول لجميع الموجودات... وعلى العكس من هذا الإله الواحد الرحيم الخير الخالق أهورا مازدا يأتي أهريمن الشيطان مصدر كل شرور العالم ، فهو المسؤول عن الأمراض والموت ...}.

ومنهم الباحثان: أندريه إيمار، وجانين أوبويه: وصفا عقيدة زرادشت بأنها { التوحيد بأنقى مظاهره. فهي لا تقر إلا بإله واحد أورمزد، لا قياس لعظمته وقدرته وروحانيته... }.

أقول: تلك الأقوال هي شواهد من باب التمثيل لا الحصر، ومِثلها كثير جدا عند الباحثين الذين كتبوا عن الزرادشتية، وستأتي مزاعمهم في مواضع أخرى كفراس السواح ، ومحقق الأفستا خليل عبد الرحمن. وتلك الشواهد المتعلقة بحكاية التوحيد عند زرادشت والزرادشتية هي مزاعم باطلة قطعا جملة وتفصيلا، ولا يقولها إلا جاهل ، أو جاحد معاند، أو صاحب هوى. والأدلة على بطلانها كثيرة جدا من الأفستا والآثار

والتاريخ، ليس هنا موضع التوسع فيها، لكني سأورد منها شواهد كثيرة من باب التمثيل الواسع لهدم تلك المزاعم وقطع الطريق أمام هؤلاء الباحثين المحرفين المغالطين الذين يكتبون بأوهامهم وأهوائهم لغايات سيئة في نفوسهم .

تلك المزاعم والأوهام باطلة بأدلة الأفستا ، ومنها أناشيد الغاتا التي تستر بها كثير من الباحثين وزعموانها تضمنت التوحيد. منها النصوص الآتية:

في "هايتي 30 " من الغاتا تضمن المقطع تقرير الاعتقاد الثنوي بوجود الروحين التوأمين الذين خلقا المخلوقات، فقال: {منذ البدء أعلنت الروحان التوأمان عن طبيعة كل منهما: الطيبة والشريرة} . ونحن هنا أمام روحين توأمين ، بمعنى أنهما مولودان لأب لم يُسم. وهما اللذان خلقا المخلوقات، كما في " هايتي 30" من الغاتا : { في المرة الأولى عندما خلقتا الحياة والأجسام ، وكل ما يتضمنه العالم . فحيث كان الشر ظهرت النجاسة. وأما القداسة فقد رافقت الروح الخيرة دائما. واختارت الروح الشريرة لنفسها الأعمال المدنسة، واما الروح الخيّرة التي تسكن في السماء الراسخة فاختارت الأعمال الطاهرة }.

واضح مما قالته الغاتا أن الروحان التوأمان هما إلهان توأمان : أهورا مزدا إله الخير، وأهريمن إله الشر، ولدهما إله هو أبوهما ، لكن الأفستا أسقط الأب الإله المزعوم وكأنه غير موجود رغم انه ذكر ميلاد الإلهين التوأمين!!!!. وهما اللذان خلقا الحياة والأجسام، فنحن هنا أمام إلهيّن أخوين خالقين لكل منهما مخلوقاته الحية والميتة، ولهما إله ولدهما، وهذا يعني بالضرورة أن الغاتا قررت التثليث، ثم الثنوية ولم تقرر التوحيد ولا أثر له فيها.

ونفس الكلام الذي قررته أناشيد الغاتا من الياسنا ورد أيضا في الياسنا، والياشتا من الأفستا فقال: ((عندما **خلقت الروحان العالم** ، الروح الطيبة، والروح الشريرة – الياشتا:13/ 76-)). وفي الياسنا عبارة مفادها أن زرادشت كان ((أقوى ، أشد ، أنشط ، أسرع ، وأنصر مخلوقات الروحيّن .- الياسنا9/15-)). وفي الياشتا على لسان الإله فايو - رام – أنه يوجد عالمَان : الأول له مخلوقاته خلقها الروح الطيب، والثاني له مخلوقاته خلقها الروح الشرير- الياشتا:15/43، 44-. فالكون- حسب الأفستا- له إلهان خالقان خلقا العالم ولكل منهما مخلووقاته ، هما الأخوان التوأمان

أهورا مزدا، وأهريمن . فنحن أمام روحيّن خالقيّن ولدهما أب إله أسقطه الأفستا وأخفاه مع زوجته الإلهة مثله بحكم أن الأب ليلد لابد له من زوجة.والروح الخيّر والخالق هو أهورا مازدا، والروح الشرير هو الإله التوأم أهريمن. فأين التوحيد المزعوم؟؟!!، ولماذا هؤلاء الباحثون لم يوردوا هذه النصوص وغيرها الموجودة في الأفستا؟؟!! .

ومن شركيات الغاتا وكفرياتها أنه ورد فيها نصان ذكرا أن الإله أهورا مازدا له ابنان : ابن ، وبنت ، فقال: { أبو فاهومانو الفعال وابنته آرمايتي هي التقوى الخيرة}. وفي: هايتي: 31 من الغاتا: { وبأنك والد فاهومانو}. و وذكرت الغاتا أن آرمايتي هي التي خلقت الهدوء للمراعي من أجل لأبقار -هايتي: 47. فأهورا مازدا إله مولود، وهو قد ولد أيضا إلهيّن ، هما: آرمايتي، وفاهومانوا، المولود بالضرورة يشبه والده. فنحن هنا أمام الأب الإله الذي ولد الإلهين الأخوين، وهذا يساوى ثلاثة آلهة، بل أربعة، لأن الإله الأب لا بد له من زوجة إلهة مثله . ثم أهور مازدا ولد ابنين آخرين، والمجموع: ستة آلهة !! . فأين التوحيد المزعوم في الغاتا وفي كل الأفستا. فنحن امام تثليث، وثنوية وتعدد وشركيات وضلالات وكفريات لا نهاية لها،فأين التوحيد المزعوم ؟؟!!، وهل يُمكن أن يُوجد توحيد مع ذلك التعدد والشركيات ؟؟!!

ومن شركيات الغاتا في " هايتي: 43 "، أن زرادشت اعترف حسب زعم الغاتا أنه يعبد النار ويقدسها، فقال: { عرفتك كمقدس يا أهورامازدا عندما أتاني فاهومانو، وإجابة على سؤاله هذا" إلى من ستوجه عبادتك" ؟، أجبتُ : إلى نارك ...}.

وأما النصوص التي تنقض القول بالتوحيد من باقي مكونات الأفستا فهي أيضا كثيرة جدا، وتتفق تماما مع ما ورد في الغاتا، فمصدرها واحد ، وكلها أكدت الشرك ونفت التوحيد. منها نصوص ذكرت مخلوقات الإلهيّن الروحين التوأمين . وحسب الأفستا أن أهورا مزدا خالق المخلوقات الخيرة والصالحة، وأن أهريمن خالق المخلوقات الشريرة والفاسدة ، من ذلك أن زرادشت قال: ((بقربادنا المقدم ... نعبد أهورا مزدا المقدس خالق المخلوقات الصالحة ... – الياسنا16/1)). ووصف زرادشت إلهه أهورامزدا بأنه ((خالق العوالم المادية الصالحة- الياشتا:22/1-. وفي الفنديداد أن زرادشت خاطب أهورا مزدا ووصفه بقوله: ((ياروح القدس

وخالق العالم المادي ... خالق العالم الدنيوي- الفنديداد:2/1، 7/32-)). وخاطبه أيضا بقوله: ((يا أهورامزدا ، أيها الروح القدس، وخالق العوالم المادية والصالحة - الياشتا:22/1-)).

ومن آلهة الأفستا الأخرى المزعومة: الإله ميثرا، وصفه الأفستا بقوله : ((ميثرا كان الأول بين كل آلهة السماء، الذي تسلق قمة جبل "هارا"- الياشتا:10/13-))، و ((وأما الآلهة المدافعون فيتركون صفوف الجيش عندما لا يعترف بهم ميثرا ذو المراعي الواسعة- الياشتا:10/41-)) . وأورد الفنديداد نصا على لسان أهورا مزدا كبير الآلهة يعترف بأن ميثرا إله ، فقال لزرادشت عليك أن تقول: ((استغيثُ بمثرا سيد المراعي الواسعة، الإله المدجج بالسلاح الأكثر تمجيدا من بين الأسلحة كلها...- - الفينديداد:19/15-. وأشار الياشتا إلى كائنات تساعد الإله ميثرا في حروبه، منها " آلهة النصر" والتي تساعده أيضا في جر عربته السماوية - الياشتا:10/66، 68- . ووصف الياشتا ميثرا بأنه ((الأقوى من بين الآلهة، الأشجع من بين الآلهة، الأسرع من بين الآلهة ... الأذكى من بين الآلهة... **هو الإله العظيم ، يخلق الكائنات** - الياشتا:10/98-،141، 142-.

ذلك هو ميثرا أقوى وأشجع وأسرع وأذكى آلهة الزرادشتة المزعومة، وهو " إله عظيم وخالق للكائنات" حسب زعم الأفستا. وبعد هذا الاعتراف الصريح والمكرر والمؤكد من الأفستا " وحي زرادشت النبي المزعوم" أليس من الكذب والجهل والتدليس والخيانة القول بوجود توحيد في الأفستا ؟؟!! .

ومنها أيضا الإلَهَة الأفستية: أناهيتا والمعروفة أيضا ب: آبام- نابات ، وصفها زرادشت بقوله: ((تلك السامية آبام- نابات ، ابنة مازدا – الياسنا 3/7)) . و((الإلَهَة الشامخة- آبام نابات- ، مازدا ، وللصلوات ...-الفيسبرد:11/6-)). وجاء في الفيسبرد من الأفستا: ((نعلن الياسنا لك يا آهورا مزدا ، ولزرادشت ، وإليكِ أيتها الإلهة السامية- آبام نابات- وللخالدين الكرماء- الفيسبرد:21/2-)). ووصفها الياشتا بأنها ((تخلق بذور كل الرجال ...))، وأمر أهورامزدا بالصلاة لها ووصفها بقوله: ((صلّ للعظمة الممجدة اللامتناهية))، وأنها((تملك آلاف الخلجان، آلاف الينابيع))،وأن أهورا مزدا بنفسه يقدم لها القرابين، وطلب منها بقوله: ((امنحيني هذا النجاح أيتها الطيبة القوية أردفيسورا آناهيدا. وفي الياشتا أيضا أن عبَدة

أهورا مزدا يقربون لها القرابين ويجتمعون حولها ويطلبون منها حاجاتهم ورغباتهم وأمنياتهم- الياشتا:5/ 2، 3،4، 17،18، 98،99 ،105-.
وفي الياشتا أن بعض الكائنات قدمت القرابين لأناهيدا، قدمتها لها في ((أماكن مكرسة للآلهة الأعلى - الياشت:5/72-) .فهي إله بالاسم والفعل حسب الأفستا .

وحتى النار هي إله أيضا في الأفستا، منها مثلا ما ورد في الياسنا بأن النار هي ابن أهورا مزدا وتكرر ذلك مرارا ، منها قول زرادشت : ((من أجلكِ أيتها النار، يابن آهورا مزدا ، ... (الياسنا 1: 12)) . وقال في موضع آخر : ((من أجل فاهيشتا والآتار –النار- ابن أهورا مزدا - الياسنا 2/ 4))، و((من أجلك يا نار آشا المقدسة ابن أهورا مزدا ومعلم آشا المقدسة – الياسنا 2/12-))، و((من أجل استرضائكِ أنتِ أيتها النار ، يابن آهورا مزدا- الياسنا 3/ 2 –)) ، و((وأتقدم بقربان كامل مقدس إليكِ أيتها النار يابن آهورا مزدا...- الياسنا7/ 14-)) .

والآلهة في الأفستا كثيرة جدا، منها الشمس، وهي في الأفستا إلَهَة معبودة يُصلى لها وتُقدم إليها القرابين، ومقرونة ومذكورة مع كبار الآلهة كأهورا مزدا وميثرا وغيرهما من الخالدين ، وهي في صحبتهم . ومن النصوص الأفستية المتعلقة بعبادة الشمس قول زرادشت: ((نعبد الخالق آهورا مزدا ، النار بن آهورامزدا ، المياه المقدسة التي خلقها مزدا ، الشمس المقدسة ذات الأحصنة الرشيقة المتألقة ، القمر الذي يحمل بذرة الماشية – الياسنا16/4)). و((نحن نصلي للشمس ، للضوء الخالد ... عندما تشرق الشمس، عندما تدفيء الشمس تقف الآلهة كلها ، مئات الآلاف منهم ويختارون السعادة - الياشتا:6 / 1-)). فالشمس كائن حي وإله يصلى له ، وتقف له حتى الآلهة المقدرة بالآلاف حسب زعم الأفستا . ويقول الياشتا: ((الذي يصلي لمازدا والمقدسين الخالدين، الذي يصلي للشمس وللضياء الخالد ... يُرضي بروحه الآلهة السماوية والأرضية- الياشتا:6 / 4-)).
وفي الفيسبرد : ((نبجل ونقدم القرابين للشمس الساطعة التي هي الأعلى بصحبة الخالدين الأسخياء ، ميثرا مع الطقوس الخيرة -الفيسبرد: 19/2-)).

ومنها آلهة الشر: أورد الأفستا على لسان زرادشت أنه قال: ((فلتبتعد من هنا الآلهة الشيطانية ، وليحل سراوش الطيب مكانها ، فليجعل من هذا المكان مقرا له .- الياسنا10/1-)) . و((ويقابل التنين الذي خلقه الشيطان. . .-الياسنا16/8))، و((وبذلك يعارضان التنين الذي خلقه الأبالسة-الياسنا68/8-)). ووصفه لها بأنها شيطانية وإبليسية لا يعني أنها من الشياطين والأبالسة ، وإنما يعني أنها آلهة أعمالها شيطانية وإبليسية، وبمعنى آخر أنها آلهة شريرة حسب الأفستا . لأن الشياطين في الرسالات السماوية مع أنها شريرة لكنها مخلوقة وليست آلهة، فالشياطين ليست آلهة، وأهريمن والآلهة الشريرة التي معه ليست شياطين لأنها آلهة، وإنما أفعالها شريرة وشيطانية من جهة، ووجود عبارات شيطانية، هي من الأسماء الإسلامية التي أدخلها المجوس الزرادشتيون في الأفستا وأدبياته.

وفي الياشتا أن الكائن المقدس الزاوتار يسدد ضربات مميتة لخصومه من ((أجل استرضاء وتمجيد الآلهة المقدسة- الياشتا:4/9-)). وفيه أيضا أن أن ميثرا ((الأقوى من بين الآلهة، الأشجع من بين الآلهة، الأسرع من بين الآلهة ... الأذكى من بين الآلهة... هو الإله العظيم ، يخلق الكائنات - الياشتا:10/98-،141، 142-. وفي الياشتا أن : ((ميثرا كان الأول بين كل آلهة السماء، الذي تسلق قمة جبل " هارا"- الياشتا:10/13-)) . وسأل زرادشت إلهه أهورا مزدا بقوله : ((مَن مِن الآلهة السماوية الأكثر محاربة ؟ . فاجابه أهورا : ((هو فرتراكنا الإلهي – الياشتا:14/1-)). فكل منهما يعترف بتعدد الآلهة، فأي توحيد يوجد في الزرادشتية بعد وجود مثل هذه الاعترافات الصريحة بتعدد الأرباب والآلهة ؟.

ومن آلهة الأفستا أيضا آلهة من أولاد وزوجات آهورا مازدا: هي الآلهة المعروفة باسم: الأميشاسبينتا ، وهي مساعدة لأهورا مزدا ومتعاونة معه، كالإله ميثرا ، والإله أوشا - الفيسبرد:19/1،18/1-)) ،والإلَهَة آرمايتي ، والإله فاهو مانو المعروف ببهمن ، ووهمان وهو من أبناء أهورا مزدا كما ذكرنا سابقا. ومنها الإلَهَة آتار - النار- ، وهي بنت أهورا مزدا، وصفها زرادشت بقوله: ((نار أهورا مزدا ، تلك التي تكبدت جهودا

جبارة لمساعدتنا أكثر من كل أميشاسبينتات –الياسنا1/2-)). وفي الياسنا أن زرادشت قال بأنه يُبجل الأميشاسبينتا ويُصلي لها - الياسنا12/1).

وفي الياشتا أن الأميشاسبينتا السبعة والدهم واحد هو الخالق آهورامزدا - الياشتا:19/16-)). فهم آلهة وليسوا من مخلوقات أهورامزدا لأن الابن يكون من طبيعة والده، كما كان أهورا مزدا مع أخيه التوأم أهريمن إلهيّن حسب طبيعة أبيهما كما ذكر الأفستا. وعليه فبما أن أهورامزدا هو والد الأميشاسبينتا فهم آلهة مثله، وليسوا من مخلوقاته، حتى وإن وُصفت في بعض المواضع بأنها من مخلوقاته، لأن المقصود بذلك تقرير أمرين: الأول التعبير عن الولادة بالخلق. والثاني تضليل غير الزرادشتيين بذلك التعبير لإيهامهم بأنهم يقولون بالتوحيد، أدخلوا تلك العبارة وأمثالها عندما حرف الزرادشتيون دينهم وكتابهم في العصر الإسلامي كما أشرنا سابقا . ومما يثبت ذلك أيضا أن الياشاتا وصف الأميشاسبينتا بأنهم ((الخالقون ... - الياشتا:19/18-)). ومن يخلق فهو خالق، ومن هو ابن لإله ، فهو إله مثله من دون شك.

واضح من ذلك أن آلهة الأميشاسبينتا هي عائلة أهورا مزدا كبير معسكر آلهة الخير، وهم سبعة ذكرنا بعضا من أولاده سابقا . لكن في الأفستا نصوص أخرى فصّلت ذلك وأشارت إلى أب العائلة وزوجاته وأولاده . فنحن هنا أمام عائلة من الآلهة تمثل كبير آلهة الخير مع زوجاته وأولاده . فهل هذا توحيد ؟؟ وأين التوحيد الزرادشتي المزعوم الذي تغنى به هؤلاء الباحثون؟؟!!. من ذلك قول الياشتا عن آشي إلهة السعادة والقدر: ((أبوكِ هو الأعظم، والأفضل من بين الآلهة ، آهورامزدا نفسه، والأم آرمايتي سبينتا، والإخوة سراوش الصالح، العظيم راشنوا، وميثرا ذو المراعي الشاسعة ... والأخت داينا . الإلهة آشي جديرة بالثناء ، تقفين بحزم ...- الياشتا:17/ 16-17-)).و((نقدس آشي الخيرة ، كابنة آهورامزدا ، وأخت المقدسين الخالدين- الياشتا:17/1-2-)). ووصف الياشتا الأميشاسبينتا السبعة بأن والدهم واحد هو الخالق آهورامزدا - الياشتا:19/16-)). وهم أيضا مثله ((الخالقون ... - الياشتا:19/18-)).

وأصرح من ذلك قول زرادشت :((ونقدس نساءك المختارة يا أهورا مزدا- الياسنا38/1-)). وقدم قربانه للآهوريات وهن زوجات آهورا مزدا قدمه لهن استرضاءً لأهورا مزدا، والخالدين الكرماء، وسراوش، ونار أهورا مزدا- الياسنا66/1-. ثم أنه دعاهن بقوله: ((امنحينا أيتها الآهوريات السماء، وأن يكون لي ذرية قوية وشرعية، التي عساها ترفع بيتي ، قريتي، قبيليتي، إقليمي، والسلطة من جراء ذلك –الياسنا68/5)). وقال في الفيسبرد : ((وأدعو حتى زوجاتك يا آهورا- الفيسبرد:3/4-)).

فهؤلاء الأميشاسبينتا – الخالدون المقدسون- هم ابناء أهورا مزدا وهو وزوجاته يُمثلون عائلة كبير آلهة الخير أهورا مزدا، وهذا أمر ثابت في الأفستا وصرّح به مرارا. ولا يصح أن يُقال : إن نسبة البنوة هذه مجاز لا حقيقة . لا يصح لأنه أولا إن الأفستا وصف تلك الكائنات بأنها آلهة في عشرات المواضع كما بيناه سابقا. وثانيا أن الأفستا نسب إليها أعمال الآلهة، فهي تخلق ، وتساعد الإله الأكبر، وتُعبد ويُصلى لها ، وتُقرب إليها القرابين. وثالثا إذا كانت هذه البنوة مجازية، فيجب ان ينطبق هذا أيضا على الروحين التوأمين الإلهيّن أهورا مزدا وأهريمن حسب ما ذكره الأفستا ، فلا يكونا إلهين أيضا ، لأن الإله لا يلد، ومن ثم لا وجود أصلا لحكاية التوأمين أهورا وأهريمن. فإما نقرأ ونفهم الزرادشتية كما وصفت هي نفسها في كتابها المقدس ، ونتركها تعرفنا بنفسها، وهذا هو المطلوب ، وإما أن نُخضعها لرغباتنا وتأويلاتنا التحريفية ، وهذا لا يصح، لأنه ليس من العلم ولا من الموضوعية في شيء. وفي هذه الحالة يجب أن نطبق تأويلاتنا الفاسدة على كل الآلهة وليس على أبناء أهورا مزدا وأهريمن فقط دون أخيه التوأم أهورامزدا، فهما أيضا يجب إخضاعهما لنفس التأويل ، وهنا نكون قد حرفنا الأفستا وأخرجناه عن أصوله. نعم يحق لنا نقده، بل ويجب علينا فعل ذلك، لكن لا يحق لنا تحريفه وتطويعه ليكون كما نريد نحن ، ولا نفرض رغباتنا ووجهات نظرنا عليه. صحيح أن الأفستا كتاب خرافات وأهواء وأباطيل وشركيات ووثنيات ، لكن هذا لا يسمح لنا بالتدخل في مضمونه ومفاهيمه لتطويعه حسب رغباتنا ، وإنما يسمح لنا بنقده وتمحيصه وبيان صحيحه من باطله من دون أن نمس مضمونه، ولا أن نفرض عليه قناعاتنا ورغباتنا .

ويجب أن نعلم أن المجاز في الشرع واللغة لا يعني نفي حقيقة الشيء ، وإنما هو أسلوب من أساليب التعبير في اللغة العربية وفي غيرها من اللغات يُعبر به عن نفس الحقيقة بطريق غير مباشر. وعليه فإن وصف علاقة البنوة بالمجاز لا ينفي أن الأفستا كان يقصد علاقة الأبوة والبنوة على الحقيقة .، لأن الأفستا كله قائم على الألوهية القائمة على الأبوة والبنوة، وهذه من أساسياته كما هي من خرافاته وأباطيله. ولهذا فإن أية محاولة لصرف معاني كلامات الأفستا الواضحة والصريحة في قولها بالأبوة والبنوة بين الآلهة فهي محاولة تحريفية وتلبيسة ، وفاشلة ومكشوفة مسبقا، والإصرار على الأخذ بها سيوقع في تناقضات كثيرة وينتهي بهدم الأفستا كله وهذا لا يصح ، لأنه تحريف لكتاب الأفستا، وليس نقدا علميا له .

وأخيرا ، نكتفي بتلك الشواهد والنصوص من الأفستا بكل مكوناته ، وهي من باب التمثيل الواسع، وإلا فهناك نصوص أخرى لم أذكرها هنا، وكلها تنقض القول بوجود التوحيد في الزرادشتية،وأن القول به هو خرافة وليس أسطورة فقط؛ وهي كلها أدلة قطعية بأن الزرادشتية ديانة شرك وتعدد ووثنية، ويستحيل أن تكون توحيدية، ولا يصح وصفها بذلك أصلا، فلا علاقة لها به من قريب ولا من بعيد. ولا يوجد أي دليل يُثبت أن الزرادشتية ديانة توحيد قبل الساسانيين ولا بعدهم، وإنما العكس، فهي ديانة شرك ووثنية قطعا. ووصفها بالتوحيد هو جهل وكذب ،وتحريف وتدليس؛ مما يعني قطعا بطلان أقوال هؤلاء الباحثين في زعمهم بوجود توحيد في الزرادشتية . وهم بذلك إما جاهلون، أو جاحدون معاندون، أو محرفون مدلسون أصحاب أوهام وأهواء ، قالوا بتلك المزاعم لغايات دنيئة في نفوسهم انتصارا للباطل على حساب العقل والوحي والعلم والحقيقة!!!!!

وبما أنه ثَبُت أن الزرادشتية ديانة شرك ووثنية، وثنوية وتثليث، وتربيع وما بعده، وليست ديانة توحيد ،ولا يُمكن أن تكون توحيدية ؛ فلا شك أن زرادشت المزعوم والتي نُسبت إليه الزرادشتية، لا يُمكن أن يكون نبيا، لأن النبي لا يكون مشركا ولا وثنيا، وإنما يكون موحدا توحيدا صحيحا كاملا لا نقص فيه. ويُضاف إلى ذلك الدليل القطعي أنه توجد أدلة أخرى كثيرة تنقض القول بنبوة زرادشت، منها وجود أباطيل وأساطير وتناقضات وأخطاء علمية كثيرة في الأفستا، ليس هنا موضع تفصيل تلك الأدلة التي تُثبت أن زرادشت المزعوم لم يكن نبيا .

وتلك الشواهد تكفي وحدها لدحض مزاعم هؤلاء الباحثين، وتنقضها من أساسها ، وتكشف مدى خداعهم وتدليسهم وغشهم للناس فيما كتبوه مدحا للزرادشتية بالكذب والتحريف والمغالطات والتدليس. ومع وضوح ذلك وقوته ودحضه لمزاعم هؤلاء وكشفه لأباطيلهم وتحريفاتهم، فإني أتوقف هنا لذكر نماذج كثيرة من الخداع والتدليس والتغليط والغش والتحريف التي مارسها هؤلاء الباحثون، أذكرها من باب التمثيل لا الحصر، ليطلع الناس عليها ويحذرون منها ومن الذين كتبوها.

منها ، أشار الباحث العراقي أسامة عدنان يحيى إلى التناقض الأخلاقي الموجود في الزرادشتية بين الروحيّن: روح الخير وروح الشر،ثم أشار أيضا إلى العلاقة بينهما وبين { الإله الخالق أهورا مازدا "} . ومعنى زعمه أن الروحين من مخلوقات الإله الخالق أهورا مازدا. ونفس الأمر قاله الباحث فراس السواح ، فزعم أن أهورا مزدا هو الله في الزرادشتية ، وهو الذي خلق الروحين التوأمين، واحد خيّر، هو سبينتا ماينو، والآخر شرير، هو أنغرا مينو .

أقول: تلك الأقوال مزاعم باطلة جملة وتفصيلا، وفيها تحريف وغش وكذب على الزرادشتية وعلى الناس. قالها المؤلفان دون أن يؤيدا مزاعمهما بأي دليل من الأفستا. فهي مزاعم بلا دليل، والمزاعم دون أدلة لا قيمة لها، ولا يعجز عنها أحد، ولا يُحتج بها أبدا. وتلك المزاعم باطلة قطعا ولا وجود لها في الزرادشتية كما بيناه أعلاه. لأن الله أو الخالق لا وجود له في الزرادشتية، وإنما فيها: الإله الأب الذي ولد التوأمين ثم اختفى وانسحب فلم يذكره الأفستا باسمه ولا تطرق إليه مرة أخرى. فهو الإله الأب، وليس هو أهورا مازدا، والتوأمان الإلهان هما : اهور مزدا إله الخير، وأهريمن- أنغراما ينيو- إله الشر كما بيناه سابقا. فأهورا مزدا أحد التوأمين وليس هو الخالق ، ولا الله الذي خلق التوأمين. والأفستا من بدايتها إلى نهايتها تتكلم عن الإلهين التوأمين المتصارعين. ثم أصبح لكل منهما أولاد وزوجات وآلهة تساعده، من جهة، ولكل منهما أيضا مخلوقات وبشر حسب طبيعة كل إله من جهة أخرى. هذه المعطيات هي من قطعيات الأفستا من بدايته إلى نهايته، ولا يوجد فيه أبدا تلك المزاعم والمغالطات والأكاذيب التي أختلقها الكاتبان السابقان. فعجبا منهما كيف سمحا لنفسيهما باختلاق تلك الأكاذيب؟؟!!، أين الموضوعية والأمانة العلمية؟؟!!، ولماذا لم

يوثقا مزاعمهما لوكانا صادقين فيما كتباه؟؟!! ، إنه التعصب للباطل، انتصارا للأوهام والأهواء!! .

ومن تلك المغالطات والأباطيل أيضا : زَعم الباحث مصطفى النشار أن أهورامزدا هو{ الإله الأوحد عند زرادشت ،و هو وحده الذي لم يولد ولن يموت، وهو علة العلل وليس له علة، وهو المصدر الأول لجميع الموجودات... وعلى العكس من هذا الإله الواحد الرحيم الخير الخالق أهورا مازدا يأتي أهريمن الشيطان مصدر كل شرور العالم ، فهو المسؤول عن الأمراض والموت ...}.

أقول: تلك الأوهام والمزاعم باطلة جملة وتفصيلا، وفيها تحريف وجهل وغش وكذب. لأنه لا يوجد في الزرادشتية إله أوحد أبدا، وإنما فيها الثنوية، والتثليث ، والتربيع وما بعده إلى عشرات الآلهة كما بيناه أعلاه. وأهورا مزدا ليس هو الإله الواحد الذي لم يولد؛ وإنما هو أحد الإلهين التوأمين المولودين للأب الإله الذي لم يذكره الأفستا باسمه. واهورا مازدا كما أنه مولود، فهو أيضا له أبناء وزوجات كما بيناه سابقا. وأما أهريمن فليس هو الشيطان، وإنما هو الإله الأخ التوأم لأهورا مزدا كما جاء في الأفستا. فكيف سمح هذا الباحث لنفسه أن يتكلم بلا علم، ولم يُكلف نفسه بالعودة إلى الأفستا ليتأكد مما قاله؟؟، ولو عاد إليه لما قال ذلك إن كان نزيها طالبا للحق، وأما إن كان من أهل الأوهام والأهواء، ورجع إليه ربما سيفتري كلاما أكثر مما قاله!! .

ومن تلك الأباطيل والمزاعم: زَعم الباحثان أندريه إيمار، وجانين أوبويه أن التوحيد هو جوهر عقيدة زرادشت بأنقى مظاهره { فهي لا تقر إلا بإله واحد هو أورموزد}. قوله هذا، باطل قطعا، وفيه تحريف وجهل وكذب، ولم يوثق أباطيله . لأن عقيدة زرادشت لا وجود لها إلا في الأفستا، وهذا الكتاب كله شرك ووثنية، ولا يوجد فيه توحيد أصلا. إنه كتاب جمع بين الثنوية، والتثليث، والتربيع وما بعده إلى عشرات الآلهة. وأهورا مازا هو احد الإلهين التوأمين الأخوين ، وليس هو الإله الواحد، ومن الكذب والغش والجهل القول بأن أهور مازدا هو ألإله الواحد في الزرادشتية؛ وإنما هو إله مولود، وهو أيضا له زوجات وأبناء، ومع آلهة أخرى تساعده. وهذه الأمور هي من بديهيات وقطعيات الزرادشتية كما هي في الأفستا.

ومنها أيضا: زَعم الباحث جوفري باريندر أن الإله عند زرادشت هو "الرب الحكيم أهورا مزدا الذي خلق السماء والأرض، وهو الأول والآخر". قوله هذا زعم باطل ، وفيه تحريف وتضليل وكذب. لأن الإله عند زرادشت كما ذكر الأفستا -هو المصدر الوحيد لفكر زرادشت والزرادشتية- ليس إلها واحدا، وإنما هو إله من بين آلهة أخرى، هي: الأب الإله الذي ولد الإلهين التوأمين: أهورا مازدا، وأهريمن. ثم ولد أهورا مزدا آلهة أخرى، بعدما أصبحت عنده زوجات وأبناء.ومعه أيضا آلهة أخرى تساعده، مقابل آلهة أخرى تناقضه وتصارعه. فزرادشت النبي المزعوم كان مشركا ووثنيا يؤمن بآلهة الأفستا، ولم يكن موحدا أبدا. كما أنه ليس صحيحا أن أهورا مزادا هو الذي خلق السماء والأرض، وإنما هو خلق قسما منها والباقي خلقه الإله أخوه التوأم، فهما إلهان خالقان حسب الأفستا، وليس كما زعم ذلك الكاتب.

ومن تلك المغالطات والأباطيل: وَصف الباحث آرثر كريستنسن دين زرادشت بأنه توحيد ناقص. وصفه هذا ليس بصحيح، وباطل قطعا . لأن دين زرادشت – المجوزية الزرادشتية- كما هو في الأفستا، ولا يوجد مصدر آخر لدينه إلا هو، ليس دين توحيد أصلا، فليس فيه توحيد ناقص، ولا قريب من الكامل، ولا توحيد كامل؛ وإنما هو دين شرك ووثنية، ودين ثنوية ، وتثليث، وتربيع وما بعده إلى عشرات الآلهة. وبما أن الإله أهورامازدا أحد الإلهين التوأمين المولودين، وله زوجات وأبناء ومعه آلهة أخرى فيستحيل أن يكون دين زرادشت دينا توحيديا ناقصا ولا كاملا، ولا قريبا من الكمال.

ومن تلك المزاعم والتحريفات: زَعم السواح أنه رغم وجود اتجاهات توحيدية واضحة في الديانات السابقة على الزرادشتية، إلا { أن زرادشت كان أول من قدم مفهوما صافيا عن التوحيد وصاغه في أيديولوجية متماسكة ومتكاملة}.
أقول: ذلك القول عن توحيد زرادشت كلام زائف باطل مضحك ساقط ، وفيه تحريف وغش وخداع وكذب ،وباطل جملة وتفصيلا ،ولم يوثقه بأي توثيق، وهو أوهام وأهواء من دون شك، وكذبة كبيرة جدا. لأنه لا يوجد دليل واحد صحيح يثبت أن زرادشت المزعوم كان موحدا، ولو كان موجودا لذكره السواح والباحثون الآخرون الذين ذكرنا بعضهم . ولو وجد

عندهم دليل واحد أو نصف دليل يؤيد وهمهم لذكروه وأقاموا الدنيا ولم يُقعدوها. والحقيقة أن زرادشت الأفستا النبي المزعوم لم يكن موحدا صافيا ولا مخلطا، ولا جاء بتوحيد أصلا، ولا كان نبيا، وإنما كان مشركا وثنيا يؤمن بالثنوية والتثليث، والتربيع وما بعده، وكان يعتقد أن أهورا مزدا هو أحد الإلهين التوأمين، وله زوجات وأبناء ، وآلهة خيرة تساعده كما بيناه سابقا من الأفستا.وعليه فلا وجود في الزرادشتية توحيد نقي ولا صافٍ، ولا فيه دخن، ولا أقيمت عليه " إيديولوجية " متماسكة ، ولا متكاملة، وإنما هي أوهام وأهواء، لا يقول بأن زرادشت كان موحدا، أو نبيا إلا جاهل، أو جاحد معاند، أو صاحب هوى.

ومنها أيضا: من أوهام السواح وخرافاته أنه عندما تكلم عن المعتقدات التوحيدية ذكر اليهودية والإسلام، ثم ألحق بهما الزرادشتية والمنوية، والنصرانية- مسيحية العهد الجديد-.

ذلك القول فيه حق وباطل، وأكثره متهافت، لأن التوحيد الحقيقي لا يوجد إلا في الإسلام، ويوجد ناقصا ومخدوشا في التوراة المحرفة مع دخن كثير، وأما إلحاق الزرادشتية والمسيحية والمنوية بالأديان التوحيدية فهو باطل وكذب وغش وخداع ، ويستحيل أن تكون تلك الديانات توحيدية، ولا يقول بذلك إلا جاهل، أو جاحد معاند ، أو صاحب هوى. والحقيقة أن تلك الأديان ليست توحيدية قطعا، ولا يُمكن أن تكون كذلك. لأن الزرادشتية والمانوية ديانتين مجوسيتين تقومان على الثنوية لا التوحيد، والجمع بينهما تناقض ويستحيل أن يجتمعان، لأن :02 لا يساوي 01 ، و01 لا يساوي 02. ومن يساوي بينهما كالسواح فهو محرف وكاذب وغشاش أو جاهل.

وأما النصرانية- مسيحية العهد الجديد- فهي أيضا ليست توحيدية ويستحيل أن تكون كذلك، لأنها ديانة تقوم على الثالوث المعروف: الإله، والابن، وروح القدس، وكل واحد منها إله قائم بذاته وكامل الألوهية حسب زعم النصارى. وعليه يستحيل أن تكون ثلاثة تساوي واحد، وواحد يساوي ثلاثة. ومن يدعي أن ذلك توحيد فهو جاهل،أو كاذب، أو مُحرف صاحب هوى. وعليه فيستحيل أن تكون تلك الأديان الثلاث ديانات توحيدية كما زعم السواح .

ومن تلك المزاعم والتحريفات: زَعم السواح أن المعتقد الألوهي في الزرادشتية بلغ الكمال في رؤيته للعلاقة بين الله والكون. وقوله هذا زعم باطل جملة وتفصيلا، وشاهد عليه على أنه جاهل، أو محرف صاحب هوى. لأن الديانة الزرادشتية لا يوجد فيها عقيدة الله أصلا، وإنما تقوم على ثالوث إلهي: الإله الأب الذي ولد إلهين توأمين أخوين، ثم اختفي الأب ، وبقي الإلهان متصارعين، ومع كل منهما زوجات وأولاد ،وآلهة تساعده.فأين الله المزعوم في الدينة الزرادشتية؟؟!! ، لا وجود له أصلا، ولا مكان له في الزرادشتية، ولا يُمكن أن يوجد فيها لأنها ديانة خرافية وهمية تقوم على الثنوية والتثليث والتربيع وما بعده.

وكما أن عقيدة الله لا وجود لها في الزرادشتية؛ فكذلك حكاية رؤية العلاقة بين الله والكون فهي لم تبلغ الكمال كما زعم السواح، وإنما لا وجود لها أصلا ، لأن الكون في الزرادشتية ليس واحدا، وإنما هو مكون من كونين: واحد خلقه الإله أهورامزدا، والثاني خلقه الإله أهريمن. والكونان متصارعان بحكم تصارع الإلهين المزعومين!! . فانظر إلى تحريفات السواح ومجازفاته ومفترياته انتصارا لأوهامه وأهوائه .

ومنها أيضا : زَعم السواح كعادته أن المعتقد الزرادشتي يتميز { بابتكاره لمفهوم الوحدانية الثنوية، وصفة الثنوية هنا لا تلغي صفة الوحدانية. لأن مفهوم الثنوية الزرادشتي يقف في تعارض مع مفهوم التعددية ، ولكنه لا يتعارض مع الوحدانية بل يتلازم معها }.

أقول: ذلك الزعم باطل جملة وتفصيلا، وفيه تحريف وتناقض وكذب وغش وخداع، وإصرار على ذلك عن سابق إصرار وترصد ليؤثر في القراء ويُشككهم في عقولهم وتصوراتهم ومعارفهم. إنه زعم ذلك تلاعبا بالألفاظ من دون أن يثبت مزاعمه بأي دليل عقلي أو واقعي. وزعمه باطل وكذب، لأن الزرادشتية ليست توحيدية ويستحيل أن تكون توحيدية، ولا تستطيع أن تكون توحيدية. لأنها ديانة تقوم على ثلاثة آلهة ،هي: الإله الأب الذي ولد التوأمين، ثم الإلهان التوأمان: أوهرامزدا، وأهريمن، ثم آلهة كثيرة مع كل منهما. كما أن أهورامزدا له عدة زوجات- الأهوريات-، وله معها أولاد. وهذا المعطيات التي أغفلها السواح وحرفها سبق أن أوردناها بعشرات النصوص من الأفستا.وبما أن الأمر كذلك فأين التوحيد المزعوم

في الزرادشتية، وهي ديانة شرك ووثنية، وديانة ثنوية، وتثليث، وتربيع وما بعده إلى عشرات الالهة. أليس من الكذب والجنون والجهل والتحريف وصف السواح للزرادشتية بأنها ديانة توحيدية!! . والسواح ذكر العقيدة الثنوية فقط وتجاهل أن الزرادشتية هي أيضا تثليثية وتربيعية إلى عشرات الآلهة، إنها ديانة شرك وتعدد ووثنية يستحيل أن تكون توحيدية.

ومن مفترياته وغشه أنه زعم أن الزرادشتية ابتكرت مفهوم الوحدانية الثنوية، وهذا تناقض ومستحيل أن يوجد في العقل وفي الواقع، والزرادشتية. لأن الواحد يستحيل أن يصبح أثنين والعكس صحيح. وعليه فالتوحيد ينقض الثنوية، والثنوية تنقض التوحيد ولا يُمكن الجمع بينهما. ومن مهازله أنه أنكر بدائه العقل انتصارا للديانة الخرافية المجوسية الزرادشتية، عندما زعم أن الثنوية لا تتعارض مع التعددية! !، وهذا مستحيل ،وكذب ،وخداع، لأن الثنوية تعدد بالضرورة، ولا يُمكن أن تكون توحيدا، والتوحيد لا يُمكن أن يكون ثنويا. ولا شك أن تصوّر مزاعم السواح عقليا يكفي للحكم عليها بالاستحالة والبطلان. فانظر إلى الأهواء ماذا تفعل بأهلها، إنها توصلهم إلى إنكار بدائه العقول، لأنها صرعتهم وجندتهم وأصبحوا من جنودها وفي خدمتها بعقولهم المريضة التي أعمتها الأهواء والمصالح ، وأبعدتها عن إتباع الحق والاحتكام إلى بدائه العقول والأخذ بأحكامها!!.إنها الأهواء التي تعمي وتصم، وتجند ضحاياها لخدمتها بمنطق الغاية تبرر الوسيلة!! .

لكن تجب الإشارة هنا إلى ذلك الزعم الذي قاله السواح بدعوى أن الثنوية لا تتعارض مع التوحيد، فهو مع أنه يتناقض مع الزرادشتية، لكنه يتفق مع قول السواح بخرافة وحدة الوجود. والتي تعني أن الله هو الكون، والكون هو الله. وعليه فكل ما نراه حسب تلك العقيدة من تنوع في المخلوقات والأفكار هي كلها مظاهر للواحد الذي هو الله، والله هو الكون؟ فتلك الكثرة ترجع إلى الواحد ومن مظاهره حسب زعم خرافة جنونية وخرافة وحدة الوجود التي يقول بها السواح.

ومن تلك المغالطات والمفتريات ، أن السواح قال: { وقد سارت الديانات التوحيدية بعد ذلك على النهج نفسه، لكنها استبدلت بشخصية إله الشر شخصيةَ الشيطان أو إبليس. وهذا معنى قولي: إن الشيطان هو رمز إلى حرية الإنسان .لأنه من دون الشيطان لا يوجد خيار، ومن دون الخيار

لا توجد حرية، ومن دون الحرية يتحول الإنسان إلى كائن "طبيعاني" غير عاقل، شأنه شأن بقية كائنات الأرض}.

أقول: ذلك الزعم باطل جملة وتفصيلا، وهو من أوهام السواح وأباطيله وأهوائه. لأنه **أولا** ، إن وجود الشيطان في الرسالات الإلهية ليس هو أمر طارئ،ولا هو من فعل الناس، ولا بتأثير من الزرادشتية، وإنما هو حقيقية تعني وجود الشيطان كمخلوق من الجن مكلف كغيره من الجن ومن بني آدم. وهو ليس إلهاً ولا نصف إله.والإيمان بالشيطان كمخلوق مكلف، وكعدو للإنسان ليس من اختلاق الإنسان، ولا من الزرادشتية، وإنما هو من أركان الإيمان في دين الله تعالى- وهو الإسلام- جاءت به كل الرسالات الإلهية، والأديان الأرضية هي التي تأثرت بالرسالات السماوية وأدخلت عقيدة الشيطان فيها حسب أهوائها ومصالحها وظروفها، وهذا عكس ما زعمه السواح.

ثانيا: ليس صحيحا أن الشيطان رمز لحرية الإنسان، لأن الشيطان هو نفسه كائن مسير ومخير ومكلف ، والإنسان هو أيضا كائن مسير ومخير ومكلف . فحرية الإنسان هي من طبيعته وليست من الشيطان ،ولا هو السبب في كون الإنسان مكلف وحر. فالإنسان حر بطبيعته بغض النظر عن وجود الشيطان من عدمه، ولم يكن له أي تأثير في كون الإنسان مُسير ومُخير. قال تعالى: { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس : 7- 10] }،و{ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ [البلد : 10]}،و{ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى [الليل : 5- 10]}. فالإنسان حر بطبيعته وليس بالشيطان، فحتى لو خلق الله الإنسان ولم يخلق الشيطان، لكان الإنسان حرا، لأن الإنسان من طبيعته حر مُختار. وعليه فكان من الممكن أن يكلف الله الإنسان بعبادته في غياب الشيطان ، ويبتليه حسب طبيعته ، منها نفسه الميالة للخير والشر. فوجود الشيطان ليس هو السبب في حرية الإنسان، وإنما هو عامل خارجي تحريضي يُمكن الاستغناء عنه تماما . لكن الله تعالى شاء بعلمه وحكمته ورحمته وقدرته أن يخلق الجن والإنس ويبتلي

كلا منهما بنوعه من جهة ، وبالآخر من جهة أخرى. وعليه فزعم السواح باطل من أساسة وهو من أوهامه وأهوائه وشطحاته.

وآخرها : زَعم السواح أن الإنسان في الزرادشتية هو بقية مخلوقات كلهم جميعا { صنعة الله الواحد}. وقوله هذا ليس من الزرادشتية في شيء ، وإنما هو تحريف لها وافتراء عليها وعلى الناس. لأن الزرادشتية ليس فيها الله الواحد الأحد، وإنما هي تقوم على ثالثوث أولي يتمثل في: الإله الأب، ثم الإلهان الأخوان التوأمان: إله الخير أهورا مازدا، ثم إله شرير أهريمن ،، ثم يختفي الإله الأب، ويبقى التوأمان الإلهان، ومع كل منهما آلهة أخرى كثيرة. وكانت لأهورامزدا زوجات وأولاد حسب زعم الأفستا. فأين الله الواحد في الزرادشتية؟؟!! ولماذا هذا التحريف المتعمد والخطير والإصرار عليه، والكلام بلا توثيق؟؟!! .

وأما زعم السواح بأن الإنسان والمخلوقات الأخرى كلها من صنع الله في الزرادشتية، فهو باطل أيضا لأن في الزرادشتية أن المخلوقات لم يخلقها إله واحد وإنما خلقها الإلهان المزعومان: أهورامزدا، وأهريمن، ومع كل منهما آلهة أخرى تساعده في الخلق كما بيناه سابقا. فنحن هنا أمام كوينيّن لا كون واحد. وأمام إنسانيتين لا إنسانية واحدة، هما: إنسانية خيرة خلقها أهورامزدا، وإنسانية شريرة خلقها أهريمن حسب زعم الأفستا. فانظر إلى تحريفات السواح ومغالطاته وتدليساته وإصراره عليها وكأنه مُكلف بهمام يجب عليه أن يقوم بها انتصارا للزرادشتية على حساب العقل والوحي والعلم !!!! .

وقبل إنهاء هذا المبحث أتساءل: لماذا قال هؤلاء الباحثون بتلك المزاعم والضلالات المغالطات والتحريفات رغم ظهور بطلانها ومخالفتها للزرادشتية التي انتصروا لها بالتحريف والغش والخداع وأوقعتهم في أخطاء وتحريفات وانحرافات كثيرة جدا ؟؟!!
أقول: تبين لي من تتبع مواقف هؤلاء الباحثين وأمثالهم أنهم قالوا بتلك المزاعم والضلالات والمغالطات ، ومارسوا الغش والتحريف والخداع لعدة أسباب مُنفردة أو مُجتمعة. منها أن طائفة منهم ربما قالت ذلك جهلا بما في الأفستا واكتفت بالاعتماد على ما كتبه المعاصرون دون العودة إلى الأفستا والنصوص والشواهد الساسانية. ومنها أن طائفة منهم قالت بتلك

المزاعم والأباطيل تعمدا وعن سابق إصرار وترصد، لغايات دنيئة وزائفة في نفوسهم كالطعن في الأديان التي فيها شبه توحيد أو توحيد حقيقي بدعوى أن الزرادشتية ديانة توحيدية قديمة قالت بالتوحيد وهي أقدم من تلك الأديان حسب زعمهم ؛ مما يعني أنها هي التي تأثرت بالزرادشتية في قولها بالتوحيد حسب ادعائهم، وأن الفضل يعود إلى الزرادشتية، مع أن الحقيقة عكس ذلك تماما!!.

ومنها أيضا ، أنه يوجد سبب آخر هو أنه ربما يكون بعض هؤلاء الباحثين قد اعتمد على نصوص أفستية ركزت على إله الخير دون إله الشر فظن هؤلاء أن الزرادشتية ديانة توحيدية، مع أن الحقيقة عكس ذلك تماما .

ومن تلك الأسباب أيضا: قد يكون بعضهم لم يطلع على الأفستا ، وإنما أطلع على أدبياته كالدينكرد، والبندهيشن، فوجد فيها أقوالا أشارت إلى التوحيد بتركيزها على أهورا مازدا واهمال زوجاته وأولاده حسب زعم الزرادشتية من جهة ؛ وبإغفال الإله الثاني أهريمن والآلهة الأخرى الكثيرة جدا؛ فظن هؤلاء أن الزرادشتية ديانة توحيدية .

ومن تلك الأسباب أيضا ، أن بعض هؤلاء الباحثين انخدع بوجود أقوال ونصوص في أدبيات الأفستا تضمنت أقوالا توحيدية أو شبه توحيدية، فانخدعوا، ولم ينتبهوا ولم يتفطنوا إلى أن تلك الأقوال والنصوص ليست من الأفستا ولا من أدبياته ولا من الديانة الزرادشتية؛ وإنما أدخلها فيها علماء الزرادشتية عندما كتبوا وحرفوا الأفستا وأدبياته بشكل منظم ورهيب في القرن الثالث الهجري وما بعده، كما بيناه سابقا.
وبذلك يتبين من تلك الأسباب ، أن هؤلاء الباحثين فيما قالوه من أباطيل ومغالطات ، وفيما مارسوه من غش وخداع وتحريف ، أن منهم الجاهل بالزرادشتية ولم يرجع إلى كتبها. ومنهم المُغرر به، فلم يرجع إلى المصادر الزرادشتية، واحسن الظن في الباحثين المعاصرين وأخذ من كتبهم عن الزرادشتية. ومنهم طائفة مارست التحريف والتضليل والكذب فيما كتبته عن الزرادشتية تعمدا وإتباعا لأوهامهم وأهوائهم انتصارا للزرادشتية بالكذب والتحريف، وطعنا في الأديان الأخرى عامة والإسلام خاصة .

وأنهاءً لهذا المبحث- الوهم الثاني- يُستنتج منه قطعا، أن الديانة الزرادشتية ليست ديانة توحيدية، ولا يُمكن أن تكون كذلك، وإنما هي ديانة شرك ووثنية، وديانة ثنوية، وتثليث ، وتربيع وما بعده إلى عشرات الآلهة. وأن القول بأنها كانت ديانة توحيدية هو وهم وزعم باطل قطعا لا يقوله، إلا جاهل، أو مُغفل ،أو جاحد معاند، أو صاحب هوى .

الوهم الثالث : القول بأن الزرادشتية من أقدم الديانات التوحيدية:

شاع بين كثير من الباحثين أن الديانة الزرادشتية هي من أقدم الديانات التوحيدية، أو أقدمها ، أسسها شخص قيل أنه فارسي يُعرف بزرادشت فسميت به ونُسبت إليه . منهم الباحث فراس السواح زعم أن الزرادشتية { هي أول ديانة توحيدية معروفة لنا تاريخيا إذا استثنينا الآتونية المصرية التي لا نعرف عنها الكثير }. وزعمت الباحثة ماري بويس أن { الزرادشتية هي أقدم الديانات العالمية التي تم الكشف عنها ، وربما كان لها تأثير أكبر على البشرية ، بشكل مباشر أو غير مباشر ، أكثر من أي دين آخر ".}. وزعم باحث آخر أن الزرادشتية هي أول دين لتعليم التوحيد والإيمان بإله واحد ، وكان لها تأثير في اليهودية والنصرنية والإسلام. وزعم الباحث سعد عبود سمار أن زرادشت كان موحدا لا يعترف إلا بخالق واحد مطلق، هو أهورامزدا، ولم يتقبل آلهة أخرى، كميثرا وأناهيتنا.

أقول: هل تلك المزاعم صحيحة؟، وهل حقا أن الزرادشتية ديانة قديمة أسسها زرادشت أم أن زرادشت نفسه لم يثبت وجوده، وما يزال مشكوكا فيه؟ .وهل الزرادشتية كانت موجودة في بلاد فارس قبل الساسانيين باسم الزرادشتية أم باسم آخر، أم لم يكن لها وجود أصلا ؟. وإن كان لها وجود باسمها أو بغيره فهل كانت منتشرة بين الفرس أم كانت محصورة في طائفة منهم فقط؟ ،وإذا كانت موجودة حقا باسم الزرادشتية أو باسم آخر فهل كانت توحيدية عند ظهورها أم شركية وثنية كما كانت في عصر الساسانيين وما بعدهم؟.

تلك الاعتراضات والتساؤلات ستجد أجوبتها من خلال مناقشتنا لمزاعم هؤلاء وبيان حقيقتها انطلاقا من المطالب الآتية:

أولا : هل زرادشت شخصية تاريخية ام خرافية؟! :

وُجد من الباحثين المُحدثين من شكك في وجود شخصية زرادشت، ومنهم من نفى وجوده أصلا. لكن أكثر الباحثين يُثبتون وجوده على أنه

شخص حقيقي وليس شخصا خرافيا. فهل هو شخص حقيقي تاريخي أم هو شخص خرافي؟ . وهل اعتمد كل طرف على أدلة علمية يقينية تُثبت موقفه، أم اعتمد على ظنيات واحتمالات لا ترقى أبدا إلى درجة الصحة واليقين ؟. وماهي المعطيات والشواهد التي اعتمد عليها كل طرف فيما ذهب إليه ؟.

بالنسبة للباحثين القائلين بوجود زرادشت، فإن أدلتهم قليلة وضعيفة وأكثرهم يكتفون بذكر روايات الأفستا وأدبياته المنسوبة لزرادشت، وبالإشارة إلى مواقف القائلين بتاريخية زرادشت بدعوى أن غالبية الباحثين يقولون بوجوده ؛ وكأن قول الغالبية هو نفسه دليل على وجود زرادشت ولا يحتاج إلى أدلة تُثبته، ويكفي للرد به على المُنكرين لوجوده أو المشككين فيه. وهذا زعم زائف، وموقف متهافت، وليس موقفا علميا ولا محايدا، وهو شاهد قوي على ضعف موقفهم وافتقادهم إلى الأدلة التي تثبت قولهم.

من ذلك مثلا، قول الباحث محمد غلاب : { يُجمع أكثر الباحثين على أن زرادشت قد وجد حقاً وإن كانوا جميعاً لا يجرؤون على القول بأن لديهم أي برهان علمي يدل على وجوده؛ وهم يجمعون كذلك على أنه وجد حوالي نهاية القرن الثامن قبل المسيح، وإن كان قد شذت عن هذا الإجماع الأخير شخصية من أجل الشخصيات العلمية، وهي شخصية الأستاذ كليمان الفرنسي الذي يرى أنه وجد في أوائل القرن العاشر قبل الميلاد. }.

ومنها أيضا، أن المؤرخ ويل ديورانت أشار إلى وجود مؤرخين أنكروا وجود زرادشت كشخصية تاريخية حقيقية، ثم أشار إلى القائلين بوجوده فقال: { وأما من يؤمن بوجوده من المؤرخين المُحدثين فيحددون تاريخه فيما بين القرن العاشر والقرن السادس قبل الميلاد }.

ومنها أيضا، أن المؤرخ الأديب أدوارد بروان، قال عن زرادشت : {أما بالنسبة لشخصية زرادشت وتاريخ حياته ومسقط رأسه فالآراء مُتعددة مُتشعبة إلى حد كبير ..وبعض هذه الآراء ينفي وجوده تاريخيا ...ويرى بعض الدارسين أن تاريخ حياته يتفق مع عصر الفدا، أي عام 1800 أو

2000، أو حتى 6000 قبل ميلاد المسيح .وهناك من يقول أنه كان يعيش قبل المسيح بسبعة آلاف سنة }.

ومنها أن الباحث الكردي فرست مرعي قال:{لكنّ بعض العلماء أظهر شكّاً في وجود هذا الرجل، وذكروا أنّ كلّ ما ذُكر عنه يدخل تحت باب الخرافات والأساطير، ولكنّ الأبحاث الحديثة أثبتت أنّ زرادشت شخصيّة تأريخيّة، وأنّه حكيمٌ من أكبر الحكماء الذين ظهروا في الشرق القديم}.

ومن أدلتهم أيضا: أن بعض القائلين بوجود زرادشت يستدلون بأناشيد الغاتا من الأفستا على وجوده، بدعوى انها تُظهر شخصية زرادشت بوضوح، وهي حسب رأيهم إن { لم تكن تعاليم زرادشت وإرشاداته فإنها على الأقل كلمات أتباعه وحواريه}.

ومنها أيضا، أن القائلين بأن زرادشت شخص حقيقي وليس شخصا خرافيا يستدلون أساسا على وجوده بما ورد في الأفستا وأدبياته من أخبار عن زرادشت. وهذا أمر معروف ، فكل القائلين بذلك نجدهم عندما يتكلمون عن الأخبار المروية عن زرادشت: ميلاداً ودعوةً، وانتشارا لديانته بين الناس وبعض ملوك عصره يعتمدون فيها على الأفستا وأدبياته، لأن تلك الأخبار لا وجدود لها خارج الأفستا وأدبياته التي سبق أن بينا أنها كُتبت في العصر الإسلامي.

وآخرها ، يتمثل في أقوى دليل عند القائلين بوجود زرادشت، ومفاده أنهم قالوا بأن مما يُثبت أن زرادشت شخص حقيقي ، هو أنه كان معروفا بين فلاسفة اليونان كافلاطون وأرسطوا وغيرهما، بأنه حكيم وصاحب فلسفة.

وبذلك يتبين من تلك الأدلة أن القائلين بتاريخية زرادشت أدلتهم ضعيفة ومتأخرة جدا عن الزمن المفترض أنه عاش فيه زرادشت من جهة؛ وبعضها مواقف ذاتية، ومزاعم بلا أدلة صحيحة تُثبتها من جهة أخرى . إلا دليل واحد يرجع إلى القرن الرابع قبل الميلاد المتعلق بمعرفة فلاسفة اليونان بزرادشت على انه حكيم مُتفلسف، وهو أقوى أدلتهم لكنه ليس دليلا حاسما، ويُمكن إضعافه وحمله على أكثر من وجه، بل والجزم بأنه ليس هو زرادشت النبي المزعوم كما سنبينه قريبا.

وأما أدلة المُنكرين لوجود زرادشت والمُشككين فيه، وردودهم على أدلة المُثبتين لوجوده ، فمنها : إن استدلال المُثبتين بموقف الأكثرية القائلين بتاريخية زرادشت للرد على الأقلية المُنكرة لوجوده بدعوى أن غالبية الباحثين لا يُنكرون وجوده؛ هو استدلال ضعيف جدا، بل وليس حجة حاسمة ولا راجحة، لأن أن الحقيقة العلمية لا تُعرف بأكثرية المؤيدين ولا بأقليتهم ، وإنما تُعرف بالأدلة التي تحملها وتؤيدها حتى وإن كان شخص واحد يقول بها مقابل العشرات. وبما أن أدلة المُثبتين أدلته ضعيفة جدا وليست حاسمة ولا راجحة، ولا يُمكن أن تكون علمية ولا يقينية، فإن استدلالهم بدليل الأكثرية ، هو استدلال ضعيف، ولا يُمكن أن يكون دليلا على وجود زرادشت النبي، ولا حجة تُضعف موقف المُنكرين لوجوده المؤيد بأدلة أقوى من أدلة القائلين بوجود زرادشت. كما أن زعمهم بأن قولهم أيدته الأدلة العلمية الحديثة وأثبتته، هو زعم باطل قالوه من باب التشويش والدعاية والتعلق بالأوهام والأهواء، ولو كانت أدلتهم علمية لم يختلفوا في تحديد عصره ذلك الاختلاف الكبير المتعدد والرهيب!! .

ومن أدلة المُنكرين أيضا: إن اعتماد المُثبتين على أخبار الأفستا وأدبياته في قولهم بوجود زرادشت؛ هو استدلال ضعيف جدا، بل ولا يصح أصلا، لأنه كتاب لم يُصنف في عصر زرادشت النبي المزعوم ، ولا قريبا منه، وإنما صُنف في عصر الساسانيين ، ونسخته لا توجد اليوم بين أدينا، وإنما الموجودة اليوم الأفستا وأدبياته الذي كُتب في العصر الإسلامي بطريقة تحريفية ماكرة مروعة بشعة كما بيناه سابقا. وعليه فاعتماد هؤلاء على أخبار الأفستا وادبياته المتعلقة بزرادشت متأخرة جدا ولا يُمكن أن تكون حجة يُحتج بها، وإنما لابد لها من أدلة تاريخية ترجع إلى عصر زرادشت أو قريبة منه لقبولها. وبما أن هذه الأدلة غير متوفرة فلا يصح الاحتجاج بأحبار الأفستا ولا يُمكن أن تكون حجة صحيحة في القول بوجود زرادشت النبي المزعوم. فاستدلالهم بالأفستا وادبياته غير مقبول عقلا وعلما ، ولا يُمكن أن تكون أدلة يقينية ولا صحيحة، ولا حتى راجحة في القول بتاريخية زرادشت المزعوم.

ومن أدلتهم أيضا: إن الاختلاف الكبير والمُتعدد الذي حدث بين الباحثين القائلين بوجود زرادشت النبي المزعوم في تحديد العصر الذي

عاش فيه مع الانقطاع التام بينه وبين الزرادشتية وأتباعه المنسوبين إليه من جهة؛ ومع عدم توفر أي دليل صحيح يُثبت مزاعمهم وظنونهم من جهة أخرى؛ هما دليلان قويان دامغان على أن زرادشت النبي شخص خرافي وليس شخصا حقيقيا. وتفصيل ذلك أن هؤلاء الباحثين منهم من زعم أن زرادشت ولد في أواخر العصر البرونزي حوالي عام 1767. ومنهم فلاسفة اليونان ، فقد اختلفوا في تحديد عصره اختلافا كبيرا، حتى أن أرسطو أرجعه إلى ستة آلاف سنة قبل وفاة أفلاطون . ومنهم من حدد عصره فيما بين القرنين العاشر والسادس ما قبل الميلاد. ومنهم من قال بأن زرادشت وُجد نحو نهاية القرن الثامن قبل الميلاد، أو في أوائل العاشر قبل الميلاد . ومنهم من أرجع عصره إلى القرن السادس قبل الميلاد. ومنهم من أرجع عصر زرادشت إلى 1800، أو 6000 ،أو 7000 قبل الميلاد.

أقول: واضح من ذلك أن اختلافهم في تحديد عصر زرادشت النبي المزعوم محصور فيما بين القرنين: 7000 – 600 قبل الميلاد، والفرق بينهما: 6400 سنة، أي: 64 قرنا !!!!!!!!!!!!!!. . إننا أمام آمر غريب ومريب ومزعج ومُضحك ورهيب وعجيب جدا، فهل يُعقل وهل يصح في العقل أن يحدث كل ذلك الاختلاف الكبير والمُتعدد والبعيد في تحديد عصر زرادشت المزعوم لو كان حقا شخصا حقيقيا صاحب دين ووحي وله أتباع ؟؟! ! . ولماذا كل ذلك الاختلاف والتعدد في تحديد عصر ذلك الشخص؟؟!!. يحدث كل ذلك في غياب أي دليل علمي صحيح يُثبت أي تاريخ من تلك التواريخ الظنية الاحتمالية المزعومة!!.

ولا شك أن ذلك الاختلاف الكبير والمُتعدد في تحديد عصر زرادشت المزعوم ، هو بنفسه شاهد دامغ على أن زرادشت شخص خرافي وليس شخصا تاريخيا. لأنه - حسب علمي- لم يسجل التاريخ أن شخصا مشهورا في التاريخ باسمه وديانته وأتباعه المنسوبين إليه أُختلف في تحديد عصره كما اختلف في تحديد عصر زرادشت. وبما أن ذلك حدث مع زرادشت المزعوم فهو دليل دامغ على أنه شخص خرافي وليس شخصا حقيقيا.

ومن ذلك أيضا أن حدوث ذلك الاختلاف الغريب والرهيب والمتناقض في تحديد عصر زرادشت ، لا يتفق مع مزاعم روايات الأفستا وأدبياته في ادعائها بأن زرادشت كان نبيا وصاحب وحي وديانة وأتباع انتصروا وانتشروا من بعده وأسسوا دولا إلى قيام الدولة الساسانية. فلوجد هذا

التواتر وعدم الانقطاع لما حدث ذلك الاختلاف الكبير جدا في تحديد عصر زرادشت النبي المزعوم . إنه اختلاف كبير جدا، ولا مُبرر له ، فهو ليس بسنوات ولا بعشرات السنوات ، ولا حتى بقرن، ولا قرنين ، ولا عشرة قرون ، وإنما هو بـ: 64 قرنا !!!! . إنه اختلاف لا يصح ولا يُعقل ولا يُمكن أن يحدث لو كان زرادشت النبي شخصا حقيقيا ونبيا وصاحب دعوة وديانة لم تنقطع من بعده. وبما أن ذلك الاختلاف الكبير جدا قد حدث في تحديد عصر زرادشت، فهذا يعني أن تلك الاستمرارية المزعومة لا وجود لها، لأنها لو وجدت لم يحدث ذلك الاختلاف الكبير في تحديد عصره، لأن التواتر وعدم الانقطاع يمنعان من الاختلاف في تحديد عصره، وإن حدث فسيكون في تحديد سنوات ميلاده ، او وفاته، ولا يتعلق بعصره ولا يحدث ذلك الاختلاف الكبير جدا في تحديده.

وبذلك يتبين بجلاء أن ذلك الاختلاف الكبير جدا في تحديد عصر زرادشت النبي المزعوم، هو دليل قوي جدا على عدم وجود زراشت النبي من جهة، وعلى عدم وجود الاستمرارية والتواصل بين زرادشت وأتباعه من بعده من جهة أخرى. كما أن هذا الانقطاع التاريخي بين زرادشت وأتباعه المزعومين هو دليل قوي جدا على عدم وجود زرادشت النبي المزعوم.

وأما عن الأسباب التي أدت بالباحثين إلى ذلك الاختلاف الكبير جدا، والمتعدد والمتناقض والغريب والمُضحك والمُنكَر، فهي في الغالب لا تعود إلى أسباب علمية موضوعية، وإنما الظاهر والراجح أنها تعود أساسا إلى أسباب دينية، وعنصرية ولغايات أخرى هي في نفوس أصحابها . وقبل ذكر بعضها ، فلا شك لو أن هؤلاء الباحثين تجردوا من أوهامهم وأهوائهم ومصالحهم واعتمدوا فقط على الأدلة العقلية والعلمية المتوفرة لما اختلفوا ذلك الاختلاف الكبير في تحديد عصر زرادشت من جهة؛ ولثَبُت عند معظمهم عدم وجود زرادشت النبي، أو على الأقل لترجح عندهم عدم وجوده، أو وجود زرادشت الحكيم لا زرادشت النبي.

وأما عن تلك الأسباب، فمنها أنه يبدو أن كثيرا من الباحثين العلمانيين والماديين تعمدوا تعميق الخلاف في تحديد عصر زرادشت وإرجاع عصره إلى تاريخ قديم جدا، ليجعلوا الزرادشتية أقدم الديانات المعروفة ثم زعموا

أنها كانت توحيدية، وتقول بالمعاد والصراط والمعراج من جهة؛ ثم زعموا من جهة أخرى أنها الزرادشتية هي التي أثرت في كل أو معظم الديانات المعروفة وقد ظهرت بعدها كاليهودية والنصرانية والإسلام. وهذا هو السبب الأول والغاية الأساسية منه، ليطعنوا بها في الأديان عامة والإسلام خاصة. ولا شك أن مقدماتهم ونتيجتها باطلة قطعا، لأن زرادشت النبي لا وجود له أصلا، والزرادشتية ليست ديانة زرادشت، وإنما هي ديانة اختلقها المجوس والساسانيون في دولتهم ثم نسبوها إليه كما بيناه في كتابنا هذا. لكن الذي يهمنا هنا هو السبب الذي جعل هؤلاء الباحثين يُحرفون ويكذبون انتصارا لأوهامهم وأهوائهم ومصالحهم على حساب العقل والعلم والحقيقة.

ومن تلك الأسباب أيضا: أن كثيرا من الباحثين أرجعوا تاريخ عصر زرادشت المزعوم إلى تاريخ قديم تعصبا للعنصر الآري ضد العنصر السامي. فقالوا بأن زرادشت أقدم زمانا من النبي موسى-عليه السلام- ، ورفعوا من مكانة زرادشت المزعوم وقزموا الثاني، ورفعوا الأفستا بيد وخفضوا التوراة باليد الأخرى.

ومنها أيضا: عدم العثور على أي دليل علمي صحيح يرجع إلى عصر زرادشت أو قريب منه يُمكن أن يُثبت وجوده ويُحدد زمانه. هذا السبب لم يؤد ببعض الباحثين إلى الاعتراف بالحقيقة، وهي أن زرادشت النبي لم يثبت وجوده، وهو شخصية خيالية، أو على الأقل الراجح انه غير موجود؛ وإنما جعلهم يُصرون على القول بوجوده، أو يرجحونه. ثم انتهى بهم الأمر إلى اقتراح عصور، زعموا أن زرادشت ربما عاش فيها من دون أي دليل يُثبتها ولا حتى يُرجحها.

ومن تلك الأسباب: إصرار الباحثين الزرادشتيين المعاصرين ومن يتعاون معهم من الباحثين الغربيين وغيرهم على أن زرادشت كان نبيا وصاحب وحي وديانة، وكان له أتباع كُثر قبل الساسانيين وفي عصرهم. ومع أن مزاعمهم هذه كلها باطلة، ولا يوجد عندهم ولا دليل علمي واحد صحيح يرجع إلى عصر زرادشت أو قريب منه، فإنهم مع ذلك أصروا على مزاعمهم وأوهامهم ، وأرجعوا عصر زرادشت إلى عصور أقدم من القرن السادس، أو السابع قبل الميلاد، حتى أن بعض الباحثين الزرادشتيين المعاصرين أرجعوه إلى قبل الميلاد1767.

وآخر تلك الأسباب: يبدو أن بعض الباحثين المؤيدين للزرادشتية أو المتعاطفين معها لغايات في نفوسهم أنه لما تبين لهم أن إرجاع عصر زرادشت إلى القرن السابع ، أو السادس قبل الميلاد هو خطر على الزرادشتية، بحكم أن ذلك التحديد يعني أن زرادشت عاش في العصر التاريخي لا الخرافي من جهة، وأنه من جهة أخرى هو قريب إلى الدولة الاخمينية التي قامت في نحو سنة 559 ق م ، وهذا يلزم ويتطلب وجود روايات وآثار معاصرة لزرادشت أو قريبة منه بحكم قرب عصره من الدولة الاخمينية وفي العصر التاريخي. فلما لم يجدوا أدلة صحيحة تُثبت ذلك، وتبين أن عدم وجودها يعني عم وجود زرادشت النبي وديانته يقينا أو ترجيحا ، لم يعترفوا بالحقيقة وتهربوا منها وجعلوها وراء ظهورهم، ثم زعموا أن عصر زرادشت النبي موغل في القِدم، وأرجعوه إلى الألف الثانية وما بعدها قبل الميلاد. فعلوا ذلك تهربا من الحقيقة وإضعافا لحجة المطالبين بالأدلة العلمية التي تُثبت وجود زرادشت يقينا. وزعموا أنه من الطبيعي والعادي جدا أن لا توجد تلك الأدلة بحكم أن زرادشت شخص عاش في العصر القديم قبل القرن السادس قبل الميلاد بعشرات القرون.لكن زعمهم هذا لم ينقذهم مما هربوا منه وظلت الأسئلة تطاردهم والأدلة الصحيحة تكشف زيفهم. من ذلك مثلا ، إن إرجاعهم وجود زرادشت إلى عصور ما قبل التاريخ، أو عصور التاريخ الأسطوري ، جعل نبيهم المزعوم يعيش في عصر ما قبل التاريخ، أو التاريخ الأسطوري الذي تهيمن عليه الخرافات والأكاذيب . وهذا يعني أن زرادشت نفسه أصبح شخصية خرافية ولا يُمكن التأكد من وجوده، ولا يوجد دليل يثبته ولا يُرجح وجوده . فهروبهم من القرن السادس أو السابع قبل الميلاد لم ينقذهم وإنما ورطهم وجعل زرادشت شخصا أسطوريا، ولا يُمكن التأكد من وجوده أصلا. فكانت النتيجة واحدة، أن زرادشت النبي شخص لم يثبت وجوده، ولا توجد أدلة صحيحة تُثبته، والصحيح انه شخص خرافي، وعلى اقل تقدير أنه لم يكن نبيا ولا موحدا ولا صحاب وحي ولا ديانة سماوية.

ومن أدلة المُنكرين لوجود زرادشت: إن استدلال كثير من الباحثين على وجود زرادشت النبي بدعوى أن أناشيد الغاتا بقِدمها تشهد بوضوح أنها من كلام زرادشت ، أو على الأقل أنها من كلام أتباعه وحواريه الأوائل؛ هو استدلال زائف وباطل وذاتي تعلق به هؤلاء لغايات في نفوسهم

من جهة، ولا يوجد أي دليل علمي صحيح يُثبت قطعا زعمهم من جهة أخرى. وقد سبق أن بينا أن الغاتا ليست من أقوال زرادشت النبي المزعوم، ولا قريبة من عصره ، وإنما هي أقوال نُسبت إليه بعد عصره المزعوم بعدة قرون، كُتبت في العصر الساساني ثم أعيدت كتابتها في العصر الإسلامي.وبهذا يسقط استدلالهم بحكاية الغاتا بدعوى أنها من أقوال زرادشت النبي المزعوم.

آخر أدلة المنكرين وردودهم : إن ذكر كبار فلاسفة اليونان لزرادشت واختلافهم الكبير جدا في تحديد عصره، لاشك انه دليل قوي على أن زرادشت شخص تاريخي وليس خرافيا، لكن هذا الدليل لا يكفي وحده لإثبات وجوده بحكم أن زرادشت النبي لم يرد ذكر اسمه ولا ديانته في الروايات والشواهد الأثرية الفارسية والتي تعود إلى عصر زرادشت أو قريبة منه. وهذا الغياب دليل دامغ على أن زرادشت لم يثبت وجوده ، مما يعني أن تداول فلاسفة اليونان لاسم زرادشت لا يجعله حقيقية تاريخية؛ فمن الممكن أن ينتشر اسم لشخص ما بين الناس ويكون شخصا خرافيا. بدليل أن كثيرا من الخرافات كانت منتشرة بين فلاسفة اليونان وغيرهم وهي ليست بصحيحة كشخصية هرمس الحكيم، وهرمس اليوناني رئيس الآلهة. كما أن بُعد زرادشت الفارسي المزعزم عن هؤلاء الفلاسفة زمانا ومكانا يزيد في احتمال كونه شخصا خرافيا لا حقيقيا، لأنه بعيد عنهم زمنيا ، فمن أين لهم بأنه كان شخصا حقيقيا. كما أن اختلافهم الكبير في تحديدهم للعصر الذي عاش فيه حتى أرجعه أرسطو إلى 6000 سنة قبل أفلاطون؛؛ يعني أن معرفتهم بزرادشت المزعوم كانت ضعيفة وضبابية وغامضة وناقصة وبعيدة زمنيا حتى جعلتهم يعجزون عن تحديد عصره ويختلفون في تحديده اختلافا كبيرا، ولم يرد ذكره في كتب أفلاطون إلا مرة واحدة. وبما أن الأمر كذلك فانتشار اسم زرادشت بين بعض كبار فلاسفة اليونان ليس دليلا قطعيا على وجوده، ولا ينفي كونه شخصا خرافيا، أو مشكوكا في وجوده.

وحتى إذا فرضنا جدلا،أن معرفة بعض كبار فلاسفة اليونان بشخصية زرادشت هي دليل على وجوده، أو على الأقل على رجحان وجوده؛ وانطلاقا من عدم وجود أدلة من الروايات والشواهد المادية ترجع إلى عصر زرادشت أو قريبة منه قبل الساسانيين التي تُثبت وجوده؛ فإنه يتبين

من الحالتين أننا أمام شخصيّن مختلفيّن لهما نفس الاسم، واحد قيل أنه فيلسوف وآخر قيل أنه نبي صاحب وحي ودعوة انتسبت إليه الزرادشتية وأتباعها، وكلاهما أُختلف في تحديد العصر الذي عاش فيه اختلافا كبيرا. لكن الفيلسوف يوجد دليل يُرجح وجوده لأنه ظهر قبل الزرادشتية زمن الساسانيين بنحو خمسة قرون؛ لكن زرادشت النبي المزعوم لا يوجد دليل واحد صحيح ولا راجح يُثبته، أو يُرجح وجوده، وإنما الأدلة الصحيحة تنفي وجوده ، وعلى أقل تقدير ترجّح عدم وجوده. فيكون زرادشت الذي عرفه اليونان شخصا حقيقيا لكن زرادشت النبي لم يعرفه اليونان وليس شخصا حقيقيا وإنما هو شخص خرافي.

ذلك الذي عرفه اليونان لا شك أنه زرادشت الحكيم والفيلسوف وليس هو زرادشت النبي المزعوم. بدليل أن فلاسفة اليونان الذين ذكروا زرادشت لم يذكروا أنه كان موحدا ولا نبيا ،ولا صاحب وحي، ولا له دعوة وديانة، وإنما أشاروا إلى انه كان ثنويا .

وأخيرا، يُستنتج مما ذكرناه في هذا المطلب أن زرادشت النبي المزعوم لم يثبت وجوده، لأن أدلة القائلين بوجوده ضعيفة جدا، بل ولا تصح من جهة، وأدلة المُنكرين لوجوده قوية جدا، وتُدحض أدلة المُثبتين لوجوده من جهة ثانية.أما زرادشت الفيلسوف، فقد وُجد دليل يُرجح وجوده، فهو إما أنه شخص آخر يحمل اسم زرادشت وليس هو زرادشت النبي المزعوم، وإما أنه هو شخص واحد لكنه لم يكن نبيا ولا موحدا ولا صاحب وحي وديانة ، وإنما كان حكيما متفلسفا ثنويا. وخلاصة ذلك أن زرادشت النبي لا وجود له بلا شك. ومن الحالتين يتبين أن القول بأن الديانة الزرادشتية أقدم الأديان التوحيدية هو وهم من أوهام القائلين بذلك، لأنه تبين أنها ليست هي أقدم الديانات وجودا بحكم أنها ليست ديانة قديمة أصلا، ولا هي أقدم الديانات التوحيدية. فهي ليست ديانة قديمة، ولا كانت توحيدية عندما ظهرت في عصر الساسانيين ونُسبت إلى زرادشت المزعوم وعُرفت باسمه.

<u>ثانيا: هل كانت الزرادشتية موجودة وتوحيدية قبل الساسانيين ؟! :</u>

كما أن ثبوت عدم وجود زرادشت النبي كشخص حقيقي دلّ على أن الزرادشتية لم يكن لها وجود في عصره المزعوم، ولا كانت ديانة قديمة جدا ولا توحيدية؛ فإن إثبات عدم وجود الزرادشتية قبل الساسانيين هو دليل

دامغ على أن الزرادشتية ليست من أقدم الديانات التوحيدية ولا الشركية؛ كما أن إثبات وجودها يحتمل أنها كانت من أقدم الأديان التوحيدية . فهل وجدت الزرادشتية كديانة في بلاد الفرس قبل الدولة الساسانية؟ .

للإجابة عن ذلك نبدأ أولا بالبحث عن الدين الذي كانت تعتنقه الدول الفارسية قبل الساسانيين، وهي: الدولة الإخمينية، والدولة السلوقية، والدولة الفرثية- الإشكانية - . ثم نبحث عن الدين الذي كان يعتنقه عامة الشعب الفارسي. ثم نبحث عن الدين الذي كانت تعتنقه طائفة المجوس- المغان- . ثم نبحث أخيرا عن الزرادشتية إن كان لها وجود قبل قيام الدولة الساسانية.

أولا: بالنسبة للدين الذي تبنته الدول الفارسية قبل دولة الساسانيين، فإن الدولة الإخمينية (559 – 330 ق م)، اتخذت دينا رسميا اعتنقه ملوكها وانتصروا له وافتخروا بانتمائهم إليه. فهل كان دينا زرادشتيا أم دينا آخر؟، وهل كان توحيديا أم شركيا ؟. وبيان ذلك بالشواهد التاريخية الآتية:

منها : كان للملوك الإخمينيين مقام رسمي ديني تُقام فيه مراسيم مكلية متنوعة، يُسمى " مقام الآلهة " بنقش بيستون كما هو مبين في الصورة الآتية.ومعناه " المكان الذي تسكنه الآلهة" . وهذا المقام دليل يشهد بنفسه أن ديانة الملوك الاخمينيين كانت ديانة شركية وثنية ولم تكن ديانة توحيدية ، فهو ليس مقاما لأهورا مزدا فقط ، وإنما هو له بوصفه كبير الآلهة ، ولآلهة أخرى كميثرا وأناهيتا.



نقش بيستون" مقام الآلهة الإخمينية "

منها أيضا: إن مما يعرفنا بدين ملوك الإخمينيين هو أنهم مثّلوا آلهتم بالصور والأصنام المنحوتة في الصخر، من ذلك مثلا نجد الملك أرتحشتا الثاني (404 - 359 ق م)، أقام عدة تماثيل للإلهة "أناهيتا" في مدن كثيرة من مملكته، منها : سوسة، أكباتنا، وبابل.وأقام أيضا منحوتات بارزة للإله أهورامزدا على واجهات القبور الملوكية الخاصة بالسلالة الإخمينية. فكان يظهر الملك الإخميني و" هو يضحي أمام مذبح فيه النار المقدسة " وتعلو فوقه صورة الإله أهورا مزدا داخل القرص المجنح. واضح من ذلك أن الملوك الإخمينيين كانوا مشركين وثنيين.

ومن تلك الشواهد أيضا: يتبين من قراءة وتدبر نقوش الملوك الإخمينيين أنهم كانوا مشركين يؤمنون بعدة آلهة، أكبرها أهورامزدا ، ومنها: ميثرا وأناهيتا . ومثّلوا الإله الأكبر أهورا مزدا بقرص شمس مجنح يخرج منه نصف الشخص الأعلى يحمل لحية ويُكلل التاج هامه . وهذا الرسم مُشتق من الرموز الأشورية الدينية . ومن صفات إلههم الأكبر: أهورا مزدا أنه خالق العالم بما فيه الأرض والسماء .

ومنها أيضا: توجد أدلة أثرية كثيرة، حفظت جوانب من دين ملوك الاخمينيين وعلاقتهم الدينية بالناس من جهة؛ وكشفت حقيقة دين الإخمينيين من جهة ثانية؛ وأظهرت من جهة ثالثة ان الإخمينيين كانوا مشركين وثنيين ولم يكونوا موحديد ولا زرادشتيين. منها مثلا أن الملك قورش الكبير(559– 530 ق م) كان يُساند الناس في عبادتهم للآلهة. وكان هؤلاء يظهرون في " مناطق تحف بها تماثيل الآلهة الإيرانية في تلاحم كثيف. منها فيزي باغاودرفا ، - زرفان-، وهفاريرا ، وناريياسانغا، وردانا فرافارتيس، وسبانتارا غرديا " وغيرها من المناطق. وكان قورش يتحدث في نقوشه عن أهورا مازدا على أنه " أعظم الآلهة طرا"، لكنه يذكره أيضا " مقرونا بكل الآلهة ... الذين لهم وجود ".

وكان الملك قورش الكبير يستشير الآلهة ويقدم لها القرابين عندما يختار كبار رجاله، وفي إحدى المرات فعل ذلك وخاطب أصحابه بقوله: {وهذا ما اعتقد أنه يقوي ثقتكم في هذه الآلهة ، عندما بدأت هذه الحملة وهذا من أجلكم لأنه ليس من طبعي أن ابدأ عملا كبيرا أو صغيرا بدون

موافقة الآلهة}. ومن ذلك أيضا أن الملك قورش والجيش كانوا يصحبون معهم الآلهة الفارسية في حروبهم للنصر وتشجيع الجنود، وتقديم القرابين.

ومن الآلهة التي كان يقدسها الملك قورش الكبيرويعبدها، الإلهان: أناهيتا وأهورامزدا. وقد بنى معبدا لأناهيتا بعاصمته " باسركارد " قرب عين ماء من جهة الضفة الغربية . وبالقرب منه يوجد مذبح للإله أهورامزدا.

ومن تلك الشواهد أيضا، أنه توجد نصوص كثيرة، منقوشة على الصخور كتبها ملوك إخمينيون تضمنت أمورا كثيرة، منها الدين الذي كانوا يعتنقونه. **منها:** نص للملك **داريوس الأول** (522–486 ق م) بنقش بيستون في مقام الآلهة، جمع فيه بين كبير الآلهة والآلهة الأخرى، فقال:(ومن أجل ذلك كان أهورامزدا يقف إلى جانبي ، مثلما كانت تقف إلى جانبي الآلهة الأخرى الموجودة هنا ...).

ومنها نص آخر لداريوس الأول يوجد بقصره في برسيبوليس، ومما جاء فيه: { إن أهورامزدا مع كل آلهة البيت الملكي سيساعدونني ، وهذه الأرض محمية من قِبل أهورامزدا من الأعداء والجفاف والكذب، ولا تصلها جيوش الأعداء، ولا تُصاب بالقحط والكذب، هذا ما أطلبه من أهورامزدا وآلهة البيت الملكي}.

ومنها نص للملك أحشويرش الأول (486 – 465 ق م)، يقول: { الرب الأكبر أهورامزدا الذي خلق هذه السماء وخلق البشر، وبث في الناس المسرة ، وجعل خشيارشا ملكا وملك الملوك وحاكم الحكام}. وقوله هذا لا يعني أنه كان موحدا ولم يكن مُشركا، وإنما هو قول يندرج ضمن اعتقاد الإخمينيين بكبير الآلهة أهورامزدا مع الآلهة الأخرى كميثرا وأناهيتا كما سبق أن مر مع قورش وداريوس الأول، بدليل قوله: " الرب الأكبر" ، فهو لم يُفرده بالاعتقاد ، ولا نفى غيره من الالهة،وإنما تضمن قوله الاعتراف بوجود آلهة أخرى ضمنيا هي أقل من أهورامزدا مكانة. وبذلك يكون قوله يُشبه قول داريوس الأول: " أهورامزدا مع كل آلهة البيت الملكي "، لكن أحشويرش- خشيارشا- أجمل الاعتقاد وركزه في إله واحد وضَمّنه الاعتقاد بالآلهة الأخرى.

ومنها، أنه كان يوجد في عهد الاخمينيين معبد للإلَهة "اناهيتا"، فيه يتقلد ملوكهم الحُكم وتباركه الإلَهة. منهم الملك أرتحشتا الثاني (404 – 359 ق م) تقلد حكمه بمدينة بزَرغداي- المقر القديم لقورش- ، وهناك يبدأ تقلده للمُلك بنوع من الشعائر والطقوس، كما هو مُبين في النص الآتي:{ وبُعيد وفاة داريوس الثاني توجه الملك إلى بزرغداي، ليَدَع الكهنة الفارسيين يُباركونه ملكاً. وهناك يكون حَرَمُ إلهةٍ محاربة يود بعض الناس أن يعدوها أثينا" أناهيتا".وعندما يكون من تَتَرتّب مباركته قد دخل هذا المعبد يكون من الواجب عليه أن يخلع ثيابه ، وان يرتدي تلك التي كان يرتديها قورش الشيخ قبل أن يغدو ملكاً ، ولابد له أن يأكل تيناً مجففا ويقضم فستقا ويتناول قدحا من اللبن الحامض }.

ومنها: نص للملك الإخميني **أردشير الثاني**-أرتحشتا الثاني- (359- 338 ق م) ،و مما جاء فيه: { وأن هذا القصر الذي بنيته بارادة آهورامزدا وأناهيتا وميثرا، وأن آهورامزدا وأناهيتا وميثرا يحفظوننا من كل بلاء، وأن الذي بنيتُه لم يعرضوه للفناء والدمار}.

وآخرها، نص للملك الإخميني أردشير الثالث-أرتحشتا الثالث- (359-338ق م) تمثل في لوحة كتابية بتخت جمشيد ذكر فيه إلهيّن فقط، هما: أهورمزدا وميثرا، وطلب منهما الحماية والحفظ، ولم يذكر الإلهة أناهيتا.

وبذلك يتبين من تلك النصوص المنقوشة أن هؤلاء الملوك كقورش الكبير ،وداريوس الأول وغيرهما من الملوك الإخمينيين كانوا مشركين وثنيين ولم يكونوا مُوحدين، ولا زرادشتيين.

ومن تلك الشواهد أيضا، أنه توجد ألواح طينية كشفت جانبا من دين الإخمينيين في مؤسسات دولتهم يُثبت أنه دين شرك لا توحيد. وتفصيل ذلك أن تلك الألواح خاصة بدفع الضرائب في أماكن كثيرة من الدولة الاخمينية كمدينة بِرسيبوليس الاخمينية، وتعود إلى الفترة ما بين: 509- 458 ق م ، ومعظمها يرجع إلى عهد الملك داريوس الأول (522–486 ق م)، تبين أن منها ضرائب عينية، كانت تُجمع وتوزع على مرافق الدولة وعمالها، وعلى الكهنة يُقدمونها كقرابين من أجل الآلهة. واتضح منها أيضا أن

الملوك الاخمينيين كداريوس الأول كانوا " يسمحون للرعية بتبجيل عدد كبير من الآلهة ".

ومنها أيضا، شواهد أثرية كثيرة سجلت لنا جوانب من خصائص وعبادات وطقوس دين الإخمينيين تميز بها عن الزرادشتية من جهة، وثَبُت بها أن الدين الإخميني لم يكن دينا زرادشتيا من جهة أخرى. من ذلك مثلا، أن من صفات الإله الأكبر أهورامزدا في دين الإخمينيين أنه هو الذي خلق السماء والبشر؛ لكن في الزرادشتية يوجد إلهان خالقان كبيران متصارعان، لكل منهما مخلوقاته كما سبق أن بيناه.

ومن طقوس دين الإخمينيين انه كانت له مذابح تُذبح فيها ذبائح الأبقار والجياد والقطعان يُقدمها كهنة المجوس. فدين الإخمينيين لم يكن يُحرّم ذلك، وهذا خلاف الزرادشتية التي كانت تُحرم الذبائح كقرابين للآلهة. ومنها أن الإخمينيين كانوا يدفنون موتاهم في التراب، لكن المجوس- الزرادشتيين زمن الساسانيين- لم يكونوا يدفنون موتاهم، وإنما يبقون الجثمان " مُسجى لئلا تنجس الأرض أو الماء ، أو النار بلمسه " بدعوى أنها عناصر إلهية .

ومن تلك الشواهد أيضا ، أن مما يكشف تميز دين الإخمينيين وأنه دين قائم بذاته ولم يكن دينا زرادشتيا ، أن طائفة من الباحثين المُنصفين اعترفوا بذلك بطريقة أو أخرى . منهم باول هورن، استبعد أن يكون الاخمينيون زرادشتيين فقال: { فيبعد أن يكون الفرس الأخمينيون على دين زرادشت}. وقال أدوارد براون : {فإنه لم يثبت حتى الآن بصفة قاطعة ما إذا كان خلفاؤهم الهخامشيون-الإخمينيون- قد تبعوا زرادشت أم لم يتبعوه}.

ومنهم الباحث العراقي سعد عبود سمار ،قال: { من كل ما تقدم تتأكد المعتقدات الدينية التي كان عليها قورش الثاني في بلاد فارس، إذ كان على المعتقدات الآرية، ولم يُعرف عنه ان كان زرادشتيا بدلالة عدم ورود اسم الإله أهورامزدا في كتاباته ،كذلك اسم زرادشت. فضلا عن أنه قدم القرابين وبنى المذابح التي لا تجيزها الديانة الزرادشتية.ويُضاف إلى ذلك أنه لم يُدفن على الطريقة الزرادشتية فيما يُعرف بأبراج الصمت، وإنما كان له قبر في عاصمته باسركارد }. وقال أيضا عن دين الإخمينيين: { وقد وصلتنا معلومات دقيقة عن عقائدهم من الكتابات والألواح الإخمينية ومستنداتهم ، بحيث هذه الكتابات لم يرد فيها أي ذكر للنبي زرادشت ،

وأصبح لدينا الدليل الكافي بالاعتقاد أن الديانة لدى الاخمينيين كانت متفاوتة مع الديانة الزرادشتية. فلم يرد أي ذكر للمعتقدات الزرادشتية }.

وأشار أحد الباحثين، إلى أنه تبين من اكتشافات علماء الآثار مما لاحضوه في المعابد والقوانين المتعلقة بالآلهة في عصر الاخمينيين أنها لم تكن متفقة ما يُعتبر من التعاليم الزرادشتية. كما أنه اتضح من النقوش الفارسية القديمة المكتوبة بأبجدية مسمارية أنه لم يرد فيها ذكر اسم زرادشت. كما أنهم وجدوا فرقا بين مصطلحات الملوك الاخمينيين في نقوشهم وبين مصطلحات الآفستا. ونفس ذلك الأمر يتفق مع ما ذكره هيرودوت عن دين الفرس، لم يذكر ولا أشار إلى اسم زرادشت .
ومنهم : الباحث آرثر كريستنسن المُختص في تاريخ إيران، ذكر أن الاخمينيين كانوا يُدينون بالمزدية الإيرانية القديمة ولم يكونوا على دين المزدية الزرادشتية، التي كانت غريبة بين الفرس الاخمينيين، وإنما كانت محصورة تقريبا في المجوس.
وآخرهم : الباحثان أندريه إيمار، وجانين أوبويه، قالا : { وعلى كل يعجب المرء كيف تجاهلت ديانة الاخمينيين الرسمية زرادشت وتعاليمه}.إنه اعتراف هو عجيب أيضاً كما تعجب الباحثان من " تجاهل الاخمينيين لزرادشت وتعاليمه" ، إنه ليس تجاهلا لزرادشت ودينه المنسوب إليه كما ظن الباحثان، وإنما هؤلاء لم يذكروه لأنه لم يكن لزرادشت ودينه وجود، وليس أنهم تجاهلوا زرادشت ودينه مع وجودهما. وهذا الأمر من أكبر الأوهام التي وقع فيه أكثر الباحثين الذين كتبوا عن الزرادشتية، فصدقوا ما قاله الأفستا وادبياته من أباطيل واساطير وأكاذيب عن نشأة الزرادشتية، فوقعوا في أوهام واباطيل كثيرة تتعلق بالديانة الزرادشتية، وربما بعضهم تعمد القول بذلك لغايات في نفوسهم.

وآخرها – الشواهد المُميزة لدين الإخمينيين- لقد تبين بالكتابات الأثرية الإخمينية – أوردنا طرفا منها-، أن الملوك الإخمينيين كانوا على دين قائم بذاته ظهر قبل الزرادشتية، وله أصوله وفروعه وطقوسه التي تميز بها عن الديانة الزرادشتية. وتفصيل ذلك أن دين الإخمينيين أصله الديانة المزدية التي كانت منتشرة بين الآريين والميديين قبل ظهور الزرادشتية. تسمت بالمزدية نسبة إلى كبير الآلهة مزدا، أو أمزدا ، أو أمزدا يسنا، أو أهورا مزدا. وذكر الباحث المختص في تاريخ ايران آرثر

كريستنس أن معظم العلماء اتفقوا على {أن مزدا –الحكيم- عند الإيرانيين : الأهورا الأكبر هو وارونا القديم، ولم يحفظ الإيرانيون اسمه الأصلي. والأهورات وعلى رأسها مزدا كان لهم طابع يتميز بالدعوة إلى الأخلاق والعمران، بعكس الشياطين تعبدها القبائل الرحل والمحاربون واللصوص، وفي الوقت الذي دخل فيه الإيرانيون العصر التاريخي كان مزدا ، مزدا أهورا، أو أهورامزدا الإله الأعلى للقبائل المستقرة والمتمدنة في الشرق والغرب. والمزدية أقدم عهدا من الزرادشتية }. ومعنى ذلك أن أن دين الإخمينيين هو دين مزدي، ظهر قبل الزرادشتية من جهة، وقد أقمنا أدلة مادية كثيرة على أن الإخمينيين لم يكون زرادشتيين من جهة أخرى. وذلك لأن دينهم يختلف عن الزرادشتية بأصوله وفروعه ، ولأنه أثبتنا في كتابنا هذا أن الزرادشتية ظهرت متأخرة، فلم تظهر إلا في عصر الساسانيين في القرن الثالث الميلادي.

وبذلك يتبين من تلك المعطيات والأدلة الأثرية أن دين الملوك الإخمينيين لم يكن دينا زرادشتيا، وإنما كان دينا مزديا ظهر قبل الزرادتشة بقرون كثيرة، تميز عنها بأصوله وفروعه وطقوسه.كما أنه لم يكن دينا توحيديا، ولا ثنويا كالزرادشتية، وإنما كان شركيا وثنيا.ولا تضمنت كتاباته الأثرية ذكرا لزرادشت ولا للزرادشتية، مما يعني أن الزرادشتية لم تكن أقدم الديانات ولا منها، ولا كانت ديانة توحيدية . وأنه من الخطأ والجريمة والوهم القول بأن الزرادشتية ديانة قديمة وتوحيدية أثرت في كل الأديان أو في معظمها، وإنما الحقيقة هي أن الزرادشتية هي التي تأثرت بالأديان الأخرى في العصرين الساساني والإسلامي، وليست هي التي أثرت فيها.

أما بالنسبة للدين الذي كان عليه ملوك الدولة السلوقية (323-155ق م) ببلاد فارس، فمع أنهم شجعوا العادات والمعتقدات الدينية الإغريقية فإن دين الإخمينيين –المزدي- استمر شائعا في دولتهم والقائم على عبادة الآلهة: أناهيتا، وميثرا ، وأهورامزدا، مقابل غياب ما يدل على انتشار الديانة الزرادشتية.

وفي الدولة الفرثية-الإشكانية- (115 ق م- 224 م) ، استمر دين الاخمينيين- المزدي- منتشرا بين الناس القائم أساسا على عبادة الآلهة: أناهيتا، وميثرا، وأهورامزدا، مع عبادة قوى الطبيعة كالشمس والقمر ، مع غياب انتشار الزرادشتية بين الفرثيين.وقد شاعت بينهم عبادة " أناهيتا" أكثر من الألهة الأخرى، وأقيمت لها معابد كثيرة عُبدت فيها أناهيتا. ومن

طقوس الفرثيين أنهم لم يكونوا على طريقة المجوس في وضع الجثة فوق المرتفعات، وإنما " اتبعوا طريقة الدفن الاعتيادية ، كما تشير إى ذلك جملة قبور فرثية ، ولاسيما التوابيت المُزججة الخاصة بهذا العهد الشبيهة بالحذاء".

وبذلك يتبين من عرضنا للدين الذي كان معتمدا ومنتشرا بين ملوك الإخمينيين والسلوقيين والفرثيين ومؤسساتهم الدينية الرسمية هو دين واحد تقريبا ، القائم على عبادة قوى الطبيعة عامة، وعبادة الآلهة: أهورا مزدا، وأناهيتا وميثرا خاصة . وهو الدين المعروف بالمزدي من جهة، مع عدم وجود أي ذكر لزرادشت والزرادشتية من جهة أخرى. مما يعني أن القول بأن الزرادشتية من أقدم الديانات ظهورا، وأقدمها توحيدا هو زعم باطل ووهم من الأوهام التي راجت بين كثير من الباحثين المُعاصرين.

ثالثا: دين عامة الفرس :

إن معرفة الدين الذي كان منتشرا بين عامة الفرس قبل الساسانيين، تُقدم لنا دليلا مهما عن ذلك الدين من جهة ، وتكشف لنا من جهة أخرى عن حال الديانة الزرادشتية، فهل كانت موجودة ومنتشرة بينهم أم لا ؟ .

جوابا عن ذلك، أذكر الشواهد التاريخية الآتية: منها، قد تبين من الآثار المادية المُكتشفة والتي ترجع إلى ما قبل الساسانيين أن الفرس كانوا مشركين وثنيين. فكانوا يعبدون آلهة كثيرة من الآلهة الإيرانية، كأهورامزدا، وهُمبان، وآداد البابلي ، وأناهيتا وغيرها كثير . وكما أنهم عبدوا الآلهة الفارسية بإشراف من الكهنة المجوس ، فإنهم عبدوا أيضا آلهة أجنبية بعلم ومرأى من هؤلاء الكهنة.

ومن ذلك أيضا أن بعض ملوك الإخمينيين ، كقورش وكِسرى مثلا كانوا يُساندون الناس في عبادتهم لتلك الآلهة، ويظهرون في " مناطق تحف بها تماثيل الآلهة الإيرانية في تلاحم كثيف. منها فيزي باغاودرفا ، -زرفان-، وهفاريرا ، وناريا ياسانغا، وردانا فرافارتيس، وسبانتارا غرديا " وغيرها من المناطق. وتبين ايضا من تلك الالواح الواردة من برسيبوليس أن الملوك الاخمينيين كانوا " يسمحون للرعية بتبجيل عدد كبير من الآلهة ". بل وكان بعضهم يُساندون الناس في عبادتهم لتلك الآلهة، ويظهرون في " مناطق تحف بها تماثيل الآلهة الإيرانية في تلاحم كثيف.

ومنها أيضا، شهادة المؤرخ اليوناني هيرودوت(484 - 425 ق م) عندما زار بلاد فارس في القرن الخامس قبل الميلاد وفيها وصف لنا دين الفرس وهو شاهد عيان فيما ذكره، فقال: ((وهاكم بعض عادات الفرس كما عرفتها وخبرتها ... وهم يعبدون الشمس والقمر، والأرض والنار، والماء والرياح وهي آلهتهم الوحيدة ...)). واضح من كلامه أن دين الفرس في زمان هيرودوت (484 – 425 هـ) كان يقوم على تعدد الآلهة لا على التوحيد، وهو هنا وصف دين الفرس، ولم يذكر معه دينا آخر، مما يعني أنهم كانوا على دين واحد بصفة عامة .

وذكر هيرودوت أيضا أن الفرس في زمانه كانوا يُؤلهون مظاهر الطبيعة ويعبدونها ، منها النار فهي من آلهتهم. وقال ((فالفرس يعتقدون أن النار إله ، ولذلك فإنهم لا يحرقون موتاهم أبدا ، وإن تقديم جثة الميت إلى إله إثم ...)) . ونفس الأمر أكده بعده المؤرخ اليوناني زينوفون (ت 354 ق م) فذكر أن الفرس كانوا يضحون بالخيول إلى الشمس. ثم أكده من بعده الرحالة الجغرافي ستربون (ق: 1 ق م) فذكر أن الفرس كانوا يعبدون الشمس ويدعونها على أنها الإله ميثرا.

ويُستنتج من مشاهدات هيرودوت في بلاد الفرس وما كتبه عن دينهم، أنه

عندما تكلم عن دين الإيرانيين فسماه دين الفرس، وذكر أصوله وفروعه وأهم خصائصه ، أنه لم يُشر إلى الديانة الزرادشتية أصلا، لا من قريب ولا من بعيد. وعندما تكلم عن دين الفرس لم يذكر له شخصا هو مؤسسه ، ولا قال أن الفرس يتبعونه وينتمون إليه بأنه هو مؤسس دينهم، ولا أشار إلى زرادشت أصلا. وهذا يُشير إلى أن مؤسس دين الفرس ليس هو زرادشت ، ولا كانوا ينتمون إليه. كما أنه لم يذكر أن للفرس كتابا مقدسا اسمه الأفستا ولا له اسم آخر. وهذا يعني أن دين الفرس لم يكن له كتاب مُقدس يقوم عليه، ولا كان للفرس مثل هذا الكتاب، ولا كان للزرادشتية وجود.

وبذلك يتبين أن الدين الذي كان سائدا بين الشعب الفارسي هو عبادة قوى الطبيعة،والاعتقاد بتعدد الآلهة بتوجيه وإشراف من الكهنة المجوس، وبعلم وبأوامر من ملوك الفرس قبل قيام الدولة الساسانية من جهة؛ وأنه اتضح من جهة أخرى أنه لم يكن للزرادشتية ومؤسسها وكتابها ذكر ولا

انتشار بين الفرس قبل قيام دولة بني ساسان. ولا كانت أقدم الديانات ، ولا أقدم الأديان التوحيدية .

رابعا: دين طائفة المجوس:

مثلت طائفة المجوس طبقة متميزة ومتنفذة في الدول والمجتمعات الفارسية قبل الساسانيين وفي عصرهم . وأُشتهرت بالتفرغ لخدمة الحياة الدينية في مؤسسات الدول الفارسية ومجتمعاتها من جهة؛ وبقيت من جهة أخرى طبقة محافظة ومنغلقة على نفسها، لها دينها ونظامها وقانونها الذي يحكمها من داخلها، وعُرفت أيضا باسم المغان، واسمها الديني الأول والأصلي هو المجوس. فما هو الدين الذي كانت تعتنقه وتمارس طقوسه وتحتكم إلى أوامره؟ .

كان المجوس معروفين بين الفرس منذ قبل قيام الدولة الإخمينية وبعدها بأنهم تفرغوا لرياسة الحياة الروحية في الديانة المزدية قبل ظهور الديانة الزرادشتية . وأشاعوا بين الناس أنهم طبقة اجتماعية من قبيلة واحدة ، وجُلبوا على خدمة الآلهة.

وأما الدين الذي كانوا يعتنقونه، فرغم وجود بعض التشابه بين دينهم ودين الملوك وعامة الشعب، كتقديس النار وعبادتها، وتشابه اسم بعض الآلهة التي يعبدونها؛ورغم أنهم هم الذين يُشرفون على طقوس دين الملوك والشعب، فإنهم مع ذلك فقد تميزوا بأصول وفروع جعلتهم يمثلون طبقة لها دينها وطقوسعا وتشريعاتها التي تميزت بها.

من أصولها مثلا : كان دينهم يقوم أساسا على الثنوية : إله الخير، وإله الشر، هما: أهورامزدا، وأهريمن كما في المجوسية الزرادشتية فيما بعد.وهذا خلاف ما كان عليه دين ملوك الفرس وشعوبهم القائم على الشرك والتعدد، بعبادة ثلاثة آلهة بشكل أساسي: أهورا مزدا، وأناهيتا، وميثرا ، وغيرها من الآلهة كما بيناه سابقا.ومعنى ذلك أن المجوس هم الذين كانوا يعتقدون بثنوية: أهورامزدا وأهريمن، وهم الذين سيسمون هذه العقيدة باسم الزرادشتية في العصر الساساني. فأطلقوا اسم الزرادشتية على الديانة المجوسية، بعدما طعموها بعقائد وطقوس وتشريعات من أديان أخرى، وبقيت أصولها مجوسية، كما سيتبين لاحقا.

ومن فروع ديانة المجوس ، أنهم كانوا لا يتزوجون إلا من بعضهم بعضا، ويتزوجون بالمحارم. وهذا الفعل كان مرفوضا عند عامة الفرس وكانوا يستهجنونه كما ذكر هيرودوت. وعندما أراد الملك الإخميني قمبيز بن قورش الثاني أن يتزوج بأخته ووجد معارضة من رجال الدولة والمجتمع الفارسي،أستشار القضاة، فأوجدوا له مخرجا أباحوا له به ذلك، وتزوج بأخته. وهؤلاء القضاة هم من طائفة المجوس لأنهم هم الذين كانوا يُشرفون على القضاء والزواج والأخوال الشخصية الأخرى في الدولة والمجتمع **ومنها** ، أنهم كانوا لا يدفنون موتاهم وإنما يُعرضون جثثهم للحيوانات المفترسة، لكن عامة الفرس كانوا يدفنون موتاهم.

وأشير هنا إلى أن الباحث آرثر كريستنسن ذكر أن الاخمينيين كانوا يُدينون بالمزدية الإيرانية القديمة ولم يكونوا على دين المزدية الزرادشتية، التي كانت غريبة بين الفرس الاخمينيين، وإنما كانت محصورة تقريبا في المجوس.والحقيقة أن الأمر ليس كذلك فيما يتعلق بالزرادشتية، لأن المجوس كانوا على المزدية المجوسية، وليس المزدية الزرادشتية، لأن هذه الديانة بيّنا انه لم يكن لها وجود ، لا هي ولا زرادشت، وإنما عندما تعاون المغان- المجوس- مع الساسانيين وكونوا دولتهم أطلقوا اسم الزرادشتية على الدين الجديد الذي أظهروه للناس باسم الزرادشتية، القائم على أصول المجوسية، وأدخلوا فيه عقائد وطقوس وتشريعات أخرى أخذوها من دين الفرس والأديان الأخرى. فالزرادشتية يجب أن تسمى المجوسية الزرادشتية، وليس المزدية الزرادشتية، لأن الزرادشتية مجوسة أولا، ثم مزدية ثانيا.

وبذلك يُستنتج مما ذكرناه ، أن طبقة المجوس- المغان- رغم اشرافها على الحياة الدينية في المجتمع الفارسي رسميا وشعبيا إلا أنها كانت متميزة ومنغلقة على نفسها ، وتعتنق الديانة المجوسية، ولم تكن على الدين الزرادشتي، لأنه لم يكن قد ظهر أصلا قبل الدولة الساسانية. وهذا يعني بالضرورة أن الزرادشتية ليست أقدم الديانات ، ولا من أقدم الديانات التوحيدية، ولا كانت توحيدية، ولن تكون توحيدية.

خامسا:هل كان للزرادشتية وجود قبل الساسانيين أم لا ؟:

تبين مما ذكرناه سابقا، أنه لم يثبت أنه كان لزرادشت النبي وجود، والصحيح أنه شخصية خرافية، وهذا يعني أنه لم يكن للزرادشتية وجود أيضا في العصور التي قيل أن زرادشت عاش فيها. فهل ظهرت بعد ذلك وُنسبت إليه، وأصبح لها وجود في القرون الثمانية التي سبقت قيام الدولة الساسانية سنة 227 م ؟؟.

أقول: بما أنه تبين مما ذكرناه عن ديانة ملوك الفرس والشعب الفارسي ، وطبقة المجوس ، أنه كان لكل من هؤلاء دينه من جهة؛ وأنه من جهة اخرى لم يتم العثور على أي دليل تاريخي أو أثري يرجع إلى ما قبل الساسانيين ، ورد فيه ذكر لزرادشت النبي المزعوم، أو للديانة الزرادشتية التي نُسبت إليه وحملت اسمه؛ فإنه يُستنتج من كل ذلك أنه لم يكن للديانة الزرادشتية وجود في بلاد فارس ، ولا كانت منتشرة بين الفرس قبل الدولة الساسانية ولا توحيدية قبلها ولا بعدها . ولاشك انه لو كان لزرادشت النبي والزرادشتية وجود وانتشار بين الفرس قبل الساسانيين، لتم العثور على أدلة تُثبت ذلك خاصة وأن الأفستا وادبياته زعم أن الزرادشتية كانت موجودة ومنتشرة في زمن زرادشت والدول التي ظهرت فبل الساسانيين.

وبما ان الأمر كذلك، فمن الوهم والجهل والتعصب للباطل القول بأن الزرادشتية كانت ديانة المجتمع والدول الفارسية قبل دولة الساسانيين، وانها كانت ديانة توحيدية!!. ومع وضوح ذلك فإن كثيرا من الباحثين المهتمين بالزرادشتية يقولون خلاف ذلك جهلا ،أو جحودا، أوتعمدا لغايات في نفوسهم.

ومن مزاعم هؤلاء الباحثين ، قول الباحث طه باقر:{ وإذ بقيت الديانة الزرادشتية زمنا قصيرا وهي على بساطتها وصفائها ولا سيما في زمن حاميها الملك دارا- داريوس الأول- الذي جعلها الديانة الرسمية، فإنه سرعان ما عاد الناس إلى البعبادات القديمة عبادة الإله ميثرا، وعبادة الإلهة أناهيتا حيث نجدهما يُذكران في الكتابات الملكية منذ عهد أرتحشتا}.

أقول: ذلك القول باطل جملة وتفصيلا، لأن الدين الرسمي للدولة الإخمينية هو المزدية القديمة، ولم يكن الزرادشتية أبدا. لأن الزرادشتية أثبتنا أنها لم تكن قد ظهرت بعد، ولا كان لزرادشت النبي وجود أصلا. كما أن ديانة الدولة الإخمينية من قورش إلى آخر ملوكها مرورا بداريوس الأول- دارا الأول- هي ديانة شركية وثنية، تقوم على عبادة الإله الأكبر :

أهورامزدا الآلهة الأخرى. وداريوس الأول نفسه لم يكن موحدا، ولا ثنويا، وإنما كان مشركا وثنيا وكان يؤمن بتعدد الآلهة كما بيناه سابقا. وحتى إذا فرضنا جدلا أن داريوس هذا كان موحدا، فهذا لا يجعله زرادشتيا ، لأن الزرادشتية لم تكن قد ظهرت ، ولأنها ليست توحيدية، ولا يُمكن أن تكون توحيدية قبل الساسانيين ولا في عصرهم ولا في العصر الإسلامي، ولا إلى اليوم ، وإنما هي ديانة ثنوية أولا، ثم هي ثانيا ديانة تثليث وتربيع وما بعده كما بيناه سابقا، وستبقى كذلك إلى نهايتها.

ومنها أن الباحث جوفري باريندر زعم أن قورش كان زرادشتيا، مع تساهله في تمسكه بالزرادشتية، لكن داريوس الأول وأحشويؤش كانا اقل تساهلا ، ومن عبدة أهورامزدا بأنه إله السماء والأرض.

ذلك القول باطل جملة وتفصيلا، لأنه بيّنا أن زرادشت النبي لاوجود له في التاريخ، وأن الزرادشتية لم يكن لها وجود في عصر الإخمينيين ولا السلوقيين ولا الفرثيين. و الإخمينيون لم يكونوا زرادشتيين وإنما كانوا مزديين مشركين وثنيين.كما أن قورش وداريوس الأول واحشويرش بينا بالأدلة التاريخية والشواهد الأثرية أنهم كانوا مشركين يؤمنون بتعدد الآلهة، وكان لهم مقام ملكي يُسمى مقام الآلهة، ولم يكونوا موحدين ولا زرادشتيين.كما أن عبادة الإخمينيين لأهورامزدا لا يعني الزرادشتية ولا التوحيد. لأن هؤلاء كانوا يؤمنون بأهورمزدا مع الالهة الأخرى من جهة؛ كما أن الإله أهورامزدا كان إلها قديما ومعروفا بين الشعوب الآرية قبل ظهور الزرادشتية، واستمر الناس في عبادته مع الآلهة الأخرى إلى ظهور الزرادشتية التي هي نفسها تبنته أيضا، فهو ليس إلها خاصا بالزرادشتية، وإنما هي التي تبنته. كما أن عبادة الإخمينيين لأهورامزدا لا يعني أنهم على الديانة الزرادشتية، لأن أهورا مزدا في دين الإخمينيين هو كبير الآلهة خالق السماء والأرض ومعه آلهة أخرى؛ لكن أهورامزدا في الزرادشتية هو الإله والأخ التوأم لأخيه الإله التوأم أهريمن، ثم مع كل منهما آلهة اخرى تساعده ، ولكل منهما مخلوقاته من الأحياء والجماد كما بيناه سابقا. فدين الإخمينين يقوم على الشرك والوثنية وتعدد الآلهة،: الأله الأكبر ومعه آلهة أخرى، لكن دين الزرادشتية يقوم على الثنوية، أولا، ثم التعدد في الآلهة ، فمع كل إله آلهة تساعده ثانيا، ثم التعدد في المخلوقات، فلكل إله مخلوقاته. فمن الجهل والوهم ، والتعصب للباطل القول بأن الإخمينيين

كانوا زرادشتيين، وأن الزرادشتية كانت توحيدية وموجودة قبل الساسانيين!!!!.

وبما أن الأمر كما بيناه بأن زرادشت النبي لا وجود له، وان الزرادشتية المنسوبة إليه لم يكن لها وجود قبل الساسانيين ، فكيف ومتى ظهرت؟، وماهي أهم أصولها وفروعها؟. باختصار مركز أقول: إن الساسانيين كان جدهم ساسان كاهنا من كهان المجوس، وبعض أبنائه من رجال الدولة الفرثية، وعندما ثار أردشير الأول بن بابك على الفرثيين تعاون معه المجوس، وتمكنوا في النهاية من الانتصار عليهم سنة 224م، وهزمهم نهائيا وأسس الدولة الساسانية سنة 227 م . فلما تكونت دولتهم جعلوا الدين المجوسي هو الدين الرسمي لهم ومكنوا له في دولتهم وانتصروا له وفرضوه على رعيتهم. هذا الدين المعروف بالديانة المجوسية هي نفسه أطلق عليه اسم الزرادشتية، وفصّله المجوس على مقاسهم والساسنيين من جهة، وأدخلوا فيه أمورا من أديان أخرى من جهة ثانية. ألحقوها بالدين الجديد الذي يُمكن تسميته بالمجوزسية الزرادشتية. أهم أصوله : الاعتقاد بإلهين اخوين توأمين، هما: الإله الخيّر أهورامزدا، والإله الشرير أهريمن، ومع كل إله آلهة أخرى تساعده. وهذه العقيدة الثنوية كان عليها المجوس ، ومذكورة في الأفستا كما بيناه سابقا، ولم تكن من عقائد عامة الفرس، ولا وُجد لها أثر في الدول التي سبقت الساسانيين. ومن شرائع المجوس التي أدخلوها وعمموها على الفرس: تعميم طريقة الدفن المجوسية على الرعية، بعدما كانت خاصة بهم دون باقي الشعب والدول التي سبقت الدولة الساسانية كما بيناه سابقا. ومنها أيضا أنهم عمموا الزواج بالمحارم، فقد كان خاصا بالمجوس دون الشعب الفارسي الذي كان يرفض ذلك ويستنكره كما ذكرناه عن هيرودت سابقا.

ومنها أيضا أن الساسانيين والمغان- المجوس- أدخلوا في ديانتهم القديمة الجديدة- المجوسية الزرادشتية – تأليه الملوك الساسانيين، فألحقوهم بسلالة الآلهة، وسجلوا ذلك في كتاباتهم الصخرية الكثيرة. منها مثلا نص منقوش للملك شابور يقول فيه: (أنا الإله شاهبور/ شابور الذي يُبجّل مازدا، ملك الملوك في غيران وأنيران –خارج إيران- والذي يرجع نسبه إلى الآلهة ابن الإله أردشير، الذي يعبد مازدا ملك ملوك إيران الذي يرجع نسبه إلى الآلهة ، وحفيد الإله باباغ . أنا حاكم دولة إيران الذي يملك الأقاليم

والإثنيات التالي .. والبشر الذين جعلنا نُجرجرهم من الدولة الرومانية من خارج إيران ...).

وفي نص آخر يقول أحد ملوك الساسانيين:{هذا هو مدى رمية السهم منا، نحن الإله الذي يعبد مزدا ملك ملوك إيران وخارج إيران الذي يرجع نسبه إلى الآلهة، وهو ابن الإله أردشير الذي يعبد مزدا ، ملك ملوك إيران ، الذي يرجع نسبه إلى الآلهة، وهو حفيد الإله باباغ ، الملك، وحين أطلقنا هذا السهم ، أطلقناه قبل الملوك " شهرداران " والأمراء " فاسبوهراغان"، والكبراء " فوزورغان" والنبلاء " أزادان" ...}.

واضح من ذلك أننا أمام ديانة جديدة سُميت الزرادشتية، وهي قائمة على المجوسية ومُطعمة بعقائد وتشريعات من أديان أخرى. فهي ديانة يجب أن تُسمى المجوسية الزرادشتية، لأنه ستظهر أديان اخرى في عصر الساسانيين تنطلق من المجوسة، مثل المانوية، والمزدكية، وهذا يعني أننا أمام أديان أصولها مجوسية، هي: المجوسية الزرادشتية، والمجوسية المانوية، والمجوسية المزدكية. وهذه المجوسيات كلها ثنوية وليست توحيدية، ولا يُمكنها أن تكون توحيدية لأنها قامت أساسا على الثنوية المجوسية.

وإنهاءً للوهم الثالث يتبين منه أن زرادشت النبي لا وجود له. وان الديانة الزرادشتية ليست أقدم الديانات ، ولا من أقدمها، ولا هي من أقدم الديانات التوحيدية. ولم تكن توحيدية عندما ظهرت أول مرة في عصر الساسانيين، ولا بعدهم، ولا يُمكن أن تكون توحيدية لأن كتابها الأفستا كتاب شرك ووثنية، وكتاب ثنوية وتثليث وتربيع وما بعده إلى عشرات الآلهة. واتضح أيضا أن الدول الفاسرية التي سبقت قيام الدولة الساسانية لم تكن مجوسية ، ولا زرادشتية، وإنما كانت على الديانة المزدية، وهي دين شرك ووثنية، وتعدد في الآلهة. هذه الحقائق التي توصلنا إليها لا ينكرها إلا جاهل، أو جاحد معاند، أو صاحب هوى.

الوهم الرابع : القول بأن الزرادشتية ديانة حلت مشكلة الشر والحرية:

زعم باحثون معاصرون أن من خصائص الديانة الزرادشتية الإيجابية أنها وضعت حلا مقبولا لمشكلة الشر الموجود في العالم ، فقالت أن الخير

الموجود في الكون خلقه الإله الخيّر أهورامزدا، ومن مخلوقاته البشر الطيبيين. وأن الشر الذي نراه في العالم خلقه الإله الشرير أهريمن، ومن مخلوقاته البشر الشريرين. وأن الإنسان في الزرادشتية متعاون مع الله وشريك معه في مكافحة الشيطان.وزعم المؤرخ ويل ديورانت أن{ في فكرة الثنائية بعض ما يُبرر ما نراه في العالم من تناقض والتواء وانحراف عن طريق الحق لم تفسره قط فكرة التوحيد..}.ونفس الأمر قرره السواح عندما زعم أن وجود الشر في المعتقدات التعددية الوثنية من السهل تعليله بدعوى تناقض أهواء الآلهة، لكنه مهمة صعبة في المعتقد التوحيدي. بل " يجعل مشكلة وجود الشر في العالم بدون حل ابتداء".

وزعم السواج أن حل مشكلة الشر في التوحيدين الإسلامي والنصراني " يعزو الشر إلى الشيطان وهو مخلوق وليس أزليا، وهو الذي اختار بكل حرية طريق الشر بافساد الإنسان، وبه ظهر الشر إلى الوجود وتأصل فيه. وزعم أيضا أن الله في الزرادشتية يسموا فوق الخير والشر، لكنه مع ذلك يقف مع الخير ويدعمه في مقابل الشر. والشر والخير في الزرادشتية هما روحان توأمان صدرا عن الواحد الأزلي، أحدهما اختار الخير والآخر اختار الشر، ودخلا في تنافس وصرع.

وأما عن حرية الإنسان ومسؤوليته في الزرادشتية، فقد زعم هؤلاء الباحثون أن الزرادشتية قالت أيضا بحرية الإنسان وحملته مسؤولية أعماله، وقادر على ان يُصلح واقعه. وأن الزرادشتية بلغت كمال رؤيتها في العلاقة بين الله والعالم والإنسان، ومفهومها متسق متكامل عن " الإنسانية" ودورها الإيجابي والفعال في الوجود. وفي الزرادشتية على الإنسان أن" يُعنى بأخيه الإنسان وببقية مخلوقات الأرض لأنهم جميعا صنعة الله".

فهل صحيح ان الزرادشتية قالت بتلك المزاعم وهي من إيجابياتها؟؟!! . كلا وألف كلا، إنها من أوهام هؤلاء الباحثين ،ومن أباطيل الزرادشتية وخرافاتها .

فبالنسبة لما قالته الزرادشتية عن وجود الشر في العالم، فهو زعم باطل من أساسه، لأنه قام على أوهام وأساطيروأباطيل وأهواء.أولا إن القول بوجود إلهين – أو أكثر- واحد خلق الخير، والآخر خلق الشر، هو زعم باطل قطعا شرعا وعقلا وعلما. لأن الكون بكل مخلوقاته خلقه إله واحد وليس اثنان ولا أكثر، ولو كان له أكثر من واحد لاضطرب وانهار

وفسد. وبما أن الكون لم يحدث له ذلك، ونحن نراه بدلالة العلم والشرع والعقل بأنه مخلوق من مادة واحدة، وخاضع لقوانين دقيقة واحدة ومتكاملة، وفي غاية الدقة والإحكام والحِكمة . وهذه أدلة دامغة على أن الكون له خالق واحد ولا يقبل التعدد . قال تعالى: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ [الأنبياء : 22])،و(مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ [المؤمنون : 91]) . فقول الزرادشتية وأمثالها باطل أصلا، ولا وجود له في الواقع وإنما هو أوهام واهواء قالت بها الزرادشتية ووافقها عليها هؤلاء الباحثون لجهلهم أو لغايات في نفوسهم.

ثانيا: إن القول بوجود إله شرير خلق الأشرار، باطل من أساسه بما قلناه أعلاه، وباطل أيضا لأن الإله الحق لا يُمكن أن يكون شريرا لأنه يتناقض مع الإلوهية وكمالها وعدلها وحكمتها . وعليه فالإله الشرير خرافة ولا وجود له إلا في عقول وقلوب المشركين من الثنويين والتثليثيين وما بعدهم وفي قلوب المدافعين عنهم. وهذا يعني أن قول الزرادشتية باطل أصلا، وعليه فلا قيمة لما قالته بأن إله الشر هو الذي خلق الشر. وما بُني على باطل فهو باطل. وبذلك يكون هؤلاء الباحثون قد بنوا موقفهم ومدحوا به المشركين من الزرادشتيين وغيرهم ومدحوهم وأثنوا عليهم وصوّبوا موقفهم بالباطل والجهل والتحريف .

ثالثا: إن مما يُبطل مزاعم هؤلاء والزرادشتية التي دافعوا عنها، هو ان الواقع يكذبهم ويفضحهم . وتفصيل ذلك هو انه لا يوجد في البشر قسم منهم خيّر كله خلقه إله الخير كما تقول الزرادشتية، ولا يوجد قسم شرير خلقه إله الشر كما تدعي الزرادشتية. ولو كان زعمها صحيحا للزم أن نجد البشر منقسمين بالضرورة على أنفسهم ومنفصلين عن بعضهم بحكم أن كل قسم تابع للإله الذي خلقه، وسيكون أولاده على طبيعته . وهذا لا وجود له في الواقع قطعا.

ومما يُبطل ذلك أيضا أننا نجد البشر كلهم فيهم الخير والشر، ولا ويوجد بشر كله خير ولا كله شر. وهذا يعني بالضروة أن الذي خلق البشر ليس الإله الخير أهورامزدا، ولا الإله الشرير أهريمن، ليسا هما لأن الإنسان

مجبول في طبيعته على الخير والشر، وإنما خلقهم إله واحد بقدرته وعدله وحكمته على صفتي الخير والشر، خلقهم الله تعالى وليس أهورامزدا ولا أهريمن. قال تعالى: { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10) [الشمس:7- 10] }،و{ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ [البلد : 10] }.

وبذلك يتبين قطعا أن وجود الشر في العالم لا يجد جوابه الصحيح في الديانات الشركية كالزرادشتية ، لأنه موقف باطل أصلا، ومخالف للواقع؛ وإنما يجده في التوحيد بدليل العقل والشرع والعلم كما سنبينه قريبامن جهة؛ ولا يُمكن ان يجد جوابه الصحيح في أوهام وخرافات الزرادشتية وأمثالها من جهة أخرى.

رابعا: إن عقيدة التوحيد هي الوحيدة التي تُقدم الجواب الصحيح لوجود الشر في العالم بطريقة علمية وشاملة وكافية ومُقنعة، بل ولا تجعله مشكلة أصلا ، وليست كما زعم هؤلاء بأنها عاجزة عن إيجاد حل صحيح لها. وتفصيل ذلك أن الشر الذي نراه في العالم ليس له فاعل واحد فقط، وإنما هو على ثلاثة أنواع: أولها هو شر خلقه الله تعالى كجزء من تقديره للكون وخلقه له بعدله وحكمته ، كمعاقبته للعصاة والظالمين بقوى الطبيعة كالرياح والزلازل ، قال تعالى: {فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ [الحجر : 74]} ،و{ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ [سبأ : 17]}.واختابره سبحانه لعباده بمختلف انواع الشر والخير. قال تعالى: { {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ [الأنبياء : 35] }. . وهذا النوع من أفعال الله ليست شرا بالنسبة إليه، وإنما هي عدل وحكمة وضعها في مكانها الصحيح. لأن معاقبة الظالم والمعتدي ليست ظلما ولا شرا وإنما هي عين العدل ولابد منها، ولا يصح للمُعاقَب الذي يستحق العقاب أن يتهم الذي عاقبه بأنه ظلمه، وإنما يجب عليه أن يعترف ويتحمل مسؤوليته.

علما أن الشر الذي نراه في الكون هو شر قليل جدا بالمقارنة لما نراه من خيرات كثيرة جدا في العالم كله، فهو في الحقيقة استثناء وليس أصلا ولا قاعدة من جهة؛ وهو كثيرا ما يكون طريقا إلى الخير من جهة أخرى. قال تعالى: { وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ [البقرة : 216] }.

النوع الثاني من الشر ، هو من فعل البشر،و لم يفعله الله تعالى وإنما يفعله الإنسان ، وهذا النوع معروف قديما وحديثا ، فعله البشر ضمن افسادهم في الأرض كظلم بعضهم لبعض، ونشر الفساد والحروب، وما ترتب عنها من ظلم وتدمير ، كما حدث في الحربين العالميتين الأولى والثانية، وكما يحدث الآن أيضا. هذا النوع وهو كثير جدا، فعله الإنسان ويتحمل هو مسؤوليته. قال تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ [الروم : 41] }.

والنوع الثالث من الشر، هو من فِعل الجن والشياطين، بحكم انهم كائنات حرة مختارة مكلفة بالعبادة كالإنسان. فلها أعمال شريرة كثيرة فيما بينها وفيما بينها وبين الإنسان. فالشياطين مثلا توسوس للبشر وتزين لهم أعمالهم للإفساد في الأرض. لكن عملها هذا يبقى وسوسة ولا يُمكن أن تجبر الإنسان على ذلك إلا بإرادته هو، وعندما يُطيعها يحدث الفساد في الأرض بتأثر من الشياطين وبفعل الإنسان . وتوجد أعمال أخرى يتعاون فيها شياطين الجن مع شياطين الإنس، للإفساد في الأرض ونشر الكفر والضلال والظلم بين بني آدم. بدليل قوله تعالى: {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ [الأنعـام : 121]}،و{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ [الأنعام : 112] }،و{ وَيَوْمَ يِحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِيَ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَليمٌ [الأنعام : 128]} .

وبذلك يتبين أن وجود الشر في العالم ليس مشكلة أصلا في ضوء عقيدة التوحيد ، ولا يجد جوابه الصحيح إلا فيها من جهة؛ وان قول الزرادشتية ومن أيدها هو قول باطل قطعا، ولا يُمكن أن يكون جوابا صحيحا من جهة أخرى.

وأما بالنسبة لحكاية حرية الإنسان في الزرادشتية، وانها جعلته حرا مسؤولا عن أفعاله، فالحكاية باطلة من أساسها وهي من تحريفات وأكاذيب

هؤلاء الباحثين من جهة، ولا وجود لها أصلا في الديانة الزرادشتية من جهة أخرى.

وتفصيل ذلك أولا، إن الإنسان في الزرادشتية لم يخلقه الله، ولا هو مكرم، ولا هو حر أبدا، ولا توجد عقيدة الله أصلا في الديانة الزرادشتية، وإنما هي ديانة تقوم على الاعتقاد بخرافة وجود إلهيّن أخوين توأمين هما: أهورا مازدا، وأهريمن، ولكل منهما له مخلوقات التي خلقها، وهي تابعة له، وعلى طبيعته، منها أن كلا منهما خلق بشرا يُناسبه وتابع إليه، وله مخلوقات أخرى. وبالضرورة أن لأهورامزدا مخلوقات خيرة و يجب أن تكون كذلك، ولا تستطيع أن ان تخرج عن طبيعتها، ولا أن تكون شريرة من جهة، وأن، لأهريمن مخلوقات شريرة مثله ولا تستطيع أن تكون خيرة من جهة أخرى. . والشواهد على ذلك كثيرة جدا من الأفستا وأدبياته . منها أن الأفستا ذكر أن أهورامزدا عندما شرع في خلق بعض مخلوقاته تدخل أنكرامـاينيو- أهـريمن- وخلـق أو كـوّن أفعـى حمـراء مُهلكـة، وشـتاء المخلوقـات الشيطـانية -الفينديداد:1/2-. وعندما خلق أهورامزدا منطقة "فيكتريـا" ، خلـق أنكرامـاينيو " هنافايتـا" السـحرة المهلكـة التـي أغـوت كيرسابا-الفينديداد:1/9-. بل إن الفنديداد ذكر أن أنكراماينيو خلق أيضا بشرا تابعين له، مما يعني أن البشر ليسوا كلهم من خلق أهورامزدا وإنما منهم طائفة من مخلوقات أهريمن !! . ومعنى ذلك ايضا أن البشر ليس عندهم أب واحد ولا أم واحدة، فأين الإنسانية المزعومة التي تغنى بها السواح بدعوى أن لها مكانة في الزرادشتية؟؟!! . و حسب الفنديداد أن أهورا مزدا قال: ((أنا أهورامزدا خلقتُ " أورفا " الغنية بالمروج ، غندئذ خلق أنكراماينيو الكثير من الحُكام الأشرار القتلة -الفينديداد:1/10-)). و((أنا أهورامزدا خلقتُ "هاتومنت"- إقليم- والتي حصلت على "هفارنو" ، عنـدئـذ خلـق أنكرامــاينيو الكثـير مـن السـحرة الأشـرار المهلكيـن- الفينديداد:1/13-)).

ومنها أيضا ما جاء في كتاب أحكام روح العقل - هو من أدبيات الأفستا- بأن أهورامزدا ((يتمنى الخير ، ولا يقبل الشر أبدا ، ولا يوافق عليه. وأهريمن يتمنى الشر ولا يفكر في الخير ولا يُوافق عليه)) ، ولكل منهما مخلوقاته. ثم قرر أن الاخلاق الطيبة والسيئة لا تتغير، فقال: ((كل شيء ممكن تغييره عدا أخلاق الجيد والسيئ، والخلق الطيب لا يُمكن أن يتحول إلى شر، والخلق الخبيث لا يُمكن تحويله إلى طيب)) . وقوله هذا يتفق تماما مع ما قاله الأفستا الذي جعل الكون بكل مخلوقاته، قسم منه خلقه

أهورامزدا ، والثاني خلقه أهريمن، وكل إله مخلوقاته تابعة إليه بالضرورة.

واضح من ذلك أن الإنسان في الزرادشتية يعيش جبرية صارمة قاتلة ظالمة مُعطلة لحريته، وجعلته مُسيرا في كل جوانب حياته ، وليس مُخيرا في أي جانب منها، وهذا خلاف ما زعمه السواح وأمثاله من جهة، وباطل من جهة أخرى بدليل أن الواقع يُبطل زعم الزرادشتية بوجود نوعيّن من البشر مجبوريّن ولا حرية لهما في الاختيار بين طريقي الخير والشر.وهذا زعم باطل، ولا وجود له في حياة البشر، فنحن البشر لا يوجد فينا واحد من مخلوقات أهورامزدا، ولا من مخلوقات أهريمن، وكل واحد منا إلا ويحس بداخله ويرى بعينيه أنه كائن مُسير ومُخيّر، ويجمع بداخله نوازع الخير والشر، ويستطيع أن يكون خيرا أو شريرا إن أراد .

وبمعنى آخر أن الإنسان في الزرادشتية مُجبر على أن يكون خيّرا إن كان من مخلوقات إله الخير، ومُجبرا على أن يكون شريرا إن كان من مخلوقات إله الشر . أي أن مخلوقات أهورا مزدا خيّرة بالطبع والضرورة ولا يُمكنها أن تكون شريرة إن أرادت ، وأن مخلوقات أهريمن هي أيضا شريرة بالضرورة والجِبلة ولا تسطيع أن تكون خيرة إن أرادت ذلك. وهذه جبرية مُكبلة للإنسان وقاتلة وظالمة له ، ومُعطلة لمبدأ التكليف الإلهي ،وهادمة للحياة البشرية ولا تستقيم معها أبدا.

ثانيا: إن أقوال السواح السابقة مع أنها باطلة فيما قاله عن خرافة حرية الإنسان في الزرادشتية، فإنها قد تضمنت أيضا أباطيل وتحريفات وأوهاما كثيرة. منها أنه زعم أنه يوجد في الزرادشتية : الله، والشيطان ، والإنسانية. وهذا كذب وباطل وخداع ووهم، لأن الزرادشتية لا يوجد فيها الاعتقاد بالله أصلا، وإنما هي ديانة شركية ثنوية تقوم على الاعتقاد بوجود إلهيّن أخوين توأمين، هما الخالقان للكون، ومع كل منهما آلهة ومخلوقات تساعده، وقد سبق تفصيل هذه الأكاذيب والأوهام. ولا يوجد فيها شيطان أصلا وأبدا، ولا يصح اطلاق هذا الوصف على أهريمن ، لأنه ليس مخلوقا وإنما هو إله حسب الزرادشتية ، فهو الأخ التوأم الشرير مقابل أخيه التوأم الخيّر أهورامزدا. وعليه فمن الوهم والكذب والتحريف وصف أهريمن بأنه شيطان، ولا يقول ذلك إلا جاهل، أو جاحد معاند، أو صاحب هوى.و

كما أنه من الكذب والتحريف القول بوجود إنسانية في الزرادشتية، وإنما توجد فيها إنسانيتان: واحدة خيرة خلقها الإله أهورامزدا، والثانية خلقها الإله أهريمن حسب خرافات الزرادشتية. فلا يصح القول بوجود إنسانية واحدة، ولا الثناء على الزرادشتية في قولها بهذه الخرافات والمهازل والأوهام ؛لأن الواقع يثبت قطعا بطلان زعمها ، لأن الواقع الذي نحياه ونشاهده فيه إنسانية واحدة خلقها الله تعالى وليست من مخلوقات أهريمن ولا أهورامزدا حسب الخرافة الزرادشتية.

ومن أباطيل السواح وتحريفاته المكشوفة وأقواله القبيحة، قوله بأن الله في الزرادشتية يسموا فوق الخير والشر، لكنه مع ذلك يقف مع الخير ويدعمه في مقابل الشر. والشر والخير في الزرادشتية هما روحان توأمان صدرا عن الواحد الأزلي، أحدهما اختار الخير والآخر اختار الشر، ودخلا في تنافس وصرع. وزعمه هذا من أوهامه وأهوائه ، تنقضه مئات النصوص من الأفستا وأدبياته ومن الشواهد التاريخية والأثرية الساسانية التي كلها ذكرت وجود إلهيّن أخوين توأمين متصارعين : الأول أهورامزدا خيّر، والثاني أهريمن شرير ،وهما الروحان اللذان خلقا العالم حسب زعم الأفستا وقد بيناه سابقا. فلا وجود لعقيدة الله في الزرادشتية أبدا، ولا يُمكن ان يوجد فيها، لأنها ديانة شركية ثنوية، والاعتقاد بالله تعالى يهدم ذلك وينقضه ويرفضه ويُبطله.

وبذلك يُستنتج من نقدنا للوهم الرابع، أن الديانة الزرادشتية لا يُمكنها أن تحل ظاهرة وجود الشر في العالم،لأنها ديانة باطلة، قائمة على اعتقاد زائف وخرافي في قولها بالثنوية، ومخالفتها لواقع الكون الذي يشهد قطعا بأنه مخلوق لله الواحد الأحد ،وليس من مخلوقات الإلهين أهورامزدا وأهريمن.وهي بهذا الاعتقاد لا يُمكن أن تحل ظاهرة وجود الشر في العالم ، لأنها هي بنفسها مشكة وليست حلا.

وتبين أيضا أن الإنسان في الأفستا ليس حرا ولا مُكلفا بحمل أمانة عبادة الله، وإنما هو كائن مُسير مُجبر تابع للصراع الكوني المزعوم القائم بن الإلهيّن الخرافيين المتصارعين، ولا يستطيع التخلص منه ولا توقيفه ؛ فهو كترس صغير في آلة كبيرة شغالة ليس له فيها إلا دور ثانوي ، لا يستطيع أن يُوقفها ولا أن يسقط منها . والحقيقة أن كل ما قيل عن حرية

الإنسان في الزرادشتية كذب وتحريف وغش وخداع ، قاله باحثون لغايات دنئية!!!!.

الوهم الخامس: الزعم بأن الزرادشتية أثرت في والإسلام وأديان أخرى:

يتمثل ذلك الوهم في أن كثيرا من الباحثين المعاصرين زعموا أن الديانة الزرادشتية أثرت في الإسلام واليهودية والنصرانية تأثيرا واضحا وخطيرا مَسَّ أصولها العقيدية.

من ذلك قول الباحثة ماري بويس بأن{ الزرادشتية هي أقدم الديانات العالمية التي تم الكشف عنها ، وربما كان لها تأثير أكبر على البشرية ، بشكل مباشر أو غير مباشر ، أكثر من أي دين آخر ".}. وزعم باحث آخر أن الزرادشتية هي أول دين لتعليم التوحيد والإيمان بإله واحد ، وكان لها تأثير في اليهودية والنصرنية والإسلام.

وزعم السواح أن النبي والمعلم الخلاقي زرادشت أثر بأفكاره في الديانات العالمية التي ظهرت بعده .

وزعم محقق كتاب الأفستا خليل عبد الرحمن أن اليهود قالوا بفكرة الشيطان تأثرا بالزرادشتية عندما كانوا ببابل، ثم ردهم قورش الزرادشتي إلى فلسطين . زعم الباحث زينر أن كلا من اليهودية والمسيحية والإسلام قد تأثر بالزرادشتية في قولها بالشيطان.

وزعم الباحث جوفري باريندر أن اليهودية تأثرت بالزرادشتية فيما قالته عن الشيطان.وزعم السواح أن فكرة الشيطان ظهرت أول مرة في تعاليم زرادشت نحو مطلع الألف الأولى قبل الميلاد ، ثم انتشرت وتنوعت فكرته ودخلت في معتقدات يدين بها أكثر من نصف سكان المعمورة .

وفيما يتعلق بالمعاد الأخروي، فقد زعم أحدهم أن كلا من اليهودية والمسيحية والإسلام قد تأثر بالزرادشتية في قولها بخلود الروح وقيام الجسد. وزعم جوفري باريندر أن اليهودية تأثرت بالزرادشتية فيما قالته المعاد الأخروي، والجنة والنار. وزعم خليل عبد الرحمن أن التوراة قالت بالجنة والنار تأثرا بالزرادشتية عندما كان اليهود ببابل . وأن الإسلام تأثر بالمعاد الأفستي.

أقول: تلك المزاعم باطلة قطعا جملة وتفصيلا، وهي من أوهام وأهواء هؤلاء الباحثين قالوها تحريفا للعلم وانتصارا لأهوائهم ومصالحهم ، بدليل المعطيات والأدلة العلمية الآتية:

أولا: إن أول دليل علمي ينقض تلك المزاعم والأوهام ويهدمها من أساسها هو انه اثبتنا سابقا بأدلة دامغة أن زرادشت النبي المزعوم لا وجود له أصلا في التاريخ، وأن ديانته المنسوبة إليه لم تظهر في عصره المزعوم، ولا في عصور الإخمينيين والسلوقيين والفرثيين؛ وإنما ظهرت لأول مرة عندما ظهرت الدولة الساسانية سنة 227 م . وهذا يعني أنها ديانة مُتأخرة ظهرت بعد اليهودية بأكثر من 14 قرنا قبل الميلاد، وظهرت بعد النصرانية بـ 227 سنة، مما يعني أنه إن حدث تأثر، فإن الزرادشتية هي التي تأثرت باليهودية والنصرانية وليس العكس.

وبما أنه أثبتنا بالأدلة العلمية أن الزرادشتية الموجودة اليوم بكتابها الأفستا كُتب من جديد هو أدبياته في العصر الإسلامي بعد تحريف بشع رهيب طويل وعريض أدخلوا فيه وفي أدبياته عقائد وأفكار إسلامية كثيرة عن سابق إصرار وترصد أدى إلى ظهور دين زرادشتي جديد في كثير من جوانبه. وبما أنه لا توجد بين أيدينا أية مخطوطات ولا رويات قديمة للأفستا وأدبياته كُتبت في العصر الساساني؛ فإن كل هذا يعني أن الزرادشتية التي وصلتنا هي نسخة جديدة معدلة ومُحرفة للديانة الزرادشتية لا أصل لها يُمكن الرجوع إليه ظهرت في القرنين الثالث والرابع الهجريين وما بعدهما ولم تظهر في القرن الثالث الميلادي. أي أنها ظهرت بعد الإسلام بثلاثة قرون أو أكثر. وهذا يعني قطعا أنه إن كان قد حدث تأثر فإن الزرادشتية هي التي تأثرت بالإسلام ، وليس العكس!!!! . هذه النتيجة القطعية هي دليل علمي على بطلان كل تلك المزاعم والأوهام والأهواء من جهة؛ وهي أدلة دامغة على ان من يقول بتلك المزاعم والأهواء جاهل أو صاحب هوى من جهة أخرى.

ثانيا: إن مما يُبطل تلك المزاعم المتعلقة بالشيطان بدعوى تأثير الزرادشتية في الأديان التي قالت بالشيطان ، هو انه لا يوجد شيطان في الديانة الزرادشتية أصلا، وإنما الذي يوجد فيها هو الإله أهريمن الشرير-الأخ التوأم للإله أهورامزدا الخيّر- ، وهو إله خالق حسب الزرادشتية ومعه آلهة ومخلوقات شريرة. فهو إله شرير وليس شيطانا، لأن

الشيطان مخلوق من الجن وليس إلهاً. ووصف الأفستا لأفعاله بأنها شيطانية لا يعني أنه شيطان، وإنما يعني أنه إله شرير أفعاله شيطانية. وهذا يعني أن الزرادشتية هي التي تأثرت بأديان اخرى عندما وصفت أفعال أهريمن بأنها شيطانية من جهة، وأدخلت الاعتقاد به في أدبيات الأفستا من جهة أخرى.
وبما أنه أثبتنا بالأدلة الدامغة أنه لا وجود لزرادشت النبي أصلا ، ولا للزرادشتية قبل الدولة الساسانية، وإنما هي ديانة متأخرة ظهرت بنسختين الأولى ساسانية أُعدمت، والثانية ظهرت في العصر الإسلامي وهي الموجودة اليوم، فإن هذا يعني أنه إن ثَبُت حدوث تأثير فالزرادشتية هي التي تأثرت في قولها بالشيطان بالأديان التي سبقتها كاليهودية، والنصرانية، والإسلام، وليس العكس.

ومما يُبطل خرافة تأثير الزرادشتية في ديانة الإسلام واليهودية والنصرانية في قولها بالشيطان هو أن كل الأنبياء منذ آدم إلى خاتمهم محمد – عليهم الصلاة والسلام- جاؤوا بدين واحد (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ [آل عمران : 19]) ذُكر فيه الشيطان وحذر الناس منه ومن طاعته (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ [يس : 60]). وبما أن الأمر كذلك، وزرادشت النبي المزعوم لا وجود له أصلا، والنسخة الزرادشتية الأولى ظهرت بعد سنة 227 م، والنسخة الثانية ظهرت في القرن الثالث الهجري أو ما بعده، فإن الزرادشتية هي التي تأثرت في قولها بالشيطان بالأديان التي ظهرت قبل الساسانيين وبالإسلام أيضا، ولم يحدث العكس.

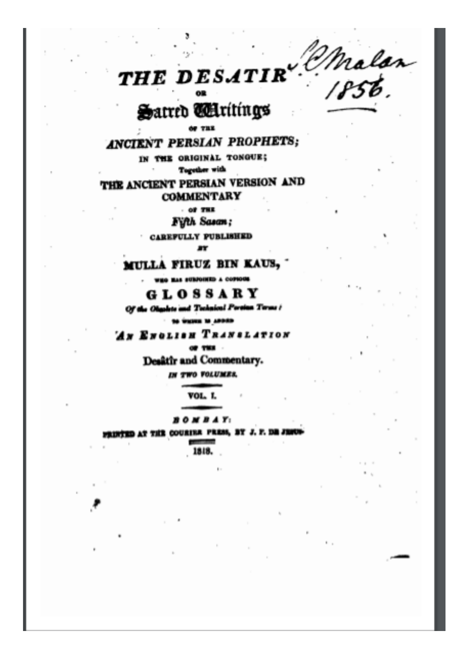
وبما أن القول بالشيطان هو اعتقاد قديم جدا قالت به الديانات الأرضية القديمة تأثرا برسالات الأنبياء كالفرعونية، والسومرية، والكنعانية.وبما أن زرادشت النبي المزعوم لا وجود له أصلا في التاريخ، ولا وجود للزرادشتية قبل دولة الساسانيين سنة 227 م ؛ فإنه بلا شك ان الزرادشتية هي التي تأثرت في قولها بالشيطان بتلك الأديان القديمة.

ثالثا: إن مما يُبطل تلك المزاعم المتعلقة بالمعاد الأخروي-الحساب والجنة والنار- بدعوى تأثير الزرادشتية في الأديان التي قالت به، هو أن الأنبياء كلهم من اولهم : آدم ابو البشر إلى خاتمهم محمد - عليهم الصلاة والسلام جميعا- كانوا يؤمنون بالمعاد الأخروي وأخبروا أقوامهم به، وأنه

من أركان الإيمان.وبما أن زرادشت النبي المزعوم لا وجود له أصلا، وان الزرادشتية ديانة أرضية لم يكن لها وجود بنسختها الأولى إلا في العصر الساساني، ثم ظهرت بنسختها الثانية المعدلة والمُحرفة الموجودة اليوم في العصر الإسلامي، فلا شك أن الزرادشتية هي التي تأثرت بدين الأنبياء في قولها بالمعاد الأخروي وليس العكس .

وبما أن الاعتقاد بالمعاد الأخروي ومشاهده من حساب وجنة ونار هو اعتقاد قديم جدا وقالت به الأديان الأرضية القديمة تأثرا برسالات الأنبياء، كالديانة السومرية، والفرعونية التي توسعت كثيرا في تسجيل وتصوير المعاد الأخروي وتجسيمه على المعابد والأهرامات. وبما أن زرادشت النبي المزعوم لا وجود له أصلا في التاريخ، ولم يكن للزرادشتية وجود قبل دولة الساسانيين سنة 227 ، ولا هي رسالة إلهية؛ فلا شك أنها هي التي تأثرت بتلك الأديان التي سبقتها في قولها بالمعاد الأخروي.

وأخيرا- رابعا- : إن من الأدلة القطعية على أن الزرادشتيين هم الذين تأثروا بالإسلام وحرفوا دينهم حسب مصالحهم وظروفهم في العصر الإسلامي وليس الإسلام هو الذي تأثر بالزرادشتية، وإنما هي التي تأثرت به وظهرت في نسخة جديدة أسقطت قسما كبيرا من نسختها الأولى؛ هو أن أحد علماء الزرادشتيين في العصر الإسلامي بالهند ألف كتابا سماه" **دساتير"**، كتبه باللغة الفارسية. تكلم عن 16 نبيا ظهروا في بلاد فارس حسب زعم مؤلفه، منهم: مهاباد، جيلشاه ، هوشنك جمشيد، زرادشت ، الأسندر المقدوني، وساسان الأول، وساسان الخامس. وتضمن الكتاب نبوءة على لسان أحد هؤلاء الأنبياء تتعلق بنبي قادم.



THE DESATIR
OR
Sacred Writings
OF THE
ANCIENT PERSIAN PROPHETS;
IN THE ORIGINAL TONGUE;
Together with
THE ANCIENT PERSIAN VERSION AND COMMENTARY
OF THE
Fifth Sasan;
CAREFULLY PUBLISHED
BY
MULLA FIRUZ BIN KAUS,
WHO HAS SUBJOINED A COPIOUS
GLOSSARY
Of the Obsolete and Technical Persian Terms;
TO WHICH IS ADDED
AN ENGLISH TRANSLATION
OF THE
Desâtîr and Commentary.
IN TWO VOLUMES.
VOL. I.
BOMBAY:
PRINTED AT THE COURIER PRESS, BY J. F. DE JESUS.
1818.

كتاب دساتير المنشور سنة 1818

وتلك النبوءة تتعلق بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام، كما وردت في " دساتير، نصها مُترجما : (" إنّ أمة زردشت حين ينبذون دينهم يتضعضعون وينهض رجل في بلاد العرب يهزم أتباعه فارس، ويُخضع الفرس المتكبّرين، وبعد عبادة النار في هياكلهم يولون وجوههم نحو كعبة إبراهيم التي تطهرت من الأصنام ويومئذ يصبحون وهم أتباع للنبي رحمة للعالمين وسادة لفارس ... وإن نبيهم ليكونن فصيحًا يتحدث بالمعجزات).

أقول: تلك النبوة المزعومة هي من أكاذيب الزرادشتيين ، بدليل الشواهد الآتية: منها أن هؤلاء الأنبياء المزعومين لا يوجد ولا دليل واحد صحيح يثبت أنهم كانوا أنبياء. ومنها أن منهم شخصيات أسطورية لا يوجد ولا دليل واحد صحيح يُثبت تاريختهم، منهم: مهاباد، جيلشاه ، هوشنك جمشيد . ومنها أنها ذكرت زرادشت من بين هؤلاء الأنبياء المزعومين، وهذا زعم باطل لأنه سبق أن بينا أن زرادشت النبي المزعوم لا وجود له في التاريخ. ومنها أنها ذكرت من بينهم الأسكندر المقدوني ، وهذا باطل قطعا، لأن الأسكندر هذا كان يونانيا مشركا ولم يكن نبيا ولا موحدا. ومنها أنها زعمت أن ساسان الأول كان نبيا، وهذا غير صحيح، لأن ساسان الأول بن بابك هذا هو جد الساسانيين وقد كان كاهنا في معبد أناهيتا ولم يكن نبيا.

ومنها أنها تضمنت تناقضا صارخا، مفاده أن الكتاب تضمن نبوءة نبي من هؤلاء بشرت بمجيئ خاتم الأنبياء محمد-عليه الصلاة والسلام- من بلاد العرب، وأثنت عليه ولامت الزرادشتيين ، لكن الزرادشتيين بقوا على ديانتهم ولم يتبعوا بشارة نبيهم المزعوم. فلماذا لم يعتنقوا الإسلام وخالفوا نبيهم ؟؟، واضح من ذلك أنهم اختلقوا تلك النبوءة كما اختلقوا هؤلاء الأنبياء المزعومين، فعلوا ذلك لمصالح دينية ودنيوية عندما كانوا يعيشون بين المسلمين.

وبذلك يتبين جليا أن الزرادشتيين اختلقوا حكاية هؤلاء الأنبياء والنبوءة المزعومة ضمن سياستهم في تحريفهم لدينهم وتاريخهم الديني في العصر الإسلامي لتحقيق مصالح دينية ودنيوية من جهة، وهي من جهة ثانية دليل قطعي بأن الزرادشتية هي التي تأثرت بالإسلام والمسلمين وليس العكس.وأن القول بتأثير الزرادشتية في الإسلام هو باطل ووهم ،ولا يقوله إلا جاهل أو صاحب هوى.

وإنهاء لهذا الفصل- الثاني- يتضح من نقدنا لأوهام كثير من الباحثين المتعلقة بالزرادشتية ، أننا أثبتنا بأدلة تاريخية وأثرية كثيرة، أن الأفستا وأدبياته لا يصح الاحتجاج به كمصدر لتاريخ الزرادشتية قبل الدولة الساسانية، لأنه وأدبياته كتاب دُون في العصرين الساساني والإسلامي، ولم يبق منه الآن إلا نسخته المعدلة والمُحرفة التي كتبت في العصر الإسلامي. فهي مجموعة مزاعم وأوهام واهواء وظنون وتحريفات لا يُمكن أن تكون مصدرا تاريخيا يُعتمد عليه إلا إذا أيدتها الأدلة الصحيحة من خارجها.

وأثبتنا بالأدلة الدامغة بأن الديانة الزرادشتية ديانة شرك ووثنية وليست ديانة توحيدية ويستحيل أن تكون توحيدية. وان زرادشت النبي المزعوم الذي نسبت إليه الزرادشتية لم يكن شخصا حقيقيا، وإنما هو شخص خرافي ولا وجود له.

وتبين من نقدنا للمزاعم القائلة بأن الزرادشتية ديانة قدمت الحل الصحيح لمشكلة الشر وحرية الإنسان ، بأنها مزاعم زائفة وباطلة اختلقها هؤلاء الباحثون للتشويش بها على الإسلام والطعن فيه وتقزيمه وتشكيك المسلمين في دينهم من جهة؛ وهم من جهة اخرى قد فعلوا ذلك وهم يعلمون

أن الزرادشتية لا يُمكنها أن تكون حلا لموضوع الشر والحرية، لأنها ديانة متهافتة خرافية تقوم على الشرك والوثنية ومخالفة للعقل والوحي والعلم.

*****

الخاتمة

أظهر نقدنا لآراء كثير من الباحثين المتعلقة بالأساطير والديانة الزرادشتية انها أوهام وأهواء وليست من العلم في شيء ، ولا يقول بها إلا جاهل ،أو صاحب هوى.

منها أولا، قد تبين بأدلة كثيرة أن الباحث فراس السواح وقع في أوهام وضلالات كثيرة فيما كتبه عن الأساطير وعلاقتها بالدين والعلم. حدث له ذلك لأنه لم يدرس الدين والأساطير والفلسفة والعلم بمنهج علمي صحيح قائم على العقل والوحي والعلم، وإنما درس ذلك بمنهج ذاتي قاصر متعصب للباطل أكثر من تعصبه للعلم، فكانت النتيجة أن جانبا كبيرا من فكره المتعلق بالأساطير والدين ليس من العلم في شيء، وإنما هو أوهام وأهواء وظنون وأساطير!!

ثانيا: لقد تبين بالأدلة العلمية أن اعتماد أكثر الباحثين على الأفستا وأدبياته بأنها مصدر تاريخي يُعتمد عليه ويُوثق به في معرفة تاريخ المجوسية الزرادشتية هو خطأ فادح ، وليس موقفا علميا موضوعيا. لا يصح ذلك لأن الأفستا وأدبياته هي مراجع متأخرة تعود إلى القرن الثالث الهجري وما بعده، تأثرت في مضامينها وكتابتها باليهودية والنصرانية عامة، وبالإسلام والفكر الإسلامي خاصة. لأنها ظهرت بعد ظهور اليهودية والنصرانية والإسلام ، وليس العكس كما يعتقد أكثر الباحثين. فنحن نتعامل مع مصنفات كُتبت في القرن الثالث الهجري/9م وما بعده،ولم تكتب في العصر الساساني ولا قبله، وصُنفت بطريقة ليست علمية ولا حتى شبه علمية. فقد حرفها علماء الزرادشتية بطريقة اجرامية مروعة وبشعة عن سابق إصرار وتعمد. فأنتجت لنا تلك العملية التحريفية نسخة جديدة من الديانة الزرادشتية تختلف كثيرا عن نسختها الأولى المزورة هي أيضا. فنحن أمام ديانة قامت على التزوير والغش والخداع منذ نشأتها إلى اليوم من ناحية؛ وهي من ناحية أخرى ديانة شرك ووثنية، ويستحيل أن تكون ديانة وحي وتوحيد، وأن الباحثين الذين وصفوها بأنها ديانة وحي

وتوحيد، هم إما جاهلون بحقيقتها، أو أصحاب أهواء وصفوها بذلك لغايات ليست بريئة .

ثالثا: لقد كشف كتابنا هذا أن السسبب في اهتمام الباحثين المعاصرين بالزرادشتية ومبالغتهم في الثناء عليها ووصفها بما ليس فيها، هو أن طائفة منهم وجدت في الزرادشتية وسيلة فعالة- رغم زيفها- لمحاربة اليهودية والنصرانية والإسلام بدعوى أن الزرادشتية أثرت في هذه الأديان في القول بالتوحيد ، وهي أسبق منها زمنيا. ومنهم طائفة وجدت وجدت في الزرادشتية وسيلة فعالة وقوية جدا للتشكيك في الإسلام وهدمه بدعوى وجود تشابه كبير بين الزرادشتية والإسلام ،وأن الإسلام يكاد يكون نسخة معدلة عن الزرادشتية. زعموا ذلك مع أن الحقيقة هي أن الزرادشتية هي التي تأثرت بالإسلام وأخذت منه عقائد وأفكار كثيرة. ومنهم طائفة اعجبها الأمر ورحبت به ولم تنتبه إلى خطورة موقفها، أعجبها ذلك بدعوى أن الزرادشتية ديانة توحيدية قديمة تشهد لما قالته الرسالات السماوية وبشرت بالأنبياء عامة ونبي الإسلام خاصة. ومنهم طائفة اهتمت بالرد على الزرادشتية والمدافعين عنها عندما أدركت ان ما قاله هؤلاء هو مزاعم وأباطيل واوهام ولهم غايات سيئة وليست بعلمية من جهة؛ وأن الزرادشتية التي يروجون لها ويُدافعون عنها هي ديانة زائفة مُختلقة من جهة أخرى .

وأخيرا – رابعا- : لقد تبين من نقدنا لأهوام كثير من الباحثين فيما قالوه عن الزرادشتية مدحا وتعظيما لها، أن مواقفهم منها لم تكن قائمة على علم صحيح ولا عقل صريح ؛ وإنما أقاموها على مواقف ذاتية مُبيتة من جهة؛ وتغاضوا عن زيف الزرادشتية في أصولها وفروعها ومصادرها من جهة أخري . كقولهم بأن الزرادشتية ديانة وحي وتوحيد، وزعمهم هذا باطل قطعا، فلا زرادشت النبي المزعوم كان له وجود، ولا الزرادشتية ديانة وحي ولا توحيد، ويستحيل أن تكون كذلك بما تضمنته من شركيات وضلالات وأباطيل واوهام وأساطير لا تكاد تنتهي. ولو ان هؤلاء الباحثين وجدوا في الإسلام ما وجدوه في الزرادشتية من شرك ووثنية وخرافات وأباطيل لأقاموا الدنيا ولم يقعدوها . لم يفعلوا ذلك مع الزرادشتية وإنما دللوها وتجاوز الحدود في مدحها وتعظيمها بالأكاذيب والتحريفات والتدليسات والمبالغات، والتعلق بالأوهام والأهواء انتصارا لها، ليس حبا فيها، فهم يعلمون أنها ديانة زائفة باطلة خرافية،ومخالفة للعقل والوحي

والعلم؛ وإنما فعلوا ذلك لأنهم وجدوا فيها وسيلة للطعن في الإسلام وإضعافه وتقزيمه والتشهير به بدعوى أنه مُتأثر بالزرادشتية، وأنه أخذ أصوله وفروعه منها!!!!. هذه المزاعم الزائفة وصلوا إليها انطلاقا من المقدمات التاريخية والزرادشتية الباطلة التي اعتمدوا عليها، فأوصلتهم إلى تلك المزاعم المخالفة للعقل والوحي والعلم. كقولهم بنبوة زرادشت، ووجود التوحيد في الزرادشتية، وتأثيرها في الإسلام واليهودية وغيرهما. هذه المزاعم المتهافتة أثبتنا بالأدلة القطعية بطلانها، فلا زرادشت النبي المزعوم كان له وجود، ولا الزرادشتية ديانة توحيدية، ولا هي أثرت في الإسلام، وإنما هي التي تأثرت به وبأديان أخرى من جهة، وأقامت نفسها على الكذب والتحريف والتدليس والخداع من جهة أخرى. فعلت ذلك منذ أن ظهرت لأول مرة في الدولة الساسانية، واستمرت على ذلك في العصر الإسلامي، بل وهي إلى اليوم تواصل نفس العملية، ووجدت من يشجعها وينتصر لها من كثير من الباحثين، منهم الجاهل، ومنهم المُغفل، ومنهم الماكر!!!!

تم الكتاب ولله الحمد أولا وأخيرا

الأستاذ الدكتور خالد كبير علال

الجزائر: 05/ربيع الثاني/ 1440 هـ - 14/ديسمبر/2018 م

*****

من مصادر الكتاب ومراجعه:

1- القرآن الكريم .
2- ابن منظور الافريقي : لسان العرب .
3- البخاري : الصحيح .
4 فراس السواح : الأسطورة والمعنى، منشورات علاء الدين، دمشق .
5- فراس السواح : مغامرة العقل الأولى، ط 11 ، دار الكلمة.
6 - فراس السواح : دين الإنسان ، دار علاء الدين، دمشق، 2002.
7- فراس السواح : أساطير الأولين: القصص القرآني ومتوازياته التوراتية.
8- فراس السواح : الله والكون والإنسان .
9- فراس السواح : الرحمن والشيطان ، دار علاء الدين، دمشق .
10- فراس السواح : موسوعة تاريخ الأديان: الزرادشتية ، المانوية، اليهودية المسيحية، رقم:18 .
11- حوار مع فراس السواح: لا دين يحتكر الحقيقة ، موقع معابر: http://maaber.50megs.com/issue_january06/spotlights3.htm
12 - حوار مع فراس السواح: الأديان كلها متساوية، موقع معابر: http://maaber.50megs.com/issue_july08/mythology1.htm
13 - حوار مع فراس السواح: لا يوجد أديان للإنسان وإنما دين واحد ، موقع معابر: http://maaber.50megs.com/issue_july08/mythology1.htm

14 - محمد باسل الطائي: خلق الكون بين العلم والإيمان ، دار النفائس ، بيروت ، 1998 .
5- منصور حسب النبي : الزمان بين العلم و القرآن .
16 - الألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، دار المعارف، الرياض .
17- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت 1995 .

18- بريو سينكين : أسرار الفيزياء الفلكية و الميثولوجيا القديمة ، ترجمة حسان ميخائل إسحاق ، ط 1 ، دار علاء الدين ، دمشق ، 2006 .
19- دحام إسماعيل العاني : موجز تاريخ العلم ، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم التقنية ، الرياض ، 2002 .
20- أحمد علي عجيبة : دراسات في الأديان الوثنية القديمة .
21- أرسطو : كتاب النفس .
22 - أرسطو : مقالة اللام
23- ماجد فخري: أرسطو المعلم الأول .
24 - ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية .
25- ديوجين لا يرتيوس : مختصر ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة
26- حسين حرب : الفكر اليوناني قبل أفلاطون .
27- علي أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي .
28- يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية .
29- الموسوعة العربية العالمية .
30- ابن رشد : تفسير ما وراء الطبيعة .
31- ابن رشد: تلخيص ما بعد الطبيعة ، حققه عثمان أمين ، مكتبة البابي الحلبي ، القاهرة ،1958 .
32- الموسوعة العربية الميسرة ، بإشراف محمد شفيق غربال، دار إحياء التراث العربي، القاهرة .
33- آرثر كريستنسن : إيران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب ، دار النهضة العربية، بيروت .
34- طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، دار الوراق، بيروت .
35- كامل سعفان: موسوعة الأديان القديمة: معتقدات أسيوبة، دار الندى، القاهرة، 1999 .
36- أندريه إيمار، وجانين أوبويه: تاريخ الحضارات العام ، منشورات عويدات، بيروت باريس، 1986 .
37- يحيى الخشاب: كتاب تنسر، مجلة الكاتب المصري، عدد 2 ، 10 نوفمبر ، 1945 ، موقع: http://archive.sakhrit.co/newPreview.aspx?ISSUEID=219 .
38 - المسعودي: التنبيه والاشراف .

39- المسعودي: مروج الذهب .
40- هيرودوت: تاريخ هيرودوت .
41 - سميرة عبد السلام عاشور: تاريخ الفرس الأسطوري عند الطبري والفردوسي .
42- عبد الوهاب طويلة : الكتب المقدسة ، ط2 ، دار السلام القاهرة 2001.
43- رؤوف شلبي : أضواء على المسيحية ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1975 .
44- الأفستا : الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية ، ط 2 ، من إعداد خليل عبد الرحمن ، روافد للثقافة ، سوريا، 2007 .
45- كور أنتوفسكي: نقد آراء " بويس " حول الزرادشتية ، ترجمة خليل عبد الرحمن ، جريدة الاتحاد، الصحيفة المركزية للاتحاد الوطني الكردستاني.
46 - عبد الوهاب عزام: الصلات بين العرب والفرس وآدابهما في الجاهلية والإسلام ، كلمات للترجمة والنشر، القاهرة، 2013 .
47- آرثر كريستنسن : إيران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب ، دار النهضة العربية، بيروت .
48 - عبد الوهاب عزام: الصلات بين العرب والفرس وآدابهما في الجاهلية والإسلام ، كلمات للترجمة والنشر، القاهرة، 2013.
49- الأدب الفهلوي ، مقال على الشبكة المعلوماتية ، موقع : http://ar.icro.ir/
50- البندهيشن ، دائرة الدراسات الإيرانية القديمة ، موقع : w.cais-soas.com/.
51- البندهيشن: ترجمة EW الغربية، من *الكتب المقدسة من الشرق*، حجم 5، مطبعة جامعة أكسفورد، 1897.
52- مصطفى النشار: المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية ،ط1 ،القاهرة، 1997 .
53- أندريه إيمار، وجانين أوبويه: تاريخ الحضارات العام ، منشورات عويدات، بيروت باريس، 1986 .

54- بهمن : موسوعة إيرانيكا على الشبكة المعلوماتية : www.iranicaonline.org .
55- ميثرا الهندية والإيرانية، ، موسوعة إيرانيكا على الشبكة المعلوماتية : www.iranicaonline.org .
56- مثرا في المانوية ، موسوعة إيرانيكا على الشبكة المعلوماتية : www.iranicaonline.org .
57- أرمايتي - Ārmaiti -: موسوعة إيرانيكا على الشبكة المعلوماتية : www.iranicaonline.org .
58- أسامة عدنان يحيى : الديانة الزرادشتية ، ملاحظات وآراء ، دار آشور بانيبال، بغداد، 216 ، ص: 7 .
59- بهلاف شابور: الزرادشتية ، 2000، موقع: دائرة الدراسات الإيرانية القديمة، CAIS .
60- الديانة الزرادشتية، موقع: http://factsanddetails.com/world/cat56/sub371/item1977.html#chapter-1.
61- سعد عبود سمار: الإلهة آناهيتا ، مجلة كلية التربية بجامعة واسط، العراق، العدد الحادي والثلاثة ، 2018 ،ص: 309 .
62 - محمد غلاب : الفلسفة الشرقية ، مجلة الرسالة/العدد 216 ، موقع: https://ar.wikisource.org/wiki .
63- ويل ديورانت: قصة الحضارة .
64 - ادوارد براون: تاريخ الأدب في إيران، ترجمة إلى العربية أحمد كمال الدين حلمي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2005 .
65- فرست مرعي: المجوسية جدل التوحيد والتثنية، بتاريخ 11/ 12/ 2016 ، موقع مركز الزهاوي للدراسات الفكرية، http://zahawi.org/Ar/detail.aspx?id=517&linkID=9
66- شابور بهلاف: مقدمة في الزرادشتية: http://www.cais-soas.com/CAIS/Religions/iranian/Zarathushtrian/introduction.htm
67- مصطفى النشار: فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها في الفلسفة الإسلامية والعربية، الدار المصرية، القاهرة، 2005
68- لات عن التاريخ القديم: http://www.livius.org/articles/place/behistun/؟ .

69- يزف هوفر: فارس القديمة، ترجمة محمد جديد، قدمس للنشر والتوزيع، بيروت، 2009 .
70- بيير بريانت : موسوعة تاريخ الإمبراطورية الفارسية من قورش إلى الإسكندر
71 - سعد عبود سمار : أثر الميثيولوجيا الدينية في السياسة التوسعية للدولة الاخمينية ،مجلة حضارة الشرق الأدنى القديم، العدد الثاني، اكتوبر، مصر، 2016
72- حضارة الفرس الآخمينيديين وديانتهم ، موقع: http://jawadboulos.org/ebooks/A2_P4_C.pdf .
73- باول هورن: الأدب الفارسي القديم، ترجمة حسين مجيب المصري، المجلس العلى للثقافة، القاهرة، 2005
74- أحمد محمود الخليل: مملكة ميديا ، أربيل، 2002 .
75- الدين في عصر الاخمينيين ببلاد فارس، موقع: /https://moluch.ru/archive/106/25377 .
76- الدين في عصر الاخمينيين ببلاد فارس، موقع: /https://moluch.ru/archive/106/25377 .

77- الديانة الزرادشتية، موقع: http://factsanddetails.com/world/cat56/sub371/item1977.html#chapter-1
78- ز، س ، زينر : موسوعة الاديان الحية – الأديان غير السماوية، ترجمة عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتابن القاهرة، 2010

79- جيمس هنري برستيد : فجر الضمير، ترجمة سليم حسن ، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة .
80- خزعل الماجدي: متون سومر، الأهلية للنشر ، الأردن ، 1998.
81- خزعل الماجدي : المعتقدات الكنعانية ، دار الشروق، الأردن ، 2001.
82- عامر عبد زيد، وخالد موسى عبد : قصة آدم وجينالوجيا الأصول ، مجلة العلوم الإنسانية، كلية التربية ، العراق .
83 - يُسر محمد سعيد مبيّض: اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، دار الثقافة ، قطر، 1992 .

84- دســــــــــــاتير/ Dasatir ، https://en.wikipedia.org/wiki/Dasatir-i-Asmani .
85- سعيد حوى: الرسول
86- سامي عامري: محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الكتب المقدسة ، مركز التنوير الإسلامي للخدمات المعرفية والنشر ،القاهرة، 1426 هـ - 2006 م
87 - علي بن نايف الشحود : موسوعة الدفاع عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-
88- عبد الوهاب عبد السلام طويلة: ميثاق النبيين ، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة ، ومؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، 1990 .

*****

فهرس المحتويات

المقدمة:

الفصل الأول

أوهام في دراسة نشأة الدين والأساطير

أولا: أوهام في نشأة الدين ومكوناته:
ثانيا: الزعم بأن الإسلام تطور كغيره من الأديان
ثالثا: أوهام في نشأة الأساطير وتطورها.
رابعا: أوهام في علاقة الأساطير بالفلسفة والعلم.

الفصل الثاني

أوهام في دراسة الديانة الزرادشتية

الوهم الأول: الاحتجاج بالأفستا وأدبياته كمصدر لتاريخ الزرادشتية
الوهم الثاني: القول بأن الزرادشتية ديانة توحيد ونبوة
الوهم الثالث: القول بأن الزرادشتية من أقدم الديانات التوحيدية
الوهم الرابع : القول بأن الزرادشتية حلت مشكلة الشر والحرية
الوهم الخامس: الزعم بأن الزرادشتية أثرت في الإسلام وأديان أخرى.

الخاتمة:

من مصادر الكتاب ومراجعه:

*****

مُصنفات للمؤلف :

1- صفحات من تاريخ أهل السنة و الجماعة في بغداد .

2-الداروينية في ميزان الإسلام والعلم .

3- قضية التحكيم في موقعة صفين – دراسة وفق منهج علم الجرح والتعديل

4- الثورة على سيدنا عثمان بن عفان – دراسة وفق منهج علم الجرح والتعديل-

5- مدرسة الرواة الكذابين في رواية التاريخ الإسلامي و تدوينه .

6- الصحابة المعتزلون للفتنة الكبرى – دراسة وفق منهج أهل الجرح والتعديل .

7- الأزمة العقيدية بين الأشاعرة و أهل الحديث .

8- أخطاء المؤرخ عبد الرحمن ابن خلدون في كتابه المقدمة

9- الأخطاء التاريخية و المنهجية في مؤلفات محمد عابد الجابري و محمد أركون

10-أباطيل و خرافات حول القرآن الكريم و النبي محمد-عليه الصلاة و السلام- -دراسة نقدية لدحض أباطيل الجابري ،و خرافات هشام جعيط-

11- نقد فكر الفيلسوف ابن رشد الحفيد –على ضوء الشرع و العقل و العلم

12- التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي- خلال العصر الإسلامي-

13- بحوث حول الخلافة و الفتنة الكبرى-وفق منهج علم الجرح و التعديل-

14- مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية .

15- وقفات مع أدعياء العقلانية - قراءة نقدية لفكر حسن حنفي ، و نصر حامد أبي زيد ، وهشام جعيط ، و أمثالهم- .

16- تناقض الروايات السنية والشيعية حول تاريخ صدر الإسلام- مظاهره و آثاره ، أسبابه و منهج تحقيقه- .

17- جنايات أرسطو في حق العقل والعلم .
18- مخالفة الفلاسفة المسلمين لطبيعيات القرآن الكريم .
19- منهج أهل الحديث في الرد على المتكلمين-أُسسه و تطبيقاته-
20- قضايا تاريخية وفكرية من تاريخنا الإسلامي .
21- تهافت ابن رشد في كتابه تهافت التهافت - مظاهره ، آثاره ، أسبابه-
22- جناية المعتزلة على العقل و الشرع – مظاهرها ، آثارها ، أسبابها –
23- الحركة الحنبلية و أثرها في بغداد (من القرن: 3 إلى الخامس الهجري)
24- الحركة العلمية الحنبلة و أثرها في المشرق الإسلامي(ق: 6 إلى 7 الهجري)
25- نقض كتاب بسط التجربة النبوية للباحث الإيراني عبد الكريم سروش.
26- نقض الروايات القائلة بتحريف القرآن الكريم الواردة في المصادر السنية- مظاهرها وآثارها ، مصادرها و أسبابها-
27- المرويات التاريخية عند المسلمين: أساليب النقد وظاهرة الوضع فيها- مبرة الآل والأصحاب، الكويت، 1431هـ/ 2010 .
28- نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف-- قراءة نقدية لأسانيد ومضامين الروايات المؤسسة للتصوف بكل مقوماته -
29- التضليل والتحريف في كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي.
30- نقد تجربة الشك واليقين عند أبي حامد الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال .
31- دراسات وأبحاث في الفكر الإسلامي القديم ، دار قرطبة ، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013 .
32- نقض الخرافات القائلة بتأثر القرآن الكريم بالكتاب المقدس والأفستا الزرادشتي.
33- تحريف الزرادشتيين للديانة الزرادشتية في العصر الإسلامي .
34- خرافة الوحي والنبوة والتوحيد في الديانة الزرادشتية .
35- الكتاب المقدس ليس وحيا إلهيا .
36- معجزات القرآن من مقارنات الأديان .
37- نقد العقل الملحد : كيف يستدل؟، وبماذا يستدل؟، ولماذا يُلحد؟.
38- لا تَرتَدِّي .. ولا تُلْحِدي !! .
39- نقض خرافة التطور العضوي الموجه .
40- دحضا للشبهات وانتصارا للإيمان والإسلام .
41- مِحنتُك مع هواكَ وشيطانُكَ لا مع الله والقرآن .
42- نقد فكر الدكتور عدنان إبراهيم.
43- نقض شجرة التطور العضوي بالقرآن الكريم وعلم الحفريات .
44- نقد الروايات الشيعية الواردة في المصادر الحديثية السنية.
45- نقض الديانة الأحمدية القاديانية .
46- فضائح التطوريين .
47- تحقيق روايات حديث " النساء ناقصات عقل ودين"،وحديث" لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة" .
48- أوهام من مرويات السيرة النبوية: روايات حادثة غدير خُم أُنموذجا.
49- أوهام في دراسة الأساطير والزرادشتية .